

الدولة العثمانية

من الكتاب

الفتوح الإسلامية

بعد مضي الفوج الحادي النبوية

تأليف

السيد أحمد بن زيني دحلان

مفتي مكة

الجزء الثاني

ويليه

المسلمون المعاصرون

محمد سيد كيلاني

ماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة

قد اعنتني بطبعه

حسين حلمي بن سعيد استنبولي

IŞIK KİTABEVİ

Pa. K. 35 Fâtiḥ - İstanbul

Telefon : 21 82 27

1980

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

58961

الدولة العثمانية وفتوحاتها ثبت الله عليهم

ووقفهم لما يحبه ويرضاه

اتفق العلماء على أن من وقف على سير الدول الإسلامية ، يعلم علماً قطعياً أن الدولة العثمانية من أحسن سير الدول الإسلامية بعد الخلفاء الراشدين لأنهم متمذهبون بمذهب أهل السنة صحيحو العقيدة ناصرول لأهل السنة قائلون بتعظيم الصحابة وأهل البيت والعلماء والصلحاء ليس عندهم شيء من الزيغ والابتداع ولهم الفتوحات الشهيرة والجهاد والغزوات الكثيرة قائلون بشعائر الإسلام لا سيما في الحرمين الشريفين ، فإن لهم فيها الصدقات والخيرات الكثيرة وقائلون أيضاً بشعائر الحج وتأمين الطرق للحجاج والزوار فيجب على كل مسلم أن يدعوهم بالتثبيت والتأييد، والإعانة والنصر والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه واشتهر أنهم من التركان ، وإن كان نسبهم ينتهي إلى يافث بن نوح عليه السلام، وقيل أن أصلهم من العرب فقد ذكر العلامة السنجاري في تاريخه نقلاً عن صاحب دور الأتقان في أصل منبغ آل عثمان أن أصلهم من عرب الحجاز وأنهم من المدينة المنورة ، وأن جدهم الأعلى هاجر من بلاد الحجاز ، قال: وورخ الدولة العثمانية الشهير بخير الله أفندي لا يزيد

أن ندخل في هذا البحث لكن غاية ما نقول أن هذه العائلة الشريفة هي أشرف العشائر الإسلامية ، ثم ذكر أن جدهم هو أول من تسلطن منهم بالروم وهو ابن أرطغرل بن سليمان شاه ، وسليمان شاه سلطانا في بلاد ماهان بالقرب من بلخ ، فلما ظهر التتر أفسدوا في الأرض وخربوا البلاد ، وكان من جملة ما خربوه بلخ وأعمالها ، فترك سليمان شاه البلاد مع من تركها من الملوك وغيرهم وقصد بلاد الروم ، وكان قد سمع بدولة السلجوقية التي في الروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم إلى الكفار فخرج وتبعه في ذلك خلق كثير فلما وصلوا إلى أذربيجان تقاتلوا مع الكفار وغنموا منهم شيئا كثيرا ، ثم قصدوا ناحية حلب فوصلوا إلى نهر الفرات أمام قلعة جمبر ولم يعلوها المبر ، فعبروا النهر فقلب عليهم الماء ، ففرق سليمان شاه ، ومات غريقا شهيدا فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جمبر وقبره هناك مشهورا يزار ويتبرك به ، وكان مع سليمان شاه أولاده الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدي وأرطغرل ، فلما وصلوا إلى موضع يقال له ياسين أو مسي رجع سنقور وكون طوغدي أبناء سليمان شاه إلى بلاد العجم وتختلف أرطغرل جد الملوك العثمانية مع أبنائه الثلاثة وهم كوندزالب وصاروبني وعثمان ومكث أرطغرل في ذلك الموضع يجاهد الكفار ثم أرسل ابنه صاروبني إلى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين السلجوقي يستأذنه في الدخول إلى بلاده ويطلب منه موصفا ينزل فيه فعين له جبال طومالج وجبال أرمنك وما بينهما موصفا لاسكني ، فأقبل أرطغرل مع أربعمائة بيت من قومه فتوطنوا في قره جه طاغ . وفي سنة خمس وثمانين وستمائة نازل السلطان علاء الدين السلجوقي بعساكر كثيرة ومعه الأمير أرطغرل قلعة كوتاهية وهي يومئذ بيد الكفار فقوض أمر القلعة إلى الأمير أرطغرل وسار هو إلى قتال التتر بسبب تعرضهم لبعض بلاده ، ولم يزل الأمير أرطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم من الأموال شيئا كثيرا فازداد عند السلطان علاء الدين قربا ومنزلة ولم يزل الأمير أرطغرل يجاهد في سبيل الله حتى توفي في سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فتأسف عليه وعين مكانه ولده الأمير عثمان فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده في الجهاد وعلم نجابته في فتح البلاد فأكرمه وأمدته بأنواع

الإضافة والإمداد وجعله سلطانا مشاركا للسلطان علاء الدين في السلطنة وأرسل إليه الراية السلطانية ، والخلع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل بين يدي ( السلطان عثمان ) نهض قائما على قدميه إعظاما للسلطان علاء الدين وما زال قائما حتى فرغوا ، فمن ذلك اليوم كان بين المساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة في الأسفار والأعياد ، وكانت سلطنة السلطان عثمان سنة تسع وتسعين وستمائة ، وكانت سلطنته على البلاد التي افتتحتها أبوه والتي افتتحتها هو قبل أن يتسلطن منها مدينة قره حصار وحصن قره وقصبة ويني كوي وقلعة بلاجك ومدينة يني شهر وغير ذلك ولما تسلطن جعل كرسي سلطنته قره حصار ، ثم نقله إلى يني شهر وكان كثير من التتر تغلبوا على بعض ممالك السلجوقية فقاتلهم أبوه ثم قاتلهم هو وأبادهم وانزعها منهم قبل أن يتسلطن وكان ذلك من جملة أسباب محبة السلطان علاء الدين له قال بعض المؤرخين : أن الوقوف على ترجمة هؤلاء السلاطين وفتوحاتهم المعجبية يستوجب أن يعتقد أنهم أعظم ملوك الإسلام ، فإن كل واحد منهم فعل أفعالا باهرة وغزا غزوات قاهرة يستحق أن تخلد في بطون الأسفار لكي يقتدى بهم الملوك الذين يأتون بعدهم ويعلموا أن أفعال هؤلاء السلاطين تستحق أن تقدم على أفعال الأكاسرة والقيصرة وبقية الملوك والسلاطين الذين تدونت أسماؤهم في كتب التواريخ ومن طالع تواريخ هؤلاء السلاطين تظهر له عظمة أفعالهم وبطشهم وشجاعتهم التي قاوموا بها جميع الدول المحيطة بهم ، فكانوا يفتحون المدن العظيمة والحصون المشيدة ويقهرون الجبابرة العظام ويتسلطون على الممالك براً وبحراً إلى أبعد مكان ، فكانت ترتعد من سطوتهم قلوب جميع الدول الأفرنكية وبعطونهم الطاعة والخضوع وكان السلطان عثمان جدهم واسطة عقدم ومؤسس دولتهم ، وكان السلطان علاء الدين قد كبر وشاخ وطمن في السن حين أن أشرك معه السلطان عثمان لأنه تولى السلطنة سنة ۶۵۴ أربع وخمسون وستمائة واستمر إلى أن توفي سنة ۷۰۰ وبقى بعض ممالكهم تحت يد بنيه وأبناء عمه مع ضدهم عن احتفظها وآخر من بقي في السلطنة منهم السلطان مسعود بن كيكارس وتوفي مسعود سنة ۷۱۸ فاضمحت دولتهم وكان لهم من

التر عساكر كثيرة كانوا متغلبين عليهم فاستولى عليهم السلطان عثمان وبنوه من بعده وصارت الممالك كلها بأيديهم ، ومن الممالك التي افتتحها السلطان بعد سلطنته حصن الصفصاف المعروف بقلعة بلاجك وكان الخليفة هارون الرشيد غزا بنفسه الروم ففتح هذا الحصن ثم استولى عليه الكفار واستمر بأيديهم إلى أن افتتحه الغازي السلطان عثمان المذكور وسيأتي ذكر بقية فتوحاته ، وكان السلطان عثمان المذكور عادلاً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة شجاعاً مرابطاً في سبيل الله مجاهداً يراعى الأبطال ويحسن للأيتام والأرامل ومن زهده في الدنيا أنه توفي لم يترك من المال شيئاً وإنما ترك بعضاً من الخيل وشيئاً من الغنم التي ترعى في نواحي بروسا باسم السلاطين العثمانية وهي من نسل تلك الأغنام وترك أيضاً بعد وفاته قفطاناً وعمامة وبعض مناطق من القطن وملعقة ومماحة فهو سلطان مبارك خرج من صلبه السلاطين العظام الذين شيدوا الإسلام وكان صحيح العقيدة على عقيدة أهل السنة يحب الصحابة وأهل البيت والعلماء والصالحين ويحسن إليهم ويعظمهم ويقوم بحقوقهم وكان شديد التعظيم لشعائر الذين وللقرآن العظيم . يحكى أنه قبل أن يتسلطن سافر إلى موضع نزل في طريقه ضيفاً عند إنسان فلما أراد النوم هيا له صاحب المنزل موضعاً لينام فيه فلما دخل ذلك الموضع رأى مصحفاً معلقاً في جدار ذلك الموضع فكبر عليه أن ينام وذلك المصحف معلقاً بذلك الموضع ورأى أن ذلك يخل بتعظيم القرآن فوقف على قدميه قائماً إلى الصباح مستقبلاً للمصحف ويدها على صدره وذلك دليل على قوة إيمانه وصحة اعتقاده رحمه الله تعالى وكان كثير التردد على الشيخ العارف بالله تعالى أدبالي القرمانى فرأى السلطان عثمان ليلة في منامه أن قرأاً خرج من حصن الشيخ المذكور فدخل في حصنه ثم نبتت من سرتة شجرة عظيمة ملأت أغصانها الآفاق ورأى تحتها جبلاً راسيات وتجرى عندها عيون وأنهار والناس يشربون من تلك المياه ويملأون منها وينتفعون من المياه فلما استيقظ السلطان عثمان قصد الشيخ المذكور وقص رؤياه عليه فقال له الشيخ وكان من المكاشفين لك البشرى بمنصب السلطنة وسيعلم أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك

وأني زوجتك ابنتي هذه فقباها السلطان عثمان وتزوج بها فولدت له أولاداً منهم السلطان  
أورخان وهو جد سلاطين آل عثمان أيد الله دولتهم على عمر الزمان وبسط الكلام على  
فتوحات السلطان عثمان الغازي وغزواته مذكورة في التواريخ المبسوطة لا سيما التواريخ  
التي باللسان التركي وكذلك مناقبه وبقية سيرته كل ذلك شيء طويل مذكور في التواريخ  
المذكورة وإنما الذي يمكن ذكره هنا من ذلك شيء يسير من مناقبه وغزواته وفتوحاته  
فمن غزواته وفتوحاته قرا حصار وجعلها كرسي ملكه كما تقدم إلى أن فتح بني شهر فنقل  
كرسي ملكه إليها ثم فتح حصن يار حصار وقصبة اينة كول وبني شهر وأظهر فيها شعار  
الإسلام . وفي سنة ۷۰۰ اشتغل بقتال الكفار في طرف ازنيق حتى أعجزهم أمره مقدار  
خمس سنين فأرسل صاحب ازنيق إلى ملك الروم صاحب القسطنطينية يستنجد به فأمدته  
بجيوش كثيرة في سفائن عديدة فلما وصلوا إلى الساحل من طرف بلاق أروه كمن هم المسلمون  
فكبسوم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، فلم ينج منهم إلا الشاذ الفادر وفي غضون ذلك توفي  
السلطان علاء الدين السلجوقي سنة سبعمائة وكثر الهرج والمرج في بلاده فالتحق أكثر  
عساكره بالغازي السلطان عثمان كذلك . وفي سنة ۷۰۷ فتح السلطان عثمان مرمرة وفي  
هذه السنة اتفق كثير من ملوك الروم على قتال السلطان عثمان المذكور فاجتمعوا في  
جحافل كثيرة نحو ثلاثين ألفاً فقاتلوا المسلمين أمام قيسون حصارى فكان يوماً شديداً  
على الكفار قتل فيه كثير من الكفار ومن رؤسائهم وهرب الباقون وتحصنوا بحصن  
أعمال بروسا وفاز المسلمون بالغنائم واستولوا على حصن كستل ، ثم ساروا إلى أولوبار فغلبوا  
عليها واصطلح معهم صاحبها على خراج يؤديه . وفي هذه السنة أيضاً استولى على حصن كته  
والبلاد الملحقه بها وقسم البلاد على أولاده وأقطعهم إياها واستقر هوفى بني شهر وتمكن  
بها وجعلها دار الأمان وبني فيها البقاع وأشاد القلاع وأسكن فيها الجند وفي سنة ۷۰۸  
فتح حصن لفكة وحصن آق حصار وحصن توك حصار وأسكن فيها للمسلمين وأظهر  
شعار الدين . وفي هذه السنة أعنى سنة ۷۰۸ كان أول حدوث البارود وأما حدوث  
المدافع فكان سنة ۷۶۲ وفي سنة ۷۱۲ افتتح حصن كيوه وحصن طرقلوبني جه سي

وحصن تكور بيكارى وغيرها ، وفي سنة ٧١٣ افتتح حصن أونوس وبلادها وعينه  
كلى وراويناس حصار وغير ذلك ، وفي سنة ٢٢ نازل الغازى السلطان عثمان المذكور  
مدينة بروسا وحاصرها مدة ، ثم لما اشتد الحصار أمر ببناء قلعتين فى طرف المدينة وأسكن  
فيها الجند وأمرهم بالتضييق على أهل البلد وقطع للميرة عنهم وجعل فى إحدى القلعتين أحد  
بنى عمه وفى القلعة الأخرى أحد الشجعان من عبيده ، ثم رجع السلطان إلى بنى شهر ، وفى  
سنة ٧٢٣ وسبعائة فتحت قلعة قد كرية وبلادها وبلاد ملارنى وبلاد اقيازى ، وفى سنة  
٢٠ فتحت يلاق أباد وحصن قاندرى وهذه البلاد تعرف الآن بقوجه نسبة إلى فاتحها لأن  
الأمير الذى فتحها يقال له قوجه ومعناه باللغة التركية شعبة . وفى هذه السنة فتحت حصون  
كثيرة منها حصن بولى وحصن صحانوى وما ينضم إليها وفيها فتحت بلاد قره مرسل  
على يد الأمير قره مرسل فسميت تلك البلاد باسم فاتحها وهى بلاد كثيرة يخرج منها  
الفواكه الكثيرة تجلب فواكهها إلى القسطنطينية وفى هذه السنة أيضاً أرسل السلطان  
عثمان ابنه أورخان إلى فتح بروسا وصحبته عساكر كثيرة وكان السلطان عثمان إذ ذاك  
مريضاً بعلته النقرس فتخلف عن ذلك الغزو وقعد فى بنى شهر ، وفى مدة حصار ابنه مدينة  
بروسا توفى السلطان عثمان المذكور وقيل بل عاش بعد فتح المدينة أياماً فكانت وفاته  
سنة ٧٢٦ ومولده سنة ٦٥٦ وعمره ٦٩ سنة ومدة ملكه ٢٦ سنة . ولما توفى كان بيده  
الممالك التى افتتحها هو وأبوه أرطغرل والممالك التى افتتحها السلجوقية فكانت بأيديهم  
وكان ملكهم لها على التدريب فى سنين متعدد وهى قونية ووان واقصرا وقيسارية  
وسيواس وبلاد آيدىن ومنيسا وصاروخان وحيد وكرسان وبرقسطونى وأنكورية  
وملطية ومرعش والبستان وتوقات وأماسيه ونيكسار وأرزنجان وسامسون وجانيق  
وعنتاب وتسلطن بعده ولده أورخان فى ابتداء سنة سبع وعشرين ولما توفى السلطان عثمان  
جاء الخبر لابنه السلطان أورخان وهو محاصر مدينة بروسا كما تقدم .

### ذكر فتح بروسا

ثم أنه بالغ وبذل جهده فى حصار أهلها وقتالهم حتى افتتحها واستولى على القلعة  
وأسكنها المسلمين وجعلها داراً للإسلام بعد أن كانت معقلاً لأهل الأوثان والأزلام ونقل

كرسى ملكه إليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعاً ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والأيتام والغرباء وهذه المدينة من أعظم المدن الإسلامية وأعمرها وهي مدينة كثيرة الثمار والعيون . .

### ذكر فتوحاته في بلاد اليونان

ولما نقل السلطان أورخان كرسى الملك إلى مدينة بروسا أخذ في الاهتمام والإستعداد لافتح مدن جديدة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فافتتح أكثر بلدانها وعامل أهلها بالشفقة والرحمة حتى أن كثيراً من النساء الروميات اللاتي فقدن أولادهن ورجالهن في تلك الحروب كن يستغثن به ويقعن على قدميه ويطلبن المساعدة والرعاية فكان يلاطفهن بالكلام وينعم عليهن بما يسر خواطرهن فمالت إليه قلوب الناس وما زال يتقدم في فتوحاته حتى أشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز كليبولى واجتاز ابنه سليمان بوغاز شناق قلعة وفتح مدينة كليبولى وهي مفتاح القسطنطينية، وفي سنة ٧٣١ سار السلطان أورخان بعساكره ففتح حصون قيسون حصارى وفتح أزמיד وفتح مدينة أزينوب وكانت من أعظم مدائن الكفار وجمع عظامهم ففهم المسلمون منها غنائم كثيرة وفتح حصونا كثيرة، وفي سنة ٧٥٨ أمر السلطان أورخان ولده الأمير سليمان أن يجتاز البحر الأبيض إلى طرف روم إلى الجهاد ولم يكونوا يملكون السفن فعملوا ألواحاً شبه السفن فركبوا عليها في الليل من موضع يقال له كمر فوصلوا إلى ذلك البر فصادفوا حصناً يسمى جمنا فاستولوا عليه بما فيه ثم هجموا على قلاع أخرى فاستولوا عليها قهراً .

### ذكر القتال مع كليبولى

وكان الأمير سليمان بن أورخان المذكور على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده أطاعوه ورضوا به فسار أمر المسلمين ينمو وصيتهم يسمو فخرج لقتالهم صاحب كليبولى في عسكر كبير وكان المسلمون في عسكر قليل فتوكلوا على الله وتوسلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم قتالاً شديداً فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليبولى وهي مدينة جليلة



على شاطئ البحر وبينها وبين القسطنطينية ۸۶ ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جك  
وقلعة خيره بول وهي بلاد متسعة ومنها قلعة دركور ومنها تكفور طاغى وغير ذلك  
وخرب الكنائس والبيع وبني مكانها مساجد ومعابد ، وفي سنة ۷۶۰ خرج الأمير  
سايمان المذكور للصيد فكبا به الفرس فمات لوقته فجزع عليه أبوه جزعا شديداً وفي هذه  
السنة عبر الأمير مراد الغازى ابن السلطان أورخان إلى طرف روم إلى من خليج كليبولى  
ففتح مدينة جورلى وهي من القسطنطينية مسيرة ثلاث مراحل ولم يزل مراد الغازى  
يحصر البلاد ويقا تل الكفار حتى فتح مدينة ديمتوقه وهي من كبار البلاد الإسلامية ،  
وفي سنة ۷۶۱ توفى السلطان أورخان وعمره ۸۳ سنة ودفن بمدينة بروسا ومدة ملكه  
۳۵ سنة وكان ملكا جليلا ذا سيرة مرضية وكرم وافر وعدل متمكنا طاهر الاعتقاد  
سليم الفؤاد عدواً لأهل الكفر والإلحاد وكان كثير الفزو والجهاد وبني كثير أمن الجوامع  
والمدارس وأجرى فيها الخيرات الكثيرة رحمه الله تعالى وتسلطن بعده ولده ( السلطان  
مراد الأول ) فلما جلس على سرير الملك وحاصر مدينة أنكورية وكانت عصت عليه  
ففتحها عنوة وكانت من أمنع الحصون ، فلما سمع بخبره ابن قرمان صاحب مدينة لارندة  
خشى على بلاده فجمع جموعا من التتر وورشق وطورغود والتركان وغيرهم وسار بجموع  
لا يحصى لقتال السلطان مراد المذكور فجرى بينهما قتال شديد وحرب أكيد ، ثم انجلى  
الأمر عن هزيمة ابن قرمان وانتصر السلطان مراد .

### ذكر فتح أدرنة

وفي هذه السنة أيضا جهز السلطان مراد جيشا وأرسله لفتح أدرنة ، وجعل عليه  
شاهين لالا الأنا بك ، فاقتلوا قتالا شديدا وعجزوا عن أخذها ، وسألوا السلطان مراد أن  
يقدم عليهم بنفسه فسار السلطان مع جيوش الموحدين وغزاة المجاهدين فاجتاز البحر ، فلما  
سمع الكفار بقدمه تزلزلت أركانهم وهرب سلطانهم ، فلما سمع المسلمون بذلك هجموا  
على المدينة فأخذوها وأرسلوا السلطان فحمد بذلك الله وأثنى عليه وجاء فدخل المدينة ،

وهي من أعظم مدن الدنيا تجرى من تحتها ثلاثة أنهار وبينها وبين القسطنطينية سبعون ميلاً، ثم أرسل لالا شاهين الأتابك ففتح مدينة فلبه ثم فتح زغرة بنواحينها وعادوا إلى مدينة بروسا. ومن غزواته أنه سار إلى أقليمي الصرب والبلفار وفتح فيها فتوحات وأتخذهم قتلاً وأسراً وكان ببر الأناضول جملة من أمراء الأتراك لم يزالوا باقين على الاستقلال فحاربهم وأخضعهم واستولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهية وخضع لسلطنته معظم مقاطعة مكدونيا وبلاد الأرناؤود وفتح كثيراً من بلاد اليونان وعبر بحر مرمرية وفتح مدنا وقلاعاً جهة تاساليا.

### ذكر ابتداء اختراع عسكر الانكشارية

وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة أشار خليل باشا على السلطان بأن يأخذ خمس الأسارى من الفانين على زقاق كليبولى وكان الغزو والجهاد في بلاد الروم ابلى متتابعاً، فكانت تسبى الأسارى وتأتيه كالسيل الهامى والبحر الطامى فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة، فأمرهم السلطان بتعليم علم الرمي بالبندق فتعلموا ثم ميزهم وأرسلهم إلى خدمة الشيخ الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسميتهم باسم ويدعوا لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا عند العارف بالله تعالى الشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فألبسه رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة وسماهم ينك جرى والجارى على الألسن انكشارى ومعناه العسكر الجديد لأن السلطان عثمان كان أكثر عساكره من فرسان التركان ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكرى ولا انتظام لهم حال القتال فاستصوب السلطان أورخان ترتيب عساكره على هذا الوجه فأحدث وجاق الانكشارية ورتبه ولم يتسمه وصار تمام انتظامهم على يد ابنه السلطان مراد واستمر وجاق الانكشارية إلى زمن السلطان محمود الثانى فأبطله وأبادهم كما سيأتى سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف وأحدث النظام الجديد الموجود الآن وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مرادخان من صاحب بلاد حميد خمس قلاع وهي بلواج وبنى وآق شهر وقره شهر أغاج وسيدى شهر. وفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان مراد المذكور إلى

قال رئيس الكفار ابن لازقا وكان قد تجمع لقتاله أهل اليونان والصرب والافلاق  
والبغدان وأهل الماعن والمجر والبلغار وتحزبوا جميعاً عليه فاتفق موافقته بمسكر الكفار  
بموضع يقال له قوصو ببلاد الروم ابلى فالتحم بين الفريقان القتال إلى أن هبت رياح النصر  
للمسلمين وقتل رئيس القوم الكافرين وانقلب الكفار على أديبارهم صاغرين .

### ذكر استشهاد السلطان مراد الأول

ثم أنه لما انهزم الكفار أقبل من أمرائهم أمير يقال له يلواش في خيله ورجله مظهراً  
للطاعة فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان في كفه فمن ذلك سن العثمانية عند قدوم  
الوافد وتقبيل يد السلطان أن يمك أحد من طرف كفه وآخر من كفه الآخر احترازاً  
من ذلك ، فمات السلطان سنة سبعمائة واثنين وتسعين من ضربة ذلك الخنجر وخرجت  
أعماه فدفنوا أمعاه هناك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسا وقتلوا ذلك الكافر  
الذي ضربه وقطعوه بالخناجر وكان السلطان مراد المذكور رحمه الله ملكاً جليلاً عارفاً  
وكان أفنى عمره في الجهاد وكان شجاعاً مقداماً على الهمة توفي وعمره خمس وستون سنة  
ومدة سلطنته إحدى وثلاثون سنة وتسطن بعده ولده ( السلطان السعيد يلدرم  
بايزيدخان ) وبعد جلوسه أخذ في محاربة الصرب الذين كان أبوه يحاربهم وتقوت  
عساكره إلى أن وصلت إلى ودين وتملكوا مدينة أسكوب والتزم ملك الصرب أن يزوج  
أخته للسلطان المذكور وأن يدفع خراجاً سنوياً ومن فتوحاته أنه استولى على جزيرة رودس  
وكانت للمسلمين فتملكها النصارى وتكرر انتزاعها منهم مرة بعد أخرى وآخر الأمر  
انتزعا هذا السلطان منهم . وفي سنة اثنين وتسعين وسبعمائة فتح السلطان المذكور  
قرطوة وهي معدن الفضة الخالصة التي لا نظير لها وفتح بلاد اسكوب وهي من أجل البلاد  
الإسلامية وفتح قلعة ودين نخاف ابن آيدين من السلطان المذكور وسلم مفاتيح قلاعه إليه  
وفيها أطاع السلطان أهل بلاد قرسي وصاروخان وفيها هرب صاحب قسطنطين وهو ابن  
مفتشا فأرسل السلطان من يضبط تلك القلاع ولما نقض العهد علاء الدين صاحب بلاد

قرمان وبلغ السلطان أنه أغار على بعض بلاد أناضولى هجم عليه السلطان فانهزم فلاحقه بموضع يقال له آق جارى فأسر هو وابناه فنازل السلطان مدينة قونية وهى كرمى مملكته وحاصرها وكان وقت إدراك الفلال ، فرسم السلطان بأن لا يتعرض أحد لشيء من الفلال وأن لا يظلموا أحداً وأذن لأهل القلعة بأن يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا على مقدار ماشاءوا فخرج أهل القلعة وأصلحوا شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه أرادوا فلما شاهدوا ذلك رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إن ملكا بلغ منا هذا المبلغ لا ينبغي أن نعصيه ، ونخرج عن طاعته . فحضروا برمتهم طائعين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا أنت أحق بها وأهلها فلما رأى أهل سائر القلاع ما فعل أهل قونية ، وهى عمدة بلاد قرمان رغبوا فى للتابعة بمفاتيح قلاعهم وهى بلدة آق سراى ونيكدة وقيصرية ودولى قره حصار وسلموها إلى السلطان المذكور ثم رجع إلى مقر مملكته بروسة بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة وبقيا إلى أن أطلقهما الخارجى تيمور . وفى سنة خمس وتسعين وسبعائة استولى السلطان المذكور على سيواس وأماسية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وكلها كانت بيد السلجوقية وعمالهم وفى آخر هذه السنة بلغه أن صاحب قسطنونى أغار على بعض البلاد التى بيد السلطان بايزيد وعاث فيها نهباً وتخريباً فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر لغزو الكفار إلى طرف روم ايلى فترك الغزو ورجع لقتال صاحب قسطنونى فمات قبل أن يصل إليه السلطان بايزيد وتملك ابنه وأرسل إلى السلطان يستعطفه ويسترضيه ويقول إن أبى قد جنى وقد مات وأنا مطيع لأوامر مولانا السلطان ومن جملة مما ليك فالمناسب لعدله أن لا يؤخذ أحداً بذنب غيره وأرجو من مكارمه أن يترك لى مدينة سينوب وهى مدينة أبى ومسقط رأسى ويجعلنى فيها نائباً عنه فأجابه السلطان إلى سؤاله وعاد إلى مدينة بروسة ثم أرسل السلطان بايزيد إلى صاحب القسطنطينية يقول له إما أن تخرج من البلاد وتسلمها وإما سرت إليك فأتيتك فى أعز مساكنتك فخاف منه ملك القسطنطينية وتراسل معه إلى أن قر الأمر بينهما بأنه يدفع خراجاً فى كل سنة عشرة آلاف ذهب وأن يبنى للمسلمين فى داخل المدينة محلة يسكنون

فيها ، ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يقضى لهم الخصومات فرضى بذلك وفعله واستمر ذلك إلى وقعة تيمور ، فنقض العهد وأخرب الجامع ، وأخرج المسلمين من البلد وساقهم إلى الروم . قال الحافظ ابن حجر في كتابه أنباء الغمر في أبناء العمر واشتهر بلدرم بايزيد بالجهاد في الكفار حتى بعد صيته وكاتبه الظاهر برقوق صاحب مصر وهاداه ، ووفد إليه أمير بعد أمير بالهدايا ، ولم يبق أحد من ملوك الأرض حتى كاتبه وهاداه قال الحافظ وسمعت شيخنا ابن خلدون يقول إنما نخاف أن تملك مصر من ابن عثمان . وكذا كان يقول الظاهر برقوق أنا لا أخاف من الكفار فإن كل أحد يساعدي عليهم وإنما أخاف من ابن عثمان . والحاصل أن هذا السلطان افتتح أقاليم كثيرة في الأناضول وروم إلى واستولى على مدينة سلانيك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيوش الفرنج ثم وجه عزمه وهمته لفتح القسطنطينية وأخذ في تدبير ذلك وشرع في محاصرتها ثم قدر الله بسير التيمور إلى قتاله . وفي سنة ٨٠٢ اجتمع كثير من ملوك الروم الذين اقتلع ملكهم السلطان بلدرم بايزيد وسار إلى تيمور مستغيثين به يشكون إليه من السلطان بايزيد ويرغبونه في السير إلى الروم ويستنجدون به عليه في رد ممالكهم فأجاب تيمور سؤالهم وسار بجيوش كثيرة ووقع بينه وبين السلطان بايزيد مكاتبات كثيرة فلم يرجع عن قصده والكلام على ذلك قد تقدم عند ذكر تيمور مبسوط وكان السلطان بايزيد محاصراً القسطنطينية وقد قارب فتحها وأشرف عليه فتركها وتوجه بعساكره لقتال تيمور ، وكان غالب عسكر السلطان من التتر فأرسل تيمور إلى زعمائهم والكبار من رؤسائهم وأمراءهم يستميلهم ويدكرهم الجنسية ويعدم ويمنيهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا فوعده بالعاونة ، وكان تيمور قد نازل أنقورية فقصده السلطان والتقت الجيوش بقرب أنقورية واشتد القتال فانهزم التتر الذين مع السلطان بايزيد فتبعهم كثير من العسكر في الانهزام فانهزموا وبقى السلطان بايزيد يقاتل بنفسه إلى أن وصل إلى تيمور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وأمسكوه أسيراً وكان رحمه الله من خيار اللوك ، وكان مجاهداً مرابطاً قد فتح من بلاد الكفار ومدنهم الكبار ما لم يحسبها من

المسلمين خف ولا حافر وكان قوى النفس شديد البطش على الهمة ولما أخذ السلطان بايزيد أسيراً صحبه تيمور معه إلى بلاد العراق قاصداً خراسان ومكث في آثره إلى أن توفي في تبريز سنة ٨٠٥ ثم وقعت فتن كثيرة في أراضي الروم بين أولاد بايزيد مع بعضهم واستمرت إلى سنة عشرة وثمانمائة فتم الملك والسلطنة (للسلطان محمد الأول ابن بايزيد) وكان أصغر إخوته فالله سبحانه وتعالى يؤتى الملك من يشاء ولا يسأل عما يفعل وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحارب (قره دولقشاه) من التتر في نواحي ماسية فسار عليه وهزمه وبدد شمله ثم قصد قتال صاحب سينوب وجرى بين الفريقين قتال شديد انتصر فيه السلطان محمد وانهزم صاحب سينوب أقبح هزيمة واستولى السلطان محمد على جميع ممالكه، ثم بعد ذلك صفى له الدهر واتمظم له الأمر ولم يبق من ينافعه في ملكه وفتح مدينة أزمير ونقل كرسى السلطنة إلى أدرنة وأتته رسل ملوك الإفرنج بالهدايا وبالتهاني وعقدوا معه صلحاً خوفاً منه وأعاد رونق السلطنة ووسع نطاقها، ثم لما بلغه أن ابن قرمان نقض العهد وتعرض لأخذ بعض البلاد سار إليه بجيش عظيم فقاتله فهزمه وتبعه حتى أسره وولديه فأحضر بين يدي السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه وعن ولديه وأطلقهما وعين لهما بعض بلادها وأخذ عليهما العهد والميثاق أن لا يخونا بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان فيها قلعة صوري حصار وقلعة قير شهر وقلعة نيكده وقلعة آق شهر وقلعة سيدى شهر وقلعة أوغازى وقلعة بنى شهر وقلعة سعيد إيلي، ثم سار واستولى على صامسون وغالب هذه البلاد، وكانت قد افتتحها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور إلى بلاد الروم ردها إلى أصحابها فارتجمها منهم السلطان المذكور، وكان السلطان محمد المذكور ملكاً جليلاً مهاباً محب للعلماء والصلحاء وهو أول من عين الصرة لأهل الحرمين واستمر في ملكه ثمانية أعوام وعشرة أشهر وتوفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثمان وأربعون سنة وعهد بالسلطنة لولده مراد الثاني، وكان ولده المذكور إذ ذاك غازياً في أقصى بلاد روم إيلي فأخفى الوزراء موت السلطان محمد مدة إحدى وأربعين يوماً حتى وصل ولده (السلطان

مراد) إلى مدينة بروسة واستقر على التخت ثم بعد ذلك أظهروا موت السلطان ، وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة ظهر رجل ادعى أنه مصطفى بن السلطان يلدرم بايزيد وكان مصطفى المذكور فقد في محاربة التيمور فادعى أنه هو وأقام في نواحى سلانيك فاجتمع عليه خلق كثير واستولى على جميع بلاد الروم إيلى وعلى مدينة أدرنة ، ثم اجتاز البحر إلى طرف أناضول ليقاتل السلطان مراد ، وكان السلطان مراد بعث قبل ذلك وزيره بايزيد باشا وصحبه عساكر كثيرة إلى أدرنة لقتال الخارجى المذكور فقاتلوه بقرب أدرنة فانصر الخارجى وانهمزم عسكر مراد وأسروا الوزير بايزيد باشا وقتله الخارجى فسار السلطان مراد بنفسه لقتاله بعساكر وافرة فقدر الله أن الخارجى المذكور أصابه لرعاف واستمر به ثلاثة أيام حتى ضعف جداً وجعل يخلط فى الكلام واختل عقله فلما تحقق ذلك أركان دولته ووجوه عسكره تيقنوا خذلانه فداخلهم الخوف ففرقوا شذر مذر وهرب الخارجى مع ضعفه إلى طرف روم إيلى فلما شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اجتازوا خلف المنهمزمين فأسروا منهم خلقاً كثيراً وقتلوا غالبهم وغنموا منهم أموالاً ودواب كثيرة ثم أمر السلطان بعض أمراءه حتى لحق الخارجى بقرب أدرنة نظفر به فقتله وانتظم الأمر للسلطان مراد وارتجع جميع ممالكه ، وكان حريصاً على فتح القسطنطينية فأقام بمائتى ألف مقاتل وحاصرها حصاراً شديداً فقاومه أهلها أشد مقاومة ثم رجع الحصار عنها ورجع إلى دار ملكه لتسكين الفتن التى أضرمها الروم بتلك النواحى فقاتلهم حتى أخذ تلك الفتن واستخلص تلك المدن وما زال يتقدم حتى داخل بلاد المورة فلما ذاع عند الفرنج خبره نهض البابا وعقد عهداً بين ملوك الفرنج على محاربتة فأجاب إلى ذلك الفرنسيين وجرمانيا والمجر وبولونيا فكان بينه وبينهم حروب كانت الغلبة فى بعضها لهم وفى بعضها له ثم عقد معهم صلحاً سنة ٨٤٧ وفى سنة ٤٩ نزل السلطان مراد عن السلطنة لولده السلطان محمد وخلع نفسه عن السلطنة واختار لنفسه مدينة ميفيسيا فانتقل إليها واعتزل عن الملك وشاع هذا الخبر فى الآفاق وقال ملوك الكفار بعضهم لبعض أن ملك المسلمين قد صار شيخاً كبيراً فاعتزل الملك وجعل منصبه لولده وهو صبى صغير لا يخشى منه

فاتفق قرال أنكروس وقرال الألمان وقرال جه وقرال له وأميرل طين وأمير بوسنة وصاحب  
أفلاق وبنفدان وطوائف الإفرنج على قتال المسلمين وأن لا يدعو من بلاد الإسلام  
حجراً على حجر ، فلما بلغ ذلك أركان الملك خافوا واستصوبوا أن يدعوا السلطان مراد  
من مفسيسيا ليكون معهم لأنه سلطان شاع بذكره الأخبار وطال ما أنكى الكفار  
فأرسلوا يطلبونه فامتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخذوني فلم يزالوا يدخلون  
عليه حتى رضى .

### ذكر غزوة عظمى

سار مع ولده السلطان محمد إلى طرف العدو فلما تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تكاثر  
كل من الفريقين على الآخر وانهمز المسلمون وجعل الكفار يطردونهم ويقتلونهم ولم  
يبق إلا السلطان مرادخان في القلب ، فلما شاهد ذلك الحال رفع يده إلى الله تعالى وسأله  
النصر والعون وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم تمض ساعة حتى اغتر قرال أنكروس  
وهو كبيرهم فبرز من بين عساكره فانفرد وجعل يدعو السلطان مراد للمبارزة ثم هجم  
على المسلمين فتقنطر به فرسه فسار إليه المسلمون فقتلوه وحزوا رأسه ورفعوه على رمح ،  
وجعلوا يصيحون هذا رأس قرل الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم  
وساق المسلمون خلفهم وقتلوا قتلاً ذريعاً وكان يوم غم ثم سرور والعاقبة للمتقين ،  
وأما الغنائم والأسرى فلا تحصى ولا تحصر ، ثم إن السلطان مراد لما رجع من الغزو  
وأمضى سلطنة ولده السلطان محمدخان على ما كان عليه ، وسار هو إلى طرف مفسيسيا واستمر  
الحال إلى أن تحرك طائفة الينكجيرية وعادوا وكبسوا بيوت الأمراء والوزراء ونهبوها  
وكان ذلك في سنة ٨٥٠ .

### ذكر غزوة أخرى

فعند ذلك رأى الوزراء وسائر أركان الملك أن يعيدوا السلطان مراد إلى الملك  
ليسترهبهم فطلبوه وأجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمد إلى مكان أبيه



مغنيسا وبقى بها إلى أن توفي أبوه فجلس بعده واستمر على تخت السلطنة السلطان مراد  
يفزو حتى استولى على معظم بلاد الكفار وسار إلى بلاده المورة وبقى الأقاليم المجاورة  
بها فأخضعهم ورتب عليهم الخراج وجرت على آثار ذلك حروب كثيرة بينه وبين  
الأرناؤوط والمجر إلى أن توفي سنة ٨٥٥ وعمره تسع وأربعون سنة ومدة سلطنته إحدى  
وثلاثون سنة ، وكان ملكا جليلا صالحا يعنى بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء  
مهد المالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين ، وكان مقداما  
فاتكا شجاعا كريما واسع العطاء عين للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته في كل عام  
ثلاثة آلاف وخمسة مائة دينار وللشرفاء من خزينته في كل عام مثل ذلك رحمه الله تعالى  
وأوصى ابنه محمد أن يهتم بفتح القسطنطينية ويوجه إليها جنوده فتسلطن بعده ولده  
( السلطان محمد الثاني ) فاتح القسطنطينية وهو السلطان الظليل الفاضل النبيل أعظم  
الملك جهادا وأقوام إقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذي أسس  
ملك بني عثمان وقنن لهم قوانين وصارت كاطوق في أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا  
فاضلة جليلة وآثار باقية في صفحات الليالي والأيام وما تزال يحورها تعاقب السنين والأعوام  
ولما تسلطن كان عمره ١٩ سنة فخرج إلى قتال صاحب قرمان فخاف منه صاحب قرمان  
وصالحه ، فعاد إلى مقر ملكه .

### ذكر فتح القسطنطينية

ثم لم يكن له ثم إلا فتح القسطنطينية فشرع في مهماتها ومقدماتها وهي من أعظم  
البلدان وأكبرها وأمنها حصنا لأنها أحاط بها البحر من كل صوب إلا الطرف الغربي  
وهو طرف بسير ، وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة خنادق يجرى فيها ماء البحر مع  
ما فيها من المكاحل والمدافع فأظهر السلطان مسألة صاحب القسطنطينية وذلك سنة ست  
 وخمسين وثمانمائة ثم طلب من طرف بلاده أرضا مقدار جلد ثور يهبها له فاستقل ذلك  
صاحب القسطنطينية ، وقال سبحان الله ما يفعل به ، فهو له فأرسل السلطان المزبور جماعة  
من البنائين والصانع فاجتازوا الخليج الداخل من بحر نيطش وهو البحر الأسود إلى

بحر الروم فقدوا جلد الثور قدماً رقيقاً ، فبسطوه على وجه الأرض على أضييق محل من فم الخليج فبنوا على القدر الذي أحاط ذلك الجلد سورا منيعا شامخا وحصنا رقيقا باذخا ، فركب فيه المدافع الرعدية والمكاحل الشهابية ، ثم بنى السلطان في مقابلة ذلك الحصن في بر أناضولى حصناً آخر وهو في طرف بلاده فشحنه بالآلات النارية والمرامى الرعدية حتى ضبط فم الخليج ، فلم تقدر بسلكه بعده شيء من مراكب البحر الأسود إلى القسطنطينية وإلى بحر الروم ثم وجه عزمه إلى مدينة أدرنة فأمر بإنشاء دار السعادة الجديدة فشرعوا في بنائها ثم أمر بسبك المدافع الكبار وعمل المكاحل لأجل فتح القسطنطينية فأكثروا منها ثم لما تكاثرت الآلات وتكاملت الأسباب المتعلقة بالقتال قدر الله أن انتفضت المسألة التي كانت بينه وبين ملك القسطنطينية لأسباب جرت فأرسل ملك القسطنطينية يتهدده بكلام غليظ فكان ذلك سبباً للاستعداد لقتاله وقوة عزمه على ذلك ولما علم ملك القسطنطينية بعزمه على قتاله أرسل إلى ملوك الإفرنج يستنجد بهم وواعدهم بضم الكنيسة الرومية الشرقية إلى الكنيسة الرومانية الغربية ، ففرح البابا بهذا الخبر وكان يتمناه ، وأرسل له نجدة من عساكر ملوك الإفرنج فلم يجد ذلك نفعاً إذ لم يكن للروم اهتمام بهذا الحرب لكرهيتهم ضم الكنيستين معاً ومن ذلك الوقت جرت البفضاء في قلوبهم لملك القسطنطينية وتخلوا عنه في المدافعة والمحاماة حتى قال بعض أكابرهم : أحب أن أرى في القسطنطينية تاج السلطان ولا أرى أكليل البابا فهض في أوائل شهر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بمسكر كثير وجيش كبير يبلغ مائتين وستين ألفاً بعزم صارم ورأى حازم في أسعد أوقات الحركات متوكلاً على فائض الخبرات فخيم على القسطنطينية وبازلها من طرف الشمال وكان له أربعائة غراب قد أنشأها هو وأبوه قبل ذلك التاريخ فأرسلها عند الحصن الذي أنشأه على مقصدار جلد الثور المرسوم ببغاز كسن فأمر بتلك الأغربة فسحبت إلى البر بعد أن جعلت تحتها دواليب تجرى عليها كالمجلة وشحنها بالرجال والأبطال ثم أمر بنشر قلاعها فتشرت في ريح شديد موفقة فساروا في البر على هذه الهيئة حتى انصبوا إلى الخليج الواقع شمالي البلد من طرف مدينة غلظه فامتلاً الخليج من تلك

الأغربة ، ثم قربوا بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل ، فصار جسراً ممدوداً ومعبراً لطيفاً وكان أهل البلد آمنين من هذه الجهة ولم يحصروها وإنما كان خوفهم من جهة البر فكانوا حصونها وغفلوا عن هذه الجهة لأمر يريده الله تعالى فشرع المسلمون في الحصار والقتال من جهة البر والبحر مدة واحد وخمسين يوماً حتى أعيد المسلمين أمرها ، وما زالوا مثابرين الحصار والقتال ، فجمع ملك القسطنطينية أعيان الأمراء والقواد ، لما اشتد عليهم الأمر وأخذ يجرضهم على القتال وبعد خطاب طويل أخذوا بالبكاء والمويل وعانق بعضهم بعضاً بقصد الوداع ، ثم قصدوا الأسوار وتحصنوا فيها .

### ذكر دخول المسلمين القسطنطينية بعد فتحها

فلما كان اليوم التي فتحت فيه وهجم المساكر العثمانية ودخلوها قاتل ملكهم قتالا شديداً إلى أن قتل في الحركة ، وقتل معه خلق كثير ، فدخلها المسلمون وأسروا أهلها وأحرقوا مكاتبها ، يقال إن عدد ما فقد منها مائة وعشرون ألف مجلد وكان السلطان محمد قد أرسل وزيره أحمد باشا ابن ولي الدين باشا قبل هذا التاريخ إلى خدمة العارف بالله الشيخ آق شمس الدين وإلى خدمة الشيخ آق بيق بدعوها للجهاد والحضور معه في فتح القسطنطينية فحضروا ، وبشر الشيخ شمس الدين المذكور بالنصر وقالوا : ستفتح إن شاء الله تعالى قسطنطينية على يد المسلمين في هذا العام وأنهم سيدخلونها من الموضع الفلاني في اليوم الفلاني من هذا العام وقت الضحوة الكبرى ، وأنت تكون حينئذ واقفاً عند السلطان محمد فبشر الوزير السلطان بما بشر به الشيخ من خبر الفتح ، فلما كان ذلك الوقت الموعود به ولم تفتح القلعة حصل للوزير خوف شديد من جهة السلطان فذهب إلى الشيخ فمنعوه من الدخول إليه لأنه أوصى جماعته أن لا يدخلوا عليه أحداً فرفع الوزير أطناب الخيمة فنظر فإذا الشيخ ساجد على التراب ورأسه مكشوف وهو يتضرع ويبكي فمارف الوزير رأسه من أطناب الخيمة إلا وقد قام الشيخ على رجليه وكبر وقال الحمد لله

الذي منحنا فتح هذه المدينة قالوا الوزير فنظرت إلى جانب المدينة فإذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففتح الله ببركة دعائه في ذلك الوقت الذي كان أشار به وكانت دعوته تخرق السبع الطبايق فلما دخل السلطان محمد خان المدينة نظر إلى جانبه فإذا وزيره ابن ولي الدين ويقف عنده فقال هذا ما أخبر به الشيخ وقال ما فرحى بهذا الفتح ، وإنما فرحى بوجود مثل هذا الشيخ في زمانى ( ومن مناقب ) هذا الشيخ أنه كان طبيباً يداوى الأبدان كما هو طبيب لدواء الأرواح . يحكى أن الأعشاب كانت تناديه وتقول له أنا أضع للمرض الفلانى وكان فتح مدينة القسطنطينية نهار الأربعاء لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وكانت أيام محاصرتها واحداً وخمسين يوماً فغم المسلمون من الأموال والأسباب والدواب ما لم يسمع بمثله في عصر من الأعصار لأن السلطان لما شاهد العى والفتور من العسكر فى الحصار أمر بأن ينادى أن الغنائم كلها لهم ، ويكفينى فتح المدينة فلما بلغهم ذلك بذلوا جهدهم واجتهدوا حتى يسر الله فتح المدينة فلما شاع خبر هذا الفتح فى الآفاق هابه ملوك العالم فأرسل إليه صاحب مصر وصاحب المعجم وصاحب الغرب بالمكاتبات والمراسلات يهنئونه بالفتح ولا شك أن هذا الفتح من أعظم الفتوحات الجليلة وكم من الخلفاء والملوك من رام فتح هذه المدينة وصرقوا همهم وبذلوا جهدهم وأموالهم وأفنوا أعمارهم ، وعسا كرم فلم ينالوه وإنما حباه الله تعالى لهذا السلطان الجليل والملك الجميل لكونه أخلصهم نية وطوية وأحسنهم سيرة وضمن بعضهم هذا المعنى فى تاريخ الفتح فقال :

رام أمر الفتح قوم أولون حازه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظ آخرون تاريخاً بفتح المدينة المذكورة بعدد حساب الحروب ٨٥٧ وقيل فى تاريخها أيضاً بلدة طيبة ٨٥٧ بحساب كل تاء مربوطة بأربعائة وذلك جائز عن بعضهم وهى كذلك فى طيب الهواء ولما دخل السلطان مدينة القسطنطينية سارع بالتوجه إلى كنيسة العظمى أيا صوفياً فدخلها وطهرها من خبائث الكفر وصلى فيها ودعا الله تعالى وحده وأثنى عليه وجعلها مسجداً جامعاً للمسلمين وعين له أوقافاً ومرتبات ثم ان السلطان عمداً التمس من الشيخ شمس الدين أن يريه موضع قبر أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه

فقال الشيخ إني شاهدت في موضع نوراً لعل قبره هناك فجاء إليه وتوجه زماناً ثم قال  
اجتمعت مع روجه فهتأني بهذا الفتح وقال شكر الله سعيكم الذي خلصتموني به من ظلمة  
الكفر فأخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه إلى هناك وقال ألتس منك يا مولانا الشيخ  
أن تريني علامة أراها بعيني ويطمئن بذلك قلبي فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا في  
هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط  
عبراني . فلما حفروا ظهر رخام عليه خط عبراني فقرأه من يعرفه وفسره فإذا هو قبر أبي  
أيوب الأنصاري رضي الله عنه فغلب على السلطان محمد حال حتى كاد يسقط لولا أن أمسكوه  
ثم أمر ببناء قبة عليه وقد روى الإمام أحمد بإسناد حسن في مسنده والحاكم عن بشر  
الغنوي لتفتحن بالبناء للمعمول القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها  
وهذا حديث معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلم من أعلام نبوته لأن فيه  
الأخبار بالغيب ووقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم وهو صادق على السلطان محمد خان هذا  
وعلى جيشه وإن كان الغزو إلى القسطنطينية وقع في زمن الصحابة ومن بعدهم وافتتحوا  
طرفاً منها في خلافة معاوية رضي الله عنه في الغزوة التي استشهد فيها أبو أيوب الأنصاري  
رضي الله عنه ثم استرجع الروم الطرف الذي افتتح في ذلك الزمن فانفتح التام إنما هو  
هذا الذي في زمن السلطان محمد الفاتح ففي الحديث منقبة عظيمة له وروى الإمام أحمد  
والبخاري ومسلم عن أم حرا بنت ملحان رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال أو جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فهذا يحمل على أول غزوة وجهت  
القسطنطينية وهي التي كانت في زمن معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين من الهجرة  
وكان فيها كثير من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمرو وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري  
 وغيرهم رضي الله عنهم وكان في ذلك الجيش يزيد بن معاوية قيل كان هو أمير الجيش  
 وقيل كان الأمير سفيان بن عوف وقوله مغفور لهم مشروط بكون المغفور له منهم من  
 أهل المغفرة بأن يموت مؤمناً فلو ارتد واحد والعياذ بالله من ذلك الجيش ، ومات كافراً  
 كان خارجاً من عموم تلك المغفرة وهكذا يقال في كل حديث يذكرك فيه ، أن من فعل

كذا يغفر له أو دخل الجنة فإن ذلك مشروط بالوفاء على الإيمان ومثل ذلك قد برد في كلام بعض الأولياء بأن يقول أحدهم مثلاً من رأى دخل الجنة أو من أكل طعامي دخل الجنة فإن ذلك مشروط بالوفاء على الإيمان فلا يشكل عليك شيء من ذلك . وبني السلطان محمد عند قبر أبي أيوب جامعاً عظيماً وبعد تمام بنائه ذهب إليه بموكب عظيم وأقام الصلاة فيه وقلده الشيخ شمس الدين سيفاً بيده ومن ذلك الوقت جرت العادة أن السلطان الذي يجلس على تخت الملك يذهب إلى هذا الجامع ويتقلد بالسيف وهو بمنزلة التتويج عند ملوك الفصاري .

### ذكر الغزو إلى بوسنة

وفي سنة ثمان وخمسين وثمانمائة غزا السلطان محمد بلاد بوسنة بمسكر كثير وقتلهم أشد قتال واستولى على عامة بلادهم ولم يبق للكفار قائم بعد ذلك هناك وفي سنة إحدى وستين وثمانمائة وجه همة إلى افتتاح جزيرة رودس فهدد أهلها وطلب منهم الخراج فامتنعوا وأرسلوا إلى البابا صاحب رومية يستنجدون به فأخذ يحث ملوك الإفرنج على محاربة الدولة العثمانية ، فلما بلغ السلطان محمداً هذا الخبر نهض بمائة وخمسين ألف مقاتل وحاصر مدينة بلغراد وضيق عليها برأ وبحراً حتى كاد يفتحها فأخذ أحد الرهبان غيرة شديدة وصار يحث المسيحيين على المدافعة عن ملك المدينة فاستمال نحو أربعين ألفاً من العساكر النمساوية وقادم قائد من المجر فأضر بالسفن العثمانية بواسطة هذه العجدة ، واستمر السلطان محمد أربعين يوماً ، وهو يكرر الهجمات على المدينة المذكورة ثم ارتحل عنها ، وأما قائد جيشهم الذي هو من المجر فجرح جرحاً بليغاً هلك به وبعد هذه الغزوة زحف السلطان محمد على ولاية أئينا من بلاد اليونان ففتح دوكة وأئينا وهي المدينة الشهيرة فيها .

## ذكر الغزو إلى بلاد الصرب والبوسنا والأرناؤوط

وفي سنة ثلاث وستين وثمانمائة توجه إلى بلاد الصرب وفتح فيها فتوحات ، وفي سنة ست وستين فتح إيالة طرابزون وولاية سينوب وأتى بصاحبها أسيراً إلى القسطنطينية فقتله السلطان محمد وكان له أولاد ثمانية فقتلهم معه ، وكان صاحب سينوب يكاتب ملك العجم ويعينه على السلطان محمد ، وفي سنة سبع وستين وثمانمائة توجه إلى إتمام تملك إقليم بوسنة ، وشن الفارات على ولاية الأفلاق والبغدان والصقالبة ، ثم صوب عزيمته إلى فتح بلاد الأرناؤوط وهم صنف من النصارى يتصبرون على المحن ويتكفون الأعمال الشاقة قيل أصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ما أتى الله بالإسلام فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد وقيل أصلهم من البربر عبروا البحر من المغرب إلى هذا الصوب ، ثم غلب عليهم الجهل فتنصروا فدخل السلطان بلاد الأرناؤوط فنهبا واستولى على عدة قلاع هناك ، وأمر ببناء قلعة حصينة في ثغر عظيم هناك كالد بينها وبين الكفار وشحنها بالرجال وسماها آق حصار وأودع فيها من المدافع والمكاحل ما يقبها ، وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة غضب السلطان محمد على صاحب قونية ولارندة فانزع منه ولاية قرمان وجعل فيها ابنه السلطان مصطفى ثم استولى على قلاع عاصيه هناك مثل قلعة اركلي وقلعة آق سراي وقلعة كوك وقلعة بولي وجعل الجميع لابنه المذكور وفي سنة خمس وسبعين فتح جزيرة أرغبوز من أعمال البندقية بعد أن أوقع بأهلها وقتل أكثرهم ثم استولى على بقية بلاد الأرناؤوط بأسرها.

## ذكر إغراء العجم والتر على الإغارة والنهب

وفي سنة ۸۷۶ بعث صاحب العجم حسن بك الطويل ويوسفجه بك مع عسكر التر إلى نهب بلاد العثمانيين فجاءوا ونهبوا مدينة توقات وأضرموا فيها النار وأغاروا عليها ثم اغتر يوسفجه بك فهجم على بلاد قرمان وأغار عليها وكان واليها يومئذ السلطان مصطفى ابن السلطان محمد ، وكان في غاية من الشجاعة فقاتل العدو فهزمه وأمر

رئيسهم يوسف بك وكبله في الحديد وأرسله مع عدة من الأسارى إلى أبيه السلطان محمد فكان ذلك عنوان الفتح ومقدمة النصر وفي سنة ٨٧٧ وقع قتال بين السلطان مصطفى بن السلطان محمد وبين زينل شاه ولد حسن الطويل فانتصر عليه السلطان مصطفى وانهزم جيشه وصارت الجيوش العثمانية يطردونهم ويقتلونهم وبأسرونيهم وظفر بزینل شاه فقتله ، ثم صار مصطفى إلى قره حصار الشرقى وهو من بلاد حسن الطويل فاستولى عليها وأدرجها في جملة ممالكه ، وفي هذه السنة بعث السلطان محمد وزيره كدك أحمد باشا لفتح بلاد كفة فحاصرها حتى غلبها وفتحها ثم افتتح هناك عدة حصون وقلاع .

### ذكر للغزو إلى بغداد

وفي سنة ٧٩ سار السلطان محمد إلى قتال كفار البغدان فخاف منه كبيرهم استفان فهرب إلى أقصى بلاده فدخل السلطان بلاد بغداد وتوغل فيها وقتل من قدر عليه فكانوا خلقاً لا يحصى وأسرو سبي ونهب حتى أذعن رئيسهم استفان المذكور بالطاعة وأعطى الجزية ، وفي سنة ٨٨٥ صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة رودس فأرسل إليها أساطيل بحرية مشحونة بمائة ألف مقاتل فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة أشهر فلم يتيسر فتحها لأنها كانت حصينة ثم ارتحلوا عنها ، وفي ٨٦ جهز جيشين عظيمين أحدهم لمحاربة جزيرة قبرص ، والآخر لقتال المعجم وأدركته الوفاة قبل تمام الأمر . فتوفي ليلة الجمعة آخر شهر ربيع الأول من سنة ٨٨٦ وعمره إحدى وخمسون سنة ومدة ملكه استقلالاً بعد وفاة أبيه ٣١ سنة وشهران ، وكان ملكاً جليلاً يعجز الواصفون عن مقدار فضائله ومحاسنه ، وكانت همته لا تكمل ولا تعجز ولا تفتر عن الفتوحات رحمه تعالى ، قال العلامة القطبي عن بعض أوصاف السلطان محمد المذكور ، والمرجوم المقدس قلادات من لا تحصى في أعناق المسلمين لاسيما العلماء الأكرمين قلدها في أجيادهم فهي باقية إلى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه لشحنت بها مجلداً أسكنه الله تعالى فسيح الجنان وأنزل على قبره سحائب الرحمة والرضوان ، وتسلطن بعده ولده (السلطان بايزيد الثانى) ونازعه أخوه السلطان جم ووقع بينهما حروب يطول الكلام بذكرها وكان الانتصار



للسلطان بايزيد واستقر الملك له ، وكان رحمه الله ملازماً للغزو في سبيل الله مظفراً على أعداء الله محباً لفعل الخيرات ، مكرماً للعلماء والصلحاء ، وفي سنة ۸۸۸ سار بعساكره إلى بلاد قره بغداد فافتتح قلعة كلي وقلعة آق كرمان وفيها أيضاً فتحت قلعة ملوان وقلعة متون وقلعة طرسوس وقلعة نقشه وقلعة كوكك والحاصل أنه استولى على كثير من بلدان البغدان وغيرها مما في تلك الأطراف ، وفي سنة ۸۹۷ توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد البوسنة فظفر بملكها درنجيل وقيده في وثاق وأرسله إلى السلطان بايزيد ، وفي سنة تسعمائة وثلاث بعث جيوشاً إلى بلاد الأرنأووط برأً وبحراً وخرج في أثرها بنفسه ومعه أيضاً جيوش كثيرة قاصداً السرب وبلاد الأرنأووط وحارب في تلك الغزوة بولونيا وأوقع بها واستولى على جانب عظيم منها وأخذ منها عشرة آلاف أسير ثم عاد إليها مرة ثانية فنكبتها نكبة عظيمة ، وفي سنة خمس وتسعمائة سار السلطان بايزيد بعساكره فاستولى على قلعة ابنه بختي ، وعلى قلعة قرون وكان السلطان بايزيد ابن السلطان محمد من المجاهدين في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فمزال غازيا في سبيل الله مظفراً على أعداء الله فكانت به كلمة الإسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال خاسئة مضمومة وكان محباً لنيل الخير مثابراً على بذل الأنعام والصدقات محباً للعلماء والمشايخ والأولياء من أهل السكرامات ردخل في طريق السادة الصوفية ودخل الخلوة وجلس الأربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ، ولما دخل الخلوة كان معه والد مولانا أبي السعود المفسر وهو مولانا الشيخ محبي الدين أفندي وبني السلطان بايزيد المذكور الجامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكيات والزوايا والخانقاه ودار الشفاء للعرضي والحمامات والجسور ورتب للمفتي الأعظم ومن في رتبته من العلماء العظام في زمنه في كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرس الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد في كل عام سبعة آلاف عثماني والمدارس شرح المفتاح لكل واحد أربعة آلاف عثماني وكل واحد من مدرس شرح التجريد ألفي عثماني وكذلك رتب لمشايخ الطريق إلى الله تعالى من أهل الله ومريديهم وأهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته واستحقاقه

58961

وهذا غير كسوة الصيف من الأصواف ونحوها وغير كسوة الشتاء من الفرو والجوخ لكل واحد على قدر مرتبته وصار ذلك قانونا جاريا مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن إليهم إحسانا كثيرا ورتب لهم صررا في كل عام غير ما كان مرتبا من آباءه الكرام وكان يجهز إلى فقراء الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبيا يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها الآخر على فقهاء المدينة ولم يكن حكم الحرمين في ذلك الوقت عنده فكانوا يتسعون بها ويرتقون بها ويدعون له فكان ذلك من أسباب تسهيل دخول أهل الحرمين تحت طاعة ولده السلطان سليم كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكان إذا ورد عليه أحد من أهل الحرمين يكرمه ويحسن إليه ويرجع من عنده بصلات عظيمة ومواهب جزيلة .

### ذكر ظهور إسماعيل شاه سلطان العجم

مما كان من العجائب في زمن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ظهور إسماعيل شاه في بلاد العجم وكان ظهوره واشتهار أمره سنة ٩٠٥ وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الأعاجيب فانتشر أمره وقتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض وإلحاد وغير اعتقاد كثير من الخلق وصار يدعو الناس إلى الإنحلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأزال من قلوبهم حسن الاعتقاد والله تعالى يفعل في ملكه ما أراد وظهر من أتباع إسماعيل شاه شيطان تولى بالروم أهلك الحرث والنسل وعم الفساد والقتل وقويت شوكته وعظمت على المسلمين فنتته ، فأرسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم على باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغى فاستشهد على باشا في ذلك القتال ولكن قتل الله ذلك الباغى وانهمز من كان معه من الجنود وقتل كثير منهم وكفى الله شر أولئك لأشرار وذلك سنة ٩١٥ وإسماعيل شاه المذكور هو إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن إبراهيم ابن سلطان خواجه بن علي بن صدر الدين موسى بن صفى الدين إسحاق الأردبيلي وكان أهل هذا البيت يقال لهم الصفويون نسبة إلى الشيخ صفى الدين الأردبيلي المذكور آنفا

وكانوا من أهل السنة والجماعة ومن أهل ألوية والصلاح والمشايخ أرباب الطريق والسلوك  
والزوايا وسلسلة طريقهم تنتهي إلى الإمام أحمد الغزالي أخى الإمام أحمد حجة الإسلام  
الغزالي وقيل أن لهم نسباً ينتهى إلى موسى الكاظم وكان جدّهم الشيخ صفى الدين له  
شهرة كبيرة فى مشيخة الطريق وتوفى سنة ٧٣٥ ، ثم صارت المشيخة إلى ولده صدر الدين  
ثم فى ولده على ثم فى ولده سلطان خواجه ثم فى ولده إبراهيم ثم فى ولده جنيد ثم فى ولده  
حيدر ، ولما كانت المشيخة فى جنيد كثر أتباعه ومريدوه واشتهر أمره وانتشر صيته  
وصار يجاهد الكفار بمن معه من المريدين والأتباع وكان جهان شاه التركمانى صاحب شروان  
وأذربيجان متغلباً على ملك العراق وبغداد فتوهم من جنيد وكثرة أتباعه وخشى أنه  
يتغلب عليه وينزع الملك منه فأخرج جنيداً ومن معه من أردبيل فتوجهوا إلى ديار بكر  
ثم قوى أمرهم فقاتلوا سلطان شروان فانهزم الشيخ جنيد ثم قتل وتفرق مريدوه ثم اجتمعوا  
بعد مدة على ابنه حيدر فقاتلوا أيضاً سلطان شروان فقتل الشيخ حيدر وأسر بنوه ومنهم  
ابنه إسماعيل شاه وكان صغيراً واستمر محبوساً هو وإخوانه وهرب بعض إخوانه من  
الحبس سنة ٨٩٦ ثم هرب إسماعيل شاه سنة ٩٠٦ وعمره ١٣ سنة واجتمع عليه خلق  
كثير بعد خروجه من الحبس كانوا يعتقدون الخير فى أبيه حيدر فغير اعتقادهم إلى  
مذهب الرافضة فقصده بجموعه الأخذ بثأر أبيه وجده وكان قد رفض مذهب آباءه وأهل  
بيته وتمذهب بمذهب الرافضة تعلم ذلك وسرى إليه وهو صغير حين كان فى الحبس قيل  
فى تاريخ ظهور مذهبنا حق ٩٠٦ سمع ذلك بعض أهل السنة فقال مذهبنا حق على النفى  
فإن نافي الفارسي إداة نفى فقاتل بمن اجتمع معه شروان شاه وكان كلما سار منزلاً كثرت  
جنوده فنزلوا شروان شاه وقاتلوه فهزموه ثم أسروه فأتوا به إلى إسماعيل شاه فأمرهم  
أن يضعوه فى قد كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا كما أمرهم وأكلوه ثم قاتل بمن معه من  
الجند ملوك العراق وخراسان الذين كانوا متغلبين على الممالك فى تلك الأزمان من التركمان  
وغيرهم فما كان يهزم له جيش ولا يتوجه إلى بلاد إلا ويفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب  
أموالهم إلى أن ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان

وتعاضم أمره حتى كاد يدعى الربوبية وكان ظلماً غشوماً أفنى وأباد من الأمم بالقتل مالا يحصى من العدد وكان عسكره يسجدون له إذا خرج إليهم ويأتمرون بأمره قال العلامة القطبي في تاريخه قتل خلقاً لا يحصون ينوفون على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الإسلام ولا في الجاهلية من القتل ولا في الأمم السابقة مثل ما قتله إسماعيل شاه وقتل من أعاضم العظماء خلقاً كثيراً ولم يبق أحداً من علماء أهل السنة الذين كانوا في بلاد العجم وأحرق كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنة وكان كلما مر بقبر من قبور العلماء والمشايخ يأمر بنبشه وإخراج عظامه ثم يحرقها وإذا قتل أميراً من الأمراء أباح زوجته وأمواله لشخص آخر ، ومن جملة خرافاته المضحكة الدالة على سخافة عقله الناشئة عن تكبره وتجبّره أنه جعل كلباً من الكلاب الصيد أميراً ورتب له ترتيب الأمراء من الخدم والكواخي والسماط والأطواق والفراش الحرير وجعل له سلاسل من ذهب ومرتبة ومستندة يستند إليها كالأمراء وأقام لخدمة ذلك الكلب جملة من خواص خدمه ومن تكبره وطغيانه أنه أسقط مرة من يده منديلاً إلى البحر وفعل ذلك قصداً وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فصار عسكره وأتباعه وخدمه يلقون أنفسهم في البحر خلف المنديل ليأتوه به تقرباً إليه وليأتمسوا بركة المنديل الذي مسته يده حتى أحصى من رمى نفسه منهم فكانوا نحو ألف صاروا يتخبطون في البحر حتى غرقوا قيل أنهم كانوا يعتقدون فيه الألوهية وأنه لا ينهزم له جيش إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة التي كانوا يعتقدونها فيه ، ومما يحكى عن إسماعيل شاه سلطان العجم أنه كان في ابتداء أمره تنهزم جيوشه ولا يثبت هو أيضاً للقتال بل ينهزم معهم فاتفق أنه اجتاز مرة بامرأة وهو متنكر فأضافته هو ومن معه وقدمت لهم طعاماً حار في صفة فشرع الشاه إسماعيل يأكل من وسط القصعة وهي حارة والمرأة تنظر إليه فقالت له ما أشبهك أيها الرجل إلا بإسماعيل شاه الذي ظهر في هذا الزمان فإنه يريد أن يقصد وسط الدولة محل الشوكة والقوة فيأخذه وذلك خطأ فينبغي له أن يأخذ أطراف البلاد ليبرد الوسط فانت كل من الأطراف

حتى يبرد الوسط ثم كل منه فتنبه من قولها وعمل بإشارتها فصار يقاتل أطراف الممالك حتى صار له ما صار وملك جميع إقليم العجم وبواسطته انتشر التشيع وظهر في العجم وسلاطين العجم الموجودون إلى وقتنا هذا من ذريته وسيأتي ذكر ما وقع بينه وبين السلاطين العثمانيين من القتال وكذا ما وقع بينهم وبين ذريته وإنما أطلت الكلام في بيان أحوال اسماعيل شاه وأصوله ليعلم من ذلك أن كثرة بغيه وطفغيانه من جملة الأسباب التي دعت السلطان سليم إلى قتاله الذي سنذكره مع ما انضم إلى ذلك مما كان بينه وبين السلطان سليم من العداوة التي سنذكر أسبابها.

## ذكر الحرب والقتال الذي كان بين السلطان بايزيد وولده سليم

لا بد قبل ذلك من ذكر الأسباب الإلهية الخفية التي كانت بتقدير الربوبية ليعلم بذلك أن الأسباب الظاهرية لا بد معها من أسباب خفية قدرها الله تعالى من الأزل، قال العلامة القطب في تاريخه: أن منجما حاذقا كان في عصر السلطان بايزيد الثاني قد أطلعه الله على أمر يتعلق بالسلطان بايزيد فأخبره به وهو أن هلاكه وذهاب ملكه يكون على يد مولود يولد له، وكان السلطان بايزيد قد ولد له أولاد قبل أخبار المنجم وكان أخباره له بذلك قبل أن يولد السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد امرأة كانت معتمدة عنده بيدها أمر جواريه الموطآت وهي قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات، فقال لها إذا وضعت إحدى الجوارى بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا وإذا ولدت أنثى اتركها لتعيش مع بناتي وأكدها عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك إلى أن ولدت واحدة منهن صبيا، فلما رآته أمه التي ولدت له حزنت عليه لكونه تخنقه القابلة، فلما تناولته القابلة لتخنقه رآته صورة جميلة ووقع حبه في قلبها فرقت له وقالت في نفسها بأى وجه ألقى الله تعالى إذا قتلت هذا الطفل والله لا أقدم على قتله فأظهرت أنه بنت وقالت للسلطان بايزيد أنه حصل له من فلانة بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبرته بذلك سماها سليمة واستمر الأمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه إلا الله تعالى والقابلة وأم الولد، وصار كلما كبروا نشأ تظهر عليه أوصاف الذكور من الاستيلاء والغلبة والقهر وإذا اجتمع البنات وجلس بينهن لطم من كان منهن إلى

جانبه ونهب ما وجد بأيديهن من معلومات الأطفال وغير ذلك وكن يحذرن منه فدخل  
السلطان بايزيد يوماً إلى داخل السراية وكان يوم عيد واستدعى بيناته وأجلسهن بين  
يديه وأمر أن يوضع بين يدي كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وحضر معهن  
ذلك الغلام المسمى سليمة ، فشرع في فعل ما كان يفعله مع البنات من الخطف والنهب  
والضرب وكلهن خائفات منه هائبات له فعجب السلطان بايزيد وصار يتأمله جيداً  
ويفكر في أمره وفي أثناء ذلك دار بينهن يعسوب كبير وأردن أن يمسكته فعجزن وهو  
يلسع من يريد إمساكه فهربوا منه فهابوه ، فمد الغلام المسمى سليمة يده إليه وهو  
طائر فأمسكه ومرسه وعقصه ورماه من يده فاذداد تعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء  
الواقفات : هذا لا يكون انثى اكشفوا لي عنه ، فبادرت القابلة وقالت : نعم هذا صبي  
وليس بنت ، فقال لها كيف خالفت أمرى وماقتلتيه ، فقالت : خفت من الله رب العالمين  
وخلصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم ولا ذنب له ، فتفكر طويلاً ثم قال : ما قدره  
الله فهو كائن لا مفر عنه وأمر بتربيته وأن يلبسوه لباس الذكور وسماه سليماً إلى أن كان  
من أمره ما كان والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون والله بالغ أمره قد  
جعل الله لكل شيء قدراً ، ولما أراد الله براز ما أراده وقدره من الأزل من ذهاب ملك  
السلطان بايزيد على يده ولده سليم أنشأ سبحانه وتعالى أسباب الحرب والقتال بينهما  
بإيجاد أسباب لا يحكم العقل فيها بأنها ينشأ عنها الحرب والقتال وذلك أن السلطان بايزيد  
شاخ وكبر سنه وتعطلت رجلاه عن الحركة بعلّة النقرس فأراد النزول عن الملك لولده أحمد  
وكان أكبر أولاده وأحبهم إليه وقد جعله قبل ذلك أمير أماسية ثم جمع الوزراء وأعيان  
الدولة وعهد إليهم بأن ولده أحمد ولي عهده فاغتاظ سليم من ذلك وعزم على الخروج  
على أبيه وعلى خلع طاعته وقتاله وكان قد ولاه أبوه أدرنة فجمع العساكر وتوجه بهم إلى  
المسطنطينية مظهراً أنه يريد زيارة أبيه وتقبيل يده وأنه راض بما يصنعه أبوه من جعل أخيه  
أحمد ولي العهد وأنه ليس له غرض في الملك وأطلع أبوه بقرائن الأحوال على مراد ولده سليم

وأنه إنما يريد السلطنة والملك فهض السلطان بايزيد من القسطنطينية بمساكره وخرج مستقبلاً ولده المذكور فلاقاه بين القسطنطينية وأدرنة والتقى الجيشان ووقع القتال بينهما بقرب أدرنة وجرى بينهما حرب شديدة ثم انجلى الأمر عن هزيمة سليم وانتصار أبيه عليه وأراد العسكر أن يطردوا خلف سليم ليقبضوا عليه فمنعهم أبوه السلطان بايزيد وقال أتركوه لعله ينصلح وتوجه سليم هارباً وركب البحر وقصد بلاد كفة فبينما هم فيه إذ بعث السلطان بايزيد إلى ولده أحمد يدعوهم إلى أن يقلده الملك وينزل له عن السلطنة حالاً فامتنع وقال إنه لا يمكن أن يقبل ذلك في حياة والده تعظماً لوالده وقال أيضاً إنه يخاف من عسكر الانكشارية لأن هواهم رغبتهم في سليم ، فلما علم أبوه إنه ليس لابنه أحمد نصيب في الملك وأن الملك لله يؤتية من يشاء وخاف على الملك أن يتغلب عليه أجنبي أرسل إلى ولده سليم يدعوهم لينزل عن الملك ويسلمه له فقدم سليم بالرأى الحازم والسيف الصارم حتى قرب من القسطنطينية فأمر السلطان بايزيد العساكر ووجوه الأمراء والوزراء فاستقبلوه وهنوه بالملك ولما دخل على أبيه قبل يده فدعا له بخير وسلمه الملك وأوصاه بأشياء تليق بالسلطنة ، ثم أمر من يومه بتجهيز أسباب السفر لأبيه للإقامة بمدينة ديمتوقه وقال السيفان لا يجتمعان في قراب واحد فلما كان السلطان بايزيد ببعض الطريق رام أن يتوضأ لصلاة الظهر فوضعوا له السم في الماء فلما توضأ تساقط شعر لحيته فأحس بذلك فقال ردوني فردوه فتوفي قبل أن يصل إلى القسطنطينية ثم حمل إليها ودفن أمام مدرسته التي أنشأها بالمدينة المذكورة وكانت مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة إلا أياماً لأن وفاته سنة ثمان عشرة وتسعمائة وولايته كانت سنة سبع ثمانين وثمانمائة وعمره اثنتان وستون سنة لأن مولده سنة ست وخمسين وثمانمائة وله رحمة الله مناقب كثيرة تقدم بعض منها ، ومن مناقبه أنه كان يجمع في كل منزل حل فيه من غزواته ما على ثيابه من الغبار ويحفظه فلما دنا أجله أمر بذلك الغبار فضرب منه لبنة صغيرة وأمر بأن توضع معه في القبر تحت خده الأيمن ففعلوا ذلك فكانه أراد بذلك فحوى قوله صلى الله عليه وسلم « من أغبرت قدماء في سبيل الله حرم الله عليه النار » ولما توفي السلطان بايزيد المذكور واستقر ابنه

سليم ( على تخت الملك ) نازعه في ذلك أخوه أحمد وقصد كل منهما الآخر سنة تسع عشرة  
وتسعمائة بجيش عظيم فتقاتلا أمام مدينة بني شهر فانتصر السلطان سليم وأمر بأخيه أحمد  
فخنق وكان إسماعيل شاه سلطان العجم المتقدم ذكر ترجمته يتمصب للسلطان أحمد ويحامي  
فلما خفق أحمد هرب بعض له أولاده والتجأوا إلى السلطان الفوري وبعضهم إلى إسماعيل  
شاه فأرسل له السلطان سليم يطلب منه أن يعيدهم إليه فامتنع فكان ذلك من أسباب قيام  
الحرب والقتال بين السلطان سليم وإسماعيل شاه مع ما تقدم من انتشار ظلم إسماعيل شاه  
وسفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل وكان للسلطان بايزيد أيضا أولاد غير أحمد نازعوا  
سليما وقاتلوه فانتصر عليهم ولا حاجة بنا إلى ذكر ذلك .

## ذكر الحرب بين السلطان سليم وإسماعيل شاه سلطان العجم

ذكر كثير من المؤرخين أن السلطان سليما كان سلطانا قاهراً قوى البطش عظيم  
القتل كثير الفحص عن أخبار الناس شديد التوجه إلى أهل النجدة والبأس عظيم التجسس  
عن أخبار الممالك عارفاً بمسالك الطرق والمهالك يغير زيه ولياسه ويتجسس في الليل والنهار  
ويطلع على الأخبار ويستكشف الأسرار وله عدة مصاحبين يدورون تحت القلعة ، وفي  
الأسواق والجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له في مجلس المضاحبة ، فيعمل بمقتضى  
ما يسمعه بعد الوثوق منهم ، ولما استقر له الملك بعد قتال إخوته وانتصاره عليهم شرع في  
قهر الملوك والاستيلاء على الأقاليم والملك وبدأ بقتال شاه إسماعيل بن حيدر الصفوي وكان  
ذلك سنة عشرين وتسعمائة وكان السبب في قتاله أن بعض أولاد أخى السلطان سليم التجأ  
إلى إسماعيل شاه فأرسل يطلبه منه فامتنع مع ما انضم إلى ذلك من بني إسماعيل شاه وطفليانه  
وإفساده في الأرض حتى أهلك الحرث والنسل كما تقدم بيان ذلك في ترجمة إسماعيل شاه  
فتوجه السلطان سليم من مقر سلطنته بعسكر كثيف ، وسار نحو الشرق لقتال  
إسماعيل المذكور فالتقى في مكان يقال له جالدران ، وكان جيش السلطان مائة  
وأربعين ألفاً في أول خروجه من مقر سلطنته حم أردفها بأربعين ألفاً ولما التقى الجيشان  
واشتد القتال ثم انهزموا عسكر العجم واستولى عسكر السلطان سليم على خزائنها



وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم إلا القليل وفر اسماعيل شاه وتحصن بشوامخ الجبال واستولى السلطان سليم على خزائنه وأمواله وخيمه ونخسائه ومنع العسكر من السير خلف المهزمين ، ودخل السلطان سليم مدينة تبريز وهي كرسى مملكة العجم وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وكان مراده أن يطيل الإقامة ببلاد العجم ليفتح جميع بلادهم ويدخلها في ملكه ويرتبها ، ولكن اشتد عليه الغلاء لأن السلطان الفوري قطع الميرة عن السلطان سليم ومنع السائرين بها إليه لأنه كان بينه وبين اسماعيل شاه صداقة ومحبة ومكاتبة حتى أن بعضهم اتهم السلطان الفوري بأنه يعتقد مذهب الراضية وكان من أسباب الغلاء على جيش السلطان سليم بن اسماعيل شاه كان تحت يده كثير من الغلال والذخائر ، فلما تحقق الهزيمة عليه أمر بحرقها فأحرقت ، قال القطبي وكان من أمر اشتداد الغلاء أن العليقة بيعت بمائتي درهم وبيع الرغيف بمائة درهم قال العلامة وقد أدركت جماعة ممن كانوا مصاحبين لمولانا السلطان سليم وكانوا يكثرون مجالسته وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم معهم ولطف معاشرته لهم وشدة تيقظه وذوقه وفهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفروسه في اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه على فصحاء الطائفتين ثم قال العلامة القطبي ورأيت بيتين بالعربي بخطه الشريف كتبهما في علو المقياس في الكشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة والبيتان هما هذان :

الملك لله من يظفر بنيل منى      يردده قسراً ويضمن بعده الدركا  
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة      فوق التراب لكان الأمر مشتركاً

وتحتها ماصورته وكتبه سليم قال العلامة القطبي ولعمري إن كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة ، فيبدل على مملكته رحمه الله في اللسان العربي أيضاً لأهما من أعلى طبقات الشعر العربي الفصيح البليغ المنسجم وإن كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه رتبة عالية في حسن التمثل ولطف الاستحضار وفهم الأشعار العربية وذوقه بها ، وهذا القدر يستعظم ويستكثر على عطاء العجم السكبين على العلوم

العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ، ولما فرغ السلطان من قتال اسماعيل شاه واشتد عليهم الغلاء رجع إلى الروم وشتى في مدينة أماسية ولما دخل الربيع رجع إلى بلاد الشرق وافتتح قلعة كاخ وهي أمنع الحصون ، ثم افتتح مدينة بيبورد وأرسل وزيره فرهاد باشا بمسكر كثير إلى قتال ملك مرعش البستان فانتصر فرهاد باشا واستولى على تلك البلاد وفي هذه السنة أحب أهل آمد أن يدخلوا في طاعة السلطان سليم فأخرجوا إليهم الذي كان من قبل سلطان العجم وأغلقوا أبواب المدينة وأرسلوا يطلبون أميراً من السلطان فعين لهم بيقلو محمد بيك الأمدى فوصل إلى تلك البلاد ثم حاصر مدينة ماردين مدة أربعين يوماً وافتتحها ثم افتتح بلاد الموصل وجانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجمشرك حصن سوران وسائر بلاد الأكراد وعامة جزيرة الأكراد فدخلت هذه البلاد كلها في طاعة السلطان سليم ولم تكن قبل من الممالك العثمانية بل كان بعضها عند العجم وبعضها عند ملوك من غير العجم تغلبوا عليها .

## ذكر محاربة السلطان سليم للسلطان الغوري

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة قصد السلطان سليم محاربة السلطان الغوري صاحب مصر والشام وحلب لأنه كان متواطئاً مع سلطان العجم على محاربة السلطان سليم وقد تقدم أنه قطع الميرة عنه فخرج من القسطنطينية بجيش مقداره مائة وخمسون ألفاً وخرج الغوري من مصر بجيش كثيف لمحاربتة والتقى الجيشان في مرج دابق بقرب حلب ، واقتتل المسكران فانهزم جيش مصر وقتل الغوري في المعركة ودخل السلطان سليم مدينة حلب واستقبله أهلها بعلماهم وصلحاتهم حاملين المصاحف على رؤوسهم يستقبلون السلطان سليم ويهنونه بالفتح ويسألونه الرفق والصفح فقابلهم بالجميل ، ودخل مدينة حلب وخطب له فيه وكان الخطباء يقولون في أوصاف سلاطين مصر خادم الحرمين الشريفين فلما خطب الخطيب بحلب قال في وصف السلطان سليم خادم الحرمين الشريفين فقرح بذلك واستبشر مولا السلطان سليم وعلم أن الله تعالى ينصره على الغوري حتى تكون خدمة الحرمين الشريفين

له ، وخلق على الخطيب حلته التي كانت عليه ، وكانت تساوي خمسين ألف غرش ثم سار إلى الشام فاستقبله أهلها بالإكرام والإحترام وسألوا منه اللطف والإنعام . فعاملهم بالجميل ، وصلى عندهم الجمعة وخطب باسمه ومكث بالشام ثلاثة أشهر ونصفاً ، ثم سار يريد البلاد المصرية وافتتح في مسيره مدينة بيت المقدس ثم سار وفتح مدينة غزة وطبرية وصفد واللجون والرملة ووصل إلى مصر في الثالث عشر من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان قد تسلطن بمصر بعد مقتل الغوري السلطان الأشرف طومان باي قيل أن الغوري خاله وكان معه أربعين ألفاً من الجراكسة فخرج لقتال السلطان سليم ليمنعه من دخول مصر فوقع القتال بين العساكر فانهزم طومان باي وعسكره وقتل منهم خلق عظيم ثم قبض عليه وبعد عشرة أيام صلبه السلطان سليم في باب زويلة وأقام السلطان بمصر نائباً عنه خير الدين بك الجركسي وخرج السلطان سليم من مصر في شعبان من السنة المذكورة وقدم إلى دمشق وعين لأمارتها مع أعمالها الأمير جان بردي فاستولى على مدينة ملطية وديوركي ودارنوه وبهسنى وكركر وكاخته البيرة وعنتاب وأنطاكية وقلعة الروم وأطاعته قبائل العرب المجاورون للشام ومصر ، ولما رجع السلطان سليم إلى القسطنطينية أخذ في تكثير المهمات والاستعداد لحروب وغزوات جديدة فطلع له دمل في جنبه ولم يزل يتعاضم هذا الدمل حتى اتسع وصار جرحاً عظيماً واتسع الخرق على الراقع وتعطل السلطان عن الحركة وعجزت حذاق الأطباء في علاجه وكانت توضع الدجاجة في جرحه فتذوب واستطال به ذلك المرض إلى أن توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة تاسع شوال وعمره أربع وخمسون سنة ومدة ملكه تسعة أعوام وثمانية أشهر .

## فائدتان استطراديتان لها تعلق بالفتوحات المذكورة هنا

( الأولى ) ذكر كثير من المؤرخين أن العلامة ابن كمال باشا استخرج من القرآن العزيز الإشارة إلى الدولة العثمانية وانتصار السلطان سليم وظهور أمره من بعد سنة تسعمائة وعشرين وأن الدولة العثمانية من عباد الله الصالحين وأن السلطان سليماً منهم فقال ابن كمال

باشا أن ذلك كله يستخرج بطريق الرمز والایماء والإشارة من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ . وبيان ذلك أن قوله ولقد إذا حسبت على قاعدة الحساب بحروف أبجد يخرج عدده مائة وأربعين ويقابله لفظ سليم فإن حساب عدد حروفه يبلغ مائة وأربعين وقوله من بعد الذكر إشارة إلى أن ذلك بعد تسعمائة وعشرين لأنه عدد حروف ذكر بعد إسقاط أداة التعريف على قاعدتهم في ذلك فتكون الإشارة في ذلك سليم بعد تسعمائة وعشرين مكتوب في الزبور أنه يرث الأرض وأنه من عباد الله الصالحين ، قيل أن السلطان سليما لما أخبروه بهذا الاستخراج فرح واستبشر وكان ذلك من أقوى الأسباب لخروجه لقتال الفوري وقد حقق الله له النصر فظهر بذلك صحة هذا الاستخراج والله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أسرار كثيرة وله في كل شيء حكمة والله سبحانه وتعالى أعلم بأسرار كتابه وبغيرها .

### الفائدة الثانية

إن مولانا السلطان سليما لما استقر بمصر وتم له تملك الديار المصرية كما تم له تملك الديار الشامية اشتغقت نفسه إلى تملك الأقطار الحجازية ليقوم بخدمة الحرمين الشريفين فأراد أن يجهز جيشا ويسيره إلى الحجاز وينزعه من عمال السلطان الفوري ، وكان أمير مكة في ذلك الوقت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان وقد كان في سنة ٩١٨ أرسل ولده الشريف أبا نبي إلى مصر لمقابلة السلطان الفوري فأكرمه وأشركه مع أبيه في إمارة مكة وكان عمر أبي نبي في ذلك الوقت ثمان سنين وكان السلطان الفوري حبس بمصر جماعة من أعيان أهل مكة منهم العلامة القاضي صلاح الدين بن أبي السعود ابن ظهيرة ، وكان سبب حبسه مع من معه أن الفوري طلب منهم مالا مصادرة وظلما مبلغه عشرة آلاف دينار فمجزوا عن تحصيله فأمر بحملهم إلى مصر واعتقلهم في الحبس ولما قتل الفوري وتسلطن طومان بك أطلقهم وقيل إنما أطلقهم السلطان سليم ، فلما عزم السلطان سليم على تجهيز جيش إلى الحجاز اجتمع القاضي صلاح الدين بن ظهيرة بوزيره مولانا السلطان سليم وقال له لا حاجة إلى تجهيز جيش فإن الشريف بركات يكفيكم هذا الأمر

ويحصل لمولانا السلطان المطلوب وعرفه عظمة الشريف بركات ومنزلته من الشرف والعلم  
وأنه أول من يطيع مولانا السلطان ويأخذ البيعة له من أهل الحرمين والأقطار الحجازية  
ويكفي بدلا عن الجيش أن تبعثوا له توقيعاً شريفاً من مولانا السلطان فعرض الوزير ذلك  
على مولانا السلطان سليم فاستحسنه وأمر بكتابة التوقيع الشريف للشريف بركات وأن  
يكون ولده أبو نبي مشاركا له كما كان في مدة السلطان الفوري وكتب القاضي صلاح  
الدين للشريف بركات الأخبار بذلك ووجه مولانا السلطان ذلك التوقيع الشريف ومعه  
خلعتان عظيمتان واحدة للشريف بركات والأخرى لولده الشريف أبي نبي وجعل ذلك  
صحبة الأمير مصلح بك وبعث معه محملاً وكان ذلك على إقبال شهر الحج ، فلما قدم الأمير  
مصلح مع المحمل ومعه الخلعتان والتوقيع الشريف وخلعة للكعبة المعظمة خرج لمقابلته إلى  
الزاهر الشريف بركات وولده أبو نبي وكثير من الأشراف وغيرهم في موكب عظيم  
ولبس الشريف وولده الخلعتان ودخلوا مكة وأخذوا البيعة لمولانا السلطان سليم ودعوا  
له في الخطبة وحصلت طاعة الناس وانقيادهم بالرضى والقبول ، ثم أرسل الشريف ولده  
الشريف أبانبي سنة ٢٣ إلى مصر لمقابلة مولانا السلطان سليم فقابله وأكرمه وأبقاه على  
مشاركة أبيه بركات ، ثم توفي بركات سنة ٩٣١ واستقل ولده أبو نبي بالإمارة وجاءه  
التأييد من مولانا السلطان سليم واستمر الشريف أبو نبي مستقلاً بإمارة مكة إلى أن توفي  
سنة ٩٩٢ وعمره ٨٩ سنة لأن ولادته كانت سنة ٩١١ وكانت مدة ولايته إمارة مكة  
مشاركة لأبيه استقلالاً ٧٣ سنة ولم يعد ذلك لغيره من أمراء مكة الذين قبله والذين  
جاءوا بعده وهو جد سادتنا أشراف مكة ، ولما ورد الأمير مصلح بك إلى مكة صحبة المحمل  
والتوقيع والخلعتين وكسوة الكعبة أقام بعد الحج بمكة بأمر من مولانا السلطان سليم  
وأجرى له خيرات كثيرة يرجع ثوابها إليه منها أنه قرر لمولانا الشريف صاحب مكة  
خمسائة دينار زيادة على ما كان له من سلاطين مصر قبل ذلك وكتب دفترأ قرر فيه  
أسماء جماعة من المجاورين ورتب لكل شخص منهم مائة دينار تؤخذ من خزينة مصر  
وقرر ثلاثين نفراً يقرأون كل يوم ختمة وعين لكل واحد اثني عشر دينار وقسم الأمير

مصلح أيضاً الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها سلاطين مصر  
للعربان أصحاب الإدراك وفقراء أهل مكة ، فأبقاها السلطان سليم ورتب مولانا  
السلطان سليم سبعة آلاف أردب حب لأهل الحرمين الشريفين منها خمسة آلاف لأهل  
مكة وألفان لأهل المدينة ، وجاء الأمر للأمير مصلى بك أن يوزع ذلك فجلس في الحرم  
الشريف وطلب حضور المفتي وبقية العلماء والأعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم  
في توزيع ذلك ، فقالوا له لا بد من عرض ذلك على شريف مكة مولانا الشريف بركات  
فكتبوا صورة الأمر السلطاني وأرسلوه إلى مولانا الشريف واستدعوا رأيه العالي في ذلك  
فكتب إليهم الجواب يأمرهم بالمبادرة إلى امتثال الأمر الشريف السلطاني وأن يوزع ذلك  
على المستحقين بحسب الآراء من أعيان المجلس ، فاجتمعوا ثانياً بعد وصول الجواب من  
مولانا الشريف ، واتفق رأيهم على بيع شيء من ذلك القمح ليصرف في نقله من جدة  
إلى مكة وبأن يكتب أسماء الناس على العموم ويصرف لكل واحد ما يخصه فكتبوا  
بيوت كل محلة وما في بيوت كل بيت من عدد الأنفار رجالاً ونساء وأطفالاً وخدماء  
ما عدا التجار والسوقة والعسكر فبلغ عدد الأنفار الذين كتبواهم اثنا عشر ألفاً فخص كل  
نفر ست رباى بكيل الربع الكبير الذى هو أربع كيل من أربع وعشرين قدحا بالكيل  
المصرى ودفعوا لكل نفر ديناراً من قيمة القمح الذى باعوه لأجل نقله من جدة إلى مكة  
وجعلوا لكل واحد من المفتي الأربعة ثلاث أرباب وزيد في أسماء بعض البيوت بحسب  
الاعتناء بشأن كبير البيت ، قال العلامة القطبي وهذه الصدقة أول صدقات الحب الشريف  
السلطاني ، ثم قال فيجب على كافة المسلمين عموماً وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصاً  
الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدى الزمان فإن دولتهم الشريفة عماد  
الإسلام وإحسانهم ما زال متواصلاً إلى كافة الأنام سيما جيران بيت الله الحرام وجيران  
نبيه الأطهر عليه أفضل الصلاة والسلام فإنهم فازوا بالإنعامات الوافرة في أيام هذه الدولة  
الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة في نوبة هذه السلطنة القاهرة ما لم تصوروه من  
الدول الماضية الغابرة فالله تعالى يديم سلطنتهم كما أدام علينا إحسانهم اه كلام القطبي

وقال العلامة ابن علان أن السلطان سليما كان كثير المحبة لأهل الحرمين من قبل أن يأخذ مصر وهو أول من بعث إليهم صدقة الحب إنتهى ، ثم إن السبعة الآلاف الأرباب المذكورة لم يزل أبناؤه من السلاطين يزيدون فيها حتى صار لأهل مكة اثنا عشر ألف أردب ولأهل المدينة سبعة آلاف أردب فالله تعالى يديم العز والبقاء لهذه السلطنة العثمانية السنية ويوفق كل قائم منهم بها لكل خصلة حميدة مرضية ومما فعله الأمير مصلاح بك من الخيرات لمولانا السلطان سليم أنه جدد بناء مقام الحنفي بمكة فإنه وسعه وجعله قبة بعد أن كان مستقفا على أربعة أعمدة في صدره محراب وكان صنعة التسقيف المذكورة سنة ثمانمائة واثنتين في مدة سلطنة السلطان فرج بن برقوق ، واستمر كذلك إلى أن جعله الأمير مصلاح قبة سنة تسعمائة وثلاث وعشرين واستمر على ذلك خمسا وعشرين سنة ، ثم هدمت القبة وبني المقام مربعا وجعلت الطبقة العليا للكبرين ، وموضع هذا المقام كان في الجاهلية موضع دار تجتمع فيها قریش للمشورة ويسمونها دار الندوة ، ثم اشتراها معاوية رضى الله عنه في زمن خلافته ، وصارت ينزلها الخلفاء إذا قدموا للحج ، ويخرجون منها إلى المسجد للصلاة والطواف ، ثم خربت وتهدمت وعمرت في خلافته المعتضد سنة مائتين وثمانين وأدخات في المسجد وفتحت جوانبها إلى المسجد وجعلت سقوفها على أساطين ، ثم غير هذا البناء وأعيد على وضع أحسن منه سنة ثلاثمائة وست ثم سنة ثمانمائة واثنتين إلى أن كانت عمارة الأمير مصلاح ، ثم غيرت عمارته بعد خمس وعشرين سنة وسيأتى ذكر ما يكون بعد ذلك وقد كانت مذاهب الأئمة الأربعة عليها العمل والاعتماد في الحرمين وغيرها من أول ظهور الأئمة الأربعة إلى ما بعدهم قد كان الأئمة المجتهدون كثيرين ولكن لم يقدر الله بقاء مذاهبهم وإنما بقيت مذاهب الأئمة الأربعة وتحررت وتوارد عليها أنظار العلماء حتى أن أهل السنة والجماعة أوجبوا تقليد مذهب منها لمن لم يكن فيه أهلية الاجتهاد وحرموا الخروج عنها ، نقل العلامة السنجاري عن التقى الفاسي أن صلاة هذه الأئمة على هذه الصفة قديمة لكن قال لا أعلم في أى وقت كانت ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين مع الشافعي سنة أربعمائة وسبع وتسعين وأن الحنبلي لم يكن موجوداً وإنما كان إمام الزيدية

ثم قال ووجدت على ما يدل على أن الحنبلي كان موجوداً في عشر الأربعين وخمسة عشر وفي  
البحر العميق وكان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة ، وأما كيفية  
الصلاة في هذه المقامات فإنهم يصلون مرتين الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي  
وكلام ابن جبير يقتضي أن المالكي كان يصلي قبل الحنفي ثم تقدم عليه الحنفي من بعد  
سنة تسعين وسبعمائة واضطرب كلام ابن جبير في الحنفي والحنبلي لأنه ذكر ما يقتضي أن  
كلا منهما يصلي قبل الآخر ، وهذا كله في غير صلاة المغرب أما فيها فإنهم يصلون جميعاً  
في وقت واحد ثم بطل ذلك كله في موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة بأمر الملك الناصر  
ابن برقوق ، وصار الشافعي يصلي بالناس المغرب وحده واستمر ذلك إلى أن ورد أمر من  
الملك المؤيد صاحب مصر بأن يصلي المغرب الأئمة الثلاثة في وقت واحد كما كانوا يصلون  
قبل ذلك ففعلوا ذلك وأول وقت فيه ذلك ليلة السادس من ذي الحجة سنة عشر وثمانمائة  
إتتهى (والحاصل) أن الأمر كان مختلفاً في تقدم بعضهم وتأخر بعضهم واستقر الأمر في  
عصرنا هذا بعد خروج الوهابي من مكة وجريان أحكام الدولة العلية بالحجاز من سنة  
ألف ومائتين وثمان وعشرين أن الشافعي يصلي في الصباح أولاً ، ثم المالكي ثم الحنبلي  
ثم الحنفي وأما بقية الأوقات فيصلي أولاً الحنفي ثم الشافعي ثم المالكي لكن لا يصلي  
في المغرب إلا الحنفي ثم الشافعي فقط وكان الحنبلي لا يصلي في مقامه إلى الصباح فقط .  
وفي سنة إحدى وثلاثمائة وألف صدر الأمر من سيدنا الشريف عون الرفيق بن المرحوم  
سيدنا الشريف محمد بن عون ومن والي ولاية الحجاز السيد عثمان نوري باشا بأن الحنبلي  
يصلي أيضاً بقية الصلوات غير المغرب وتكون صلاته بعد أن يصلي المالكي واستحسن  
الناس ذلك لأن مكة قد كثر فيها الخلق المجاورون بها فصار كثير من الناس لا يدركون  
صلاة الأئمة الثلاثة فيصلون جماعة متفرقة ، فلما صار الحنبلي يصلي أيضاً صاروا يصلون معه  
ومما يدل على أن الناس قد كثروا بمكة وزادوا عما كانوا عليه قبل ذلك ما ذكره  
العلامة القطبي في تاريخه حيث ذكر أن عمارة مكة زادت وكثر الناس فيها بوجود دولة  
الدولة العثمانية خلد الله ملكهم إلى أن قال وكنت أشاهد في سن الصبا خلو الحرم الشريف



وخلو المطاف من الطائفين حتى أنى أدركت الطواف وحدى من غير أن يكون معي أحداً  
مراراً كثيرة كنت أترصده خلياً لكثرة ثوابه بأن يكون الشخص الواحد يقوم بتلك  
العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون إلا بالنسبة إلى الإنسان فقط وأما الملائكة  
فلا يخلو منهم المطاف الشريف بل يمكن أن لا يخلو عن أولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته  
ويظوف خافياً عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يشار على هذه  
العبادة كثير من الصالحاء لأنه ليس معنى عبادة يمكن أن ينفرد بها رجل واحد في جميع  
الدنيا ولا يشاركه غيره في تلك العبادة بعينها إلا الطواف فإنه يمكن أن ينفرد به شخص  
واحد بحسب الظاهر والله أعلم بالسراير حتى حكى لى والذى رحمه الله إن ولياً من أولياء  
الله تعالى رصد الطواف الشريف أربعين عاماً ليلاً ونهاراً ليفوز بالطواف وحده فرأى  
بعد هذه المدة خلو المطاف الشريف فتقدم يشرع وإذا بحجة تشاركه في ذلك الطواف  
فقال لها من أنت من خلق الله تعالى فقالت له إني من الجن وإني أرى ما رصده قبلك  
بمائتي عام فقال لها حيث كنت أنت من غير البشر فإني فزت بالانفراد بهذه العبادة من  
بين البشر وأتم طوافه قال ، وحكى لى شيخ فى معمر من أهل مكة أنه شاهد الظباء تنزل من  
جبل أبى قبيس إلى الصفا وتدخل من باب الصفا إلى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس  
وهو صدوق عندى وكنا نرى سوق المسمى وقت الضحى خالياً من الباعة وكنا نرى  
القوافل تأتي بالحنطة من بجيلة فلا يجد أهلها من يشتري منهم جميع ما جاؤا به فكانوا  
يبيعون ما جاؤا به بالأجل اضطراراً ليعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت  
الأسعار رخيصة جداً لقلّة الناس وعزة الدراهم ، وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع  
والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون فى ظلال السلطنة الشريفة خائضون فى بحر إنعامها  
وإحسانها ونعمتها الوريقة أدام الله هذه السلطنة الزاهرة وخذل دوائها القاهرة وخلافتها  
الباهرة وأما بناء المقامات فى المسجد الحرام فأما مقام الحنفى فقد علمت ببناءه مما سبق  
وأما الشافعى فيصلى فى مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأما مقام المالكي والحنبلى فى  
البحر العميق كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة وفى تاريخ القطبى

بعد أن ذكر عمارة الحريق الواقع في زمن سلطنة السلطان فرج بن برقوق ذكر أن فراغ  
العمارة كان سنة سبع وثمانمائة في مدة أمانة مكة للشريف حسن بن عجلان وأنهم في تلك  
العمارة عمروا ما في صحن المسجد من المقامات الأربعة التي وضعت للمذاهب الأربعة على  
الهيئة القديمة اه ومقتضى قوله على الهيئة القديمة أنها كانت موجودة قبل هذا التعمير  
ولم أقف على كتاب فيه ذكر هذا البناء السابق ولا على فعله ولا على تاريخ فعله وعبارة  
البحر العميق تقتضى أن التعمير الواقع سنة سبع وثمانمائة هو أول إحداث مقام المالكي  
والحنبلي حيث قال : كان عمل هذه المقامات على هذه الصفة سنة سبع وثمانمائة ومقام  
المالكي بين الركن اليماني والركن الغربي ومقام الحنبلي على حذاء الركن الذي فيه الحجر  
الأسود في سنة ١٣٠٠ قال كثير من الناس أن المقام المذكور منحرف وبسبب انحرافه  
يحصل انحراف لصفوفه فيكون سبباً لعدم تحقق استقبال القبلة لبعض الصفوف وسبباً  
لانحراف صف الشافعي الأول خلف مقام إبراهيم عليه السلام فإن الصف الأول المذكور  
عند محاذاته مقام الحنبلي يحصل فيه انحراف وعدم استقامة فلو جعل مقام الحنبلي متوسطاً  
بين الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الأسود بوضع ليس فيه انحراف لكان أولى ،  
ورفع الأمر إلى أمير مكة سيدنا الشريف عون باشا ووالي ولاية الحجاز دولتو السيد  
عثمان نوري باشا ثم وقع الإشراف على ذلك بحضورها وحضور جمع من العلماء والمهندسين  
فاتفق الجميع على استحسان جعله متوسطاً فأنتهى الأمر إلى باب السلطنة السنية وجاء  
الإذن بذلك من مولانا السلطان عبد الحميد الثاني فهدم المقام المذكور سنة ٣٠٠ وجعل  
متوسطاً كما هو موجود الآن فجاء في غاية الحسن ، هذا وقد طال الكلام الاستطراذي  
لارتباط تناسب الكلام مع بعضه تكثيراً للفوائد فلنرجع إلى إتمام الكلام الأول  
فنعقول : أن الأمير مصلح بيك لما أتم ما كان مأموراً بإجرائه بمكة من الخيرات توجه  
إلى المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام وقسم الصدقات التي لأهل المدينة  
المنورة وأجرى كثيراً من الخيرات ثم توجه إلى دار السلطنة السنية .

## ذكر ولاية مولانا السلطان سليمان

ولما توفي السلطان سليم كان ولده السلطان سليمان ولي عهده ، وكان غائبا في سروخان واليا عليها فأخفى الوزراء موت السلطان سليم إلى أن حضر ولده السلطان سليمان فأجاسوه على تخت السلطنة ثم أظهروا موت السلطان سليم ، وكان جلوسه على تخت السلطنة من غير مخالف ولا منازع ، وكان محبا للجهاد ولنصرة دين الله ومرغما أنوف أعدائه بلسان سيفه ولسان قناه وكان مؤيدان في حروبه ومغازيه مشهودا في وقائعه ومراميه أيا ن سلك ملك وأين توجه فتح وقتك وأين سافر سفر وسفك وصلت سراياه وجيوشه أقصى الشرق والغرب ، وافتتح البلدان الشاسعة الواسعة بالقهر والحرب وأخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعان والضرب وأيد الدين الحنيفي بحدود سيفه الباتر وأقام الملة الخنافية وأحيا ما لها من مآثر ونصر مذهب السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع ودفع أهل الإلحاد وقمعهم فمالهم من ناصر ، وكان رحمه الله ساطانا رفيع القدر حسن الطبع في الحرب والسلم موصوفاً بالعلم والحلم والحزم قال العلامة القطبي في وصفه ، وكان مجدد دين هذه الأمة المحمدية في هذا القرن العاشر فقد ورد أن لكل قرن مجدداً شأنه ظاهر ، هذا مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والأدب الغض الذي يقصر عن شأوه كل أديب وشاعر ، وكان يعرف الأسنة الثلاثة العربية والتركية والفارسية وينظم نظما بارعا حسنا ، وكان دائم الفكر في أحوال الرعية والمملكة وله ديوان فائق بالتركي وآخر عديم النظير بالفارسي يتداولهما بلغاء الزمان ، وكان رؤفا شفوفا صادقا صدوقا إذا قال صدق وإذا قيل صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يألف مساويء الأخلاق بل هو صافي القواد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الإيمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب أحد في كمال ديانته ولا يشك في صلاحه وولايته قال القطبي بعد ما ذكر :

وما تناهيت في بشي محاسنه إلا وأكثر مما قلت ما أدع

ولد رحمه الله سنة تسعمائة وجلس على تخت السلطنة سنة ست وعشرين وتسعمائة في

شوال وأطال الله عمره وطول دولته حتى بلغت ثمانية وأربعين سنة وشهوراً وعاش أربعاً وسبعين سنة ، وكان رحمه الله شجاعاً كريماً حسن الخلق والخلقة فإنه كان ذا صورة جميلة ظاهراً وباطناً وهو الذي أسس قواعد الدولة العثمانية ومهد الملك لمسه وسهل الأمور وفتح البلاد ووضع كثيراً من القوانين الموافقة للشرع النافعة للعباد رحمه الله واسعة وكان شديد المحبة للغزو والجهاد لا يكفار فأكثر الغزوات وفتح الفتوحات .

## ذكر أول فتح له وانتصار

أول فتح لمولانا السلطان سايمان وانتصار انتصاره على والي دمشق لما خلع طاعته عند سماعه بموت أبيه وأراد أن يكون سلطاناً وهو الأمير جان بردى بيك الغزالي وأصل ذلك أن المرحوم السلطان سليمان استخدم من أصحاب الغوري أميرين وهما خير الدين بيك وجان بردى بيك الغزالي وكلاهما من الجراكسة ، وكان بينهما وبين الغوري عداوة ، وكان يكرههما وهما يكرهانه ، فلما كان القتال بين الغوري والسلطان سليم بمرج دابق أمرهما الغوري أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما مع عسكرهما حججاً أمامه ووقف الغوري مع خواص عسكره الذين يعتمد عليهم متأخرين عنهما وأراد بذلك أن يقتل بالبنادق في أول القتال فيسلم هو ومن معه ففتظن خير الدين بيك والغزالي لذلك ، فأرسلا إلى السلطان سليم وطلبا منه الأمان فأرسل السلطان سليم لهما بالأمان وتعهد لهما بما يطيب خاطرهما وأن يوليها مملكة مصر والشام فقبلا ذلك منه ووافقاه على ذلك القتال ، فلما تلاقى العسكر فر خير الدين بيك بمن معه من اليمين وفر الغزالي بمن معه من اليسرة وبقى السلطان الغوري ومن معه في القلب فهلك من هلك وهرب من هرب وقتل الغوري تحت سنابك الخيل ، فلما تم الأمر للسلطان سليم واستقر له ملك الشام ومصر قرب خير الدين بك والأمير جان بردى وأدناهما ثم ولي الأمير جان بردى دمشق والأمير خير الدين مصر فعلا شأنهما وانتشر ذكرهما فلما بلغ الأمير جان بردى والي دمشق وفاة السلطان سليم خلع الطاعة وأراد أن يتسلطن بدمشق ونواحيها فجمع جموعاً ، وسار إلى مدينة حلب ليستولي عليها فحاصرها مدة فلم يقدر عليها ، وكان نائب حلب إذ ذاك قرجه أحمد باشا فجد في دفعه

واجتهد فرجع جان بردى إلى دمشق وزاد في تحصين القلعة وترميمها فأرسل إليه السلطان سليمان وزيره فرهاد باشا في عسكر كثير فالتقوا مع عسكر جان بردى في موضع يقال له المصطبة بأرض القابون وذلك في صفر سنة ٩٢٧ فانهزم جان بردى وعسكره وذهبوا تحت أرجل الخيل ولم يبق له ولا لجنوده أثر وقال القطبي أنهم قبضوا عليه وقتلوه وقطموا رأسه وأرسلوه إلى الباب العالي فدخل فرهاد باشا الشام ورتب أمورها ورجع إلى دار السلطنة فخلع عليه السلطان وزاد في قدره ورتبته .

### ذكر غزوات مولانا السلطان سليمان

الغزوة الأولى قتال قرال انكروس لارش ويقال لهم المجر كان من سمودات السلطان سليمان سليم ، أنه في أول ولايته كان بين دول الإفرنج اختلاف واضطراب وقتن بين الفرنسيسى وأسبانيا وإيطاليا فاغتم السلطان سليمان هذه الفرصة وزحف بعسكر جرار سنة ٩٢٧ ، وكان رحمه الله محباً للجهاد في سبيل الله باذلاً نفسه وخزائنه لإعلاء كلمة الله لم ترتفع راية الإسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر منه جهاداً ونصرة للدين فبرز بجيوشه بنفسه من القسطنطينية برأ الإحدى عشر ليلة مضت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كثير وأمر بتجهيز أساطيل كثيرة بحراً فجعل منها ٥٠ للجاهدين وأربعمائة للمدواب والأثقال وسيرهم حتى دخلوا في نهر الطونة فأرسلوا بقرب بلغراد وهي مدينة حصينة لها سور منيع وقد أحاط بها نهران عظيمان ، وهما نهر الطونة ونهر منارة ، قيل أن السبب في هذه الغزوة أن المجر قتلوا المباشر الذي كان عندهم من طرف السلطان لجمع الخراج فكان ذلك سبباً لغضب السلطان وجعل السلطان خروجه على طريق وارنة ومعه عساكر كثيرة وبعث جيشاً حاصروا قلعة بوكر دلوه وهي قلعة حصينة على شاطئ نهر صاوه فحاصروها حتى ملكوها ثم توجهوا إلى بلغراد ثم لحق بهم السلطان وصاروا جميعاً محاصرين بلغراد ولم يزل يشتد الأمر ويعظم القتال حتى فتح الله على المسلمين وقتلوا كثيراً من الكفار وفازوا بغنائم لا تحصى واستولى السلطان على بلادهم بعد أن أخرب

كثيراً منها ، فلما شاهد الكفار هذا الفتح العظيم جاؤا له بمفاتيح ثمان قلاع منيعة هناك ثم أمر السلطان بتعمير ما تهدم من قلعة بلغراد وعين لها أميراً وقاضياً ورجع إلى كرسي سلطنته سالماً غانماً في شهر ذي القعدة الحرام من سنته .

## الغزوة الثانية غزوة رودس

وهي جزيرة في وسط البحر ما بين القسطنطينية ومصر وبني الكفار بها حصناً حصيناً فكان في غاية الاستحكام مكيناً جعلوه لأخذ المسلمين وأتقنوه في غاية الإتقان والتمكين بحيث رسخ أساسه إلى تخوم الأرضين ، وارتفع رأسه إلى نجوم الشرطين والبطين ينظرون من أعلى القلعة إلى السفائن التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيئون للتحصن إن كان ذلك عسكرياً من المسلمين ويأخذونهم إن كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبداً يجهزون أموالهم إليه لتصرف في استحكام بنائه وإتقانه وجعلوا من أعلاه إلى أسفله من جميع جوانبه ثقوباً وضعوا فيها المدافع الكبيرة ترمى على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جميع الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول إلى الباب ويهيئون أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة إذا أحسوا بسينفة في البحر من الحجاج أو التجار أخرجوا إليها تلك الأغربة وأخذوها وغنموا ما فيها من الأموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الأسلوب ويجمعون الأموال ويصرفونها على مقاتلتهم ، وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين عن دفع ضررهم وعم أذاهم المسلمين وقد تكررت غزوة المسلمين بلاد رودس وتكرر انتقاضهم وقد تقدم بعض ذلك ، فلما تحقق السلطان سليمان كثرة الأذى الحاصل للمسلمين من أهل رودس تجهز بنفسه لغزوها وقتلهم وكان سفره الميمون إليها ونزوله ونخيمه الشريف في اسكدار متوجهاً إلى هذا الغزو لعشر بقين من شهر رجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله إلى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة وكان عدة الجيش الذي جهزه مؤلفاً من مائتي ألف مقاتل وسفائن بحرية تبلغ أربعمئة سفينة فأحاطت الجيوش براً وبحراً بجزيرة

رودس وحاصرها فأرسل ملكها يستنجد بملك الفرنسيس وملك أسبانيا فلم يجيباه لما  
كان بين ملوكهم من الفتن فأرسل البابا صاحب رومة إليهما يحثهما على المدافعة والحماية  
عن تلك الجزيرة لأنها من الحصون المانعة للمسيحيين من مصادمة العثمانيين ، فلم يلتفتا إلى  
كلام البابا وفي رابع رمضان طلع السلطان سليمان على محل رفيع مشرف على حصن رودس  
فراها قلعة حصينة كان بانيها ماهرا في الهندسة بحيث أنه بنى سور القلعة تحت الأرض وعمل  
لها خندقا عريضا عميقا وجعل للبلد سورين في عرش سبعة أذرع وملا ما بينهما وهو مقدار  
عشرة أذرع بالتراب والحجارة ولها من جانب البحر مينا عظيمة مدورة كالخوض ولها باب  
مخصوص جعلوا عليه سلسلة من حديد ولها بعض بروج تنافى في الرفة والإحكام سمك  
السماء وحضر خير الدين بك صاحب مصر في أربعة وعشرين غرابا إمدادا للمسلمين  
واستمرروا في أمر الحصار يقاتلونهم بالبنادق والمدافع مدة تزيد على ثلاثين يوماً وقيل بل  
سنة أشهر فلم ينفوا شيئاً قال العلامة القطبي وما أمكن من في البحر أن يقرب من حصار  
رودس للخندق العظيم الذي حولها مع صوته بالمدافع العظيمة ولا أمكن أيضا القرب منها  
للسلسلة المدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقربها بالمدافع الكبار فصاروا  
يصيبون المسلمون بالمدافع ولا يصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصن وعدم تأثير المدافع  
فيه فتأخرت عساكر البر قليلا وأمسروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبل وتترسوا بها  
وصاروا يقدمونها قليلا قليلا إلى أن وصل التراب في الخندق وامتلا به وقرب من الجدار  
وارتفع عليه فصار الكفار تحت للمسلمين يصابون ولا يصيبون فطبق الخنادق ونقب  
الأسوار من تحت الأرض ، ثم أنهم ملأوا الثقوب بالبارود وأضرموها بالنار فانفتح  
بسبب ذلك عدة من مواضع يمكن العبور منها إلى القلعة ، فلما شاهد الكفار ذلك طلبوا  
الأمان فأمهم السلطان ثم رجموا عن ذلك لأنه أتاهم مدد من الكفار في عدة مراكز  
في الليل فشرع المسلمون في الحرب ثانيا قيل إنهم ضربوا على رودس أكثر من مائتين  
وعشرين ألف مدفع فصارت خرابا حتى اضطرت الكفار وطلبوا الأمان وأرسل أمير القلعة  
خمسين نفرأ من كبارهم بالرسالة فقبل السلطان سؤالهم فأمنهم وأذن لهم في المسير مع جماعة

وأمرهم أن يطلقوا أسارى المسلمين الذين كانوا عندهم وكانوا عددا كثيرا بأسورين عندهم من الأشراف والأعيان والعباد من مدة متطاولة في سلاسل وأغلال فأطلقهم وخرج صاحب رودس وتبعه أربعة آلاف من أهل رودس فأعطاهم البابا مدينة ويتسربته من بلاد إيطاليا فأقاموا فيها إلى أن نقلهم الملك شرکان امبراطور أسبانيا إلى جزيرة مالطة ففسبوا إليها فكانوا يقال لهم شقارية مالطة وصارت من ذلك العهد دار إقامتهم إلى أن استخلصها منهم بونابرت وهوأت إلى مصر سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة ، ثم دخل المسلمون عسكر السلطان سليمان مدينة رودس وأخربوا الكنائس وجعلوها جوامع ثم رتب السلطان أمور رودس وجعل الجزية على من بقي بها وكان فتح رودس لست مضين من شهر صفر الخير سنة تسعمائة وتسع وعشرين وحصل لأهل الإسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس بذلك تواريخ ألفتها (يفرح المؤمنون بنصر الله) ٩٢٩ وفتحت عدة قلاع في ذلك العام ورجع السلطان إلى القسطنطينية كرسى ملكه سالماً غانماً .

## ذكر عصيان أحمد باشا والى مصر وخلعه السلطان

وأخذ البيعة من الناس لنفسه

كان السلطان سليمان له وزير مقرب تربى معه ونشأ في خدمته وملازمته اسمه ابراهيم باشا وكان لوالده السلطان سليم وزير آخر يسمى أحمد باشا فظن أن وزارة الصدارة لاتعمدها إلى غيره لكونه من خواص ممالك السلطان سليم ووزرائه فأعطى السلطان سليمان الصدارة لابراهيم باشا فزاحمه أحمد باشا وصار يخدم السلطنة في كثير مما يتعلق بالصدارة ، فشكاه ابراهيم باشا إلى السلطان ودبر في إزالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ولاية مصر وأعطاه أقطاعا كثيرة يستجلب بها خاطره فمضى إلى مصر والياً وصار يتعقبه ابراهيم باشا في أشياء كثيرة للعداوة السابقة ويرميه عند السلطان بما يوجب قتله فبرز الأمر لجماعة من الأمراء المستحفظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه في محله بالأمر الشريف السلطاني ويتولى أحدهم مكانه إلى أن يرد الأمر الشريف بإقامة من يختاره السلطان وأرسلت



هذه الأحكام إلى الأمراء المذكورين فوقت تلك الأحكام بيد أحمد باشا قبل أن تصل إلى الأمراء المذكورين فجمعهم في ديوانه وذكر لهم أن الأمر الشريف السلطاني ورد إليه بقتلهم فأذعنوا للأمر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن أنه يأوي إلى جبل يعصمه من السلطان وإنه يقابل ويقا تل بجيش بلفقه من مصر . فأبدى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه وأمر الناس أن يبايعوه وأمر أن يخطب باسمه على المنابر في أيام الجمع ورتب عسكرياً بمصر من العوانية وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى أهل قلعة الجبل وجمع عليهم الشطار فأخذوها بالحيل وقتلوا من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الجزائر ومحمود بك وأراد قتلها وقد أخرج الله أجلها فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وبرزوا ونصبا صنجاناً سلطانياً وناديا من أطاع السلطان فليقف تحت لوائه ، فاجتمع تحت الصنجان السلطاني خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمود بك وجانم الجزائر بمثابة الوزير وتوجهوا بالمسكر إلى الحمام فكبسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعجل النصف الثاني هجوم العسكر السلطاني عليه فهرب إلى السطح وتخلص من مكان إلى مكان وخلص إلى البر والتجأ إلى شيخ من مشايخ العرب بفاحية الشرقية يسمى عبد الدائم وقوى العسكر السلطاني ونهبوا ما جمعه من الأموال بالظلم والمصادرة وخرجوا إليه يطلبونه وخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم فقطعوا رأسه وطافوا بها مصر وعلقوها في باب زويلة ، ثم جهزوها إلى الأعتاب السلطانية وذلك في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وضبط مصر محمود بك وجانم الجزائر إلى أن جاء قاسم باشا من دار السلطنة متوالياً مصر واستمر إبراهيم باشا في وزارته العظمى ، ثم أرسله السلطان وهو وزير أعظم إلى مصر لإصلاحها فجاء إليها بقاية العظمة والإقبال ونظر في أحوالها وأمورها وولى على مصر قاسم باشا ورجع إبراهيم باشا إلى دار السلطنة فكان مقبولاً معظماً عند السلطان نافذ الأمر والنهي إلى أن أفرط في الدلال وزاد في الإدلال فاستبد بالأمور واستقبل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحمات زيادة عجبته وإدلاله وكثر حاسدوه فوشوا به إلى السلطان سليمان وقالوا له إنه يريد قتل السلطان

والجلوس على تخت السلطنة ، فلما بلغ السلطان سليمان ذلك أراد أن يختبر حقيقة الأمر ، فقال يوماً لإبراهيم باشا وهما في مجلس أنس أني أريد أن أجعل السلطنة لك فقال العفو يا مولانا السلطان فإن للعبد لا يبلغ مرتبة السيد فقال له السلطان لا بد من ذلك فقال إبراهيم باشا يكفي أن يتفضل مولانا السلطان على بأن يأمر في دار الضرب أن يجعلوا على وجه السكة اسم مولانا السلطان وعلى الوجه الآخر اسمي فإني أكتفي بالمشاركة في السكة فلما أطلع السلطان على صحة ذلك الأمر بالقرائن التي ظهرت له أمر بقتله فطلبه السلطان في ليلة من ليالي أواخر رمضان إلى عنده وأنعم عليه على جاري عادته بفنائس وإنعامات وافرة ووهب له جميع ما كان في مجلسه من أواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت عنده في مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه إلى أن غلب سلطان المنام على مقتله وأماقيه فأمر بذبجه فذبج وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيراً وكان السلطان قريباً من موضعه ، وقد صمم في أمر قتله فأمر أن يكمل ذبجه فقطع رأسه وأطفي نبراسه وأخذت أنفاسه ولعل كثرة إحسانه إلى الناس ونشر مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعته عند الله تعالى في الدار الآخرة ولعله صدقت نيته في بعضها فصادفت قبولاً وصارت له عند الله ذخراً ، فكم من عمل صالح يكون سبباً لانتجاة من النار ويدخل به صاحبه الجنة مع الشهداء الأبرار ، وماربك بظلام للعبيد ، وكان قتله في الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة تسعمائة وإحدى وأربعين وفي قصته وقصة أحمد باشا خصمه عبرة للناظرين وأولى الأبصار والمستبصرين ورحم الله القاتل :

ومصاحب السلطان مثل سفينة في البحر ترعد دائماً من خوفه

إن أدخلت من مائها في جوفها أدخلها وماءها في جوفه

وفي سنة ثلاثين وتسعمائة هلك سلطان العجم اسماعيل شاه وقام بالملك بعده ولده

طهما وسب شاه .

## ذكر استغاثة ملك الفرنسيين بالسلطان سليمان

في سنة اثنتين وثلاثين حضر إلى دار السلطنة رسل من ملك الفرنسيين ومعهم مكاتبة لمولانا السلطان سليمان مضمونها الشكاية إليه من تغلب بعض الملوك أعدائه على مملكته فهو يستغيث بمولانا السلطان سليمان ويطلب منه أن ينجده بمدده وذكر في تلك الكاتبة تفخيا وتبجيلا وتعظيما كثيرا لمولانا السلطان يستعطفه به فأجابه إلى مطلبه وأنجده وجهز له جيوشا كثيرة برا وبحرا ، فكانت تلك الجنود مع الفرنسيين إلى أن انقضى مرامه ودفع التغلب عليه بل غلبه وقهره فمن ذلك الوقت صار الفرنسيين يعدون أنفسهم خدما وأتباعا للدولة العثمانية .

## الغزوة الثالثة إلى الأناكر وس

في سنة اثنتين وثلاثين وقيل أربع وثلاثين بلغ مولانا السلطان أن طائفة الأناكر وس وهم المجر كثير بغيرهم وفسادهم وطغيانهم وتكرر ذلك منهم المرة بعد المرة ولم ينجح فيهم التخويف والموعظة ، فتجهز مولانا السلطان لقتالهم وجهز لهم جيشا يبلغ مائتي ألف مقاتل ، وقيل ثلاثمائة ألف ، وخرج بنفسه ، فلما وصل إلى بلغارد لم يزل مشغولا بفتح الحصون والقلاع جاء أكثر أهلها يطلبون الأمان وسلموا مفاتيح القلاع ، ثم سار مولانا السلطان حتى انتهى إلى نهر صاوة وهو من أعظم أنهار الدنيا ، فأمر مولانا السلطان فآخذوا عليه جسرا ممدودا أمام قلعة هرسك فاجتاز العسكر منه إلى بلاد الكفار ثم أمر السلطان برفع الجسر فرفع فبقى المسلمون في بلاد الكفار وذلك يدل على شهامته وقوة عزمه وقطع أطاع العسكر من الفرار إلى بلادهم ، ولما سمع القرال لارش ويقال له أيضا لارس وهو رئيس كفار أنكر وس أعنى المجر جمع جنوده ، وسار بهم من كرسي مملكتهم إلى طرف عسكر المسلمين نحو خمس منازل يريد مهاجمة المسلمين وأن يبادرهم في القتال اغترارا بمن معه من الجنود وخيم في مفازة هناك تسمى صهارج وأشرف المسلمون

محل الكفار وربوة القتال فرتبو الميمنة والميسرة والقلب وأخذوا أهبة الحرب وتضرع  
السلطان إلى الله تعالى رسالة النصر وتوجه إليه بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل أمام العسكر  
في هيئة الحاجزين العسكرين مائة وخمسين عجلة كانت تجر المدافع الكبار وركبوا عليها  
المدافع وقيدوا بعضها ببعض بالسلاسل ووقف عساكر السلطان الأنقشارية تسع صفوف  
كما هي عادتهم في الحرب وهجم الكفار بأجمعهم على القلب فرأوا أنه لا سبيل إلى العبور  
بسبب العجلات فأنحازوا إلى طرف اليمين فوق وقع بينهم وبين عسكر المسلمين أهل روملى  
مقتلة عظيمة ، فلما علم الكفار أنهم لا طاقة لهم بهم انحازوا إلى طرف عسكر أناطولى  
فانقتلوا أيضاً معهم قتالا شديداً ، وكان قد أصاب رئيس الكفرة القرال لارش مدفع من جنود  
المسلمين كان به هلاكه وتلفه فتضعفت جنوده عن المقاومة وامتد القتال إلى غروب  
الشمس ، ثم انتصر المسلمون وانهزم الكافرون وصاروا كحمر مستنفرة فرت من قسور  
فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى صارت أجساد الكفار كالتلال وجرت  
الدماء كالسيل وغنم المسلمون من الأموال والدواب شيئاً لا يحصى ، قيل أن القتلى من  
الكفار عشرين ألفاً ثم أغار الجند على بلاد أنكروس وتوغلوا فيها مسيرة عشرة أيام  
وجاؤا بالأسرى والغنائم واستولى مولانا السلطان على الحصون والقلاع الواقعة في الجبل  
الجنوبية من تلك المملكة ، ثم رجع قافلاً إلى القسطنطينية في أواخر شهر ذى القعدة  
الحرام من السنة المذكورة .

## الغزوة الرابعة إلى بلاد النمسا وقرادنز

كانت هذه الغزوة سنة ٩٣٥ وسببها أنه اجتمع كفار النمسا والألمان وقرادنز وأعدوا  
على قلعة للمسلمين تسمى بدون أخذوها من المسلمين بحيلة وعلى غرة وغفلة ، فلما علم  
الحضرة السلطانية ما فعلوه استشاط غيظاً وأمر بالتجهيز للغزو ليحصل قمعهم فبرز  
دار السلطان إلى حلقة لوبكار ليلتين مضتتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعة

واستمر راحلا بجيوش كثيرة إلى أن وصل إلى الخييم العالی فجاءته امرأة من ملوك  
أنكروس تطلب الأمان لجماعة من قومها والتزمت بخراج أنكروس كل عام فقوبلت  
من الحضرة الشريفة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها بالأمان  
وعادت إلى بلادها واستمر الوطاق السلطاني وتوجه كثير من العساكر إلى محاصرة قلعة  
بدون التي كانوا أخذوها فحاصروها وضيقوا على من فيها إلى أن فتحها الله كما فتح سائر  
البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وكان فتحها بعد حرب شديد ، ثم ولوا هارين ومأسورين  
ومقتولين لأربع مضي من محرم سنة ست وثلاثين ثم فتحت قلعة تياق حصارى ثم  
توجه العساكر إلى محاصرة قلعة أخرى قريب تحت النمسا كانت من أعظم قلاع الكفار  
فأحاط الجند بها وحاصروها فطلب أهل القلعة الأمان وأتوا بمفاتيحها إلى حضرة  
مولانا السلطان ، ولما كانت القلعة المذكورة بعيدة عن حدود الإسلام غير مأمونة من  
هجوم الكفار أمر حضرة مولانا السلطان بهدمها فهدمت وأخربت ونهبوا من كانوا  
نازلين بأطرافها وحواليها وسبيت أولادهم ونساؤهم وعاد السلطان إلى تحت ملكه  
بالنصر والتأييد أوائل شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة .

### الغزوة الخامسة إلى بلاد النمسا أيضا

في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة غزا مولانا السلطان سليمان بنفسه من القسطنطينية  
بمائة وعشرين ألف مقاتل وأربعمائة مدفع لحرب النمسا ونازل مدينة فينا عاصمة مملكة  
النمسا وأقام عليها الحصار فقاتلوا أشد القتال وحصلت أمطار شديدة تاذى المساهون  
منها وفاض النهر وأخذ الخيام وجملة من العسكر وصعد بعضهم على الأشجار هربا من  
الماء ومكنوا يومين وليلتين وهم في مشقة شديدة حتى انكشفت المياه ، ولما رأى السلطان  
ذلك تجول وارتحل عن المدينة وقتلت عسكر الانقشارية الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم  
ولما وصل مولانا السلطان إلى مدينة موهكز من بلاد المجر أتاه حاكمها وبذل الطاعة  
قبله وأكرمه وأجلسه عن يمين كرسيه ولما أراد الانصراف خلع عليه خامة ثمينة وأعطاه

ثلاثة أفراس من جياد الخيل عليها سروج مرصعة ورجع السلطان إلى مقر سلطنته سالماً .

## الغزوة السادسة إلى بلاد الألمان

لما كانت سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وصلت الأخبار إلى الأبواب السلطانية أن قرال النيمسا جمع طائفة من كفار الألمان وأراد الإفساد والطفيان فتوجهت همه مولانا السلطان سليمان إلى المبادرة إلى قتال هذا اللعين فجهز الجيوش برأ وبحراً وأرسل في شعبان من طريق البحر أحمد باشا القبودان لحفظة وجه البحر من النصارى ومعه عشرون غراباً مشحونة بالمساکر الأبطال فافتتح عدة قلاع من بلاد الفرنج وأرعبهم غاية الرعب وقتل وسبي كثيراً منهم وتوجه مولانا السلطان برأ من دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة ، فوصل بجيوشه إلى مملكة الألمان وأحاط بما فيها من الحصون والقلاع بعساكره وضيقوا عليها ونهبوا قراها وضياءها المعمورة وسبوا كثيراً من زراري الكفار وغنموا ما لا يحصى من الأموال وقتلوا من الرجال ما لا يخطر بالبال وهرب ملوكهم وتركوا صعلوكهم وبدلوا ما بقي معهم من الأموال والذخائر على بذل الأمان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة السنية إلى سؤالهم وكعب لهم توقيع الأمان وعاد مولانا السلطان إلى دار ملكه المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة .

## الغزوة السابعة إلى بلاد السرب

في سنة تسع وثلاثين خرج مولانا السلطان سليمان بمائتي ألف مقاتل لمحاربة السرب فافتتح في طريقه أربع عشرة قلعة واستولى على أكثر حدود بلاد النيمسا ثم رجع إلى القسطنطينية سالماً غانماً ، وفي سنة أربعين عقد صلحاً مع ملوك الفرنج أهل أوروبا ليتفرغوا لمحاربة العجم لكثرة الخلاف الحاصل بينهم .

## الغزوة الثامنة إلى بلاد المعجم

في سنة أربعين وتسعمائة توجهت همة مولانا السلطان سليمان إلى محاربة المعجم فجهز جيوشاً كثيرة وأرسلها مع الصدر الأعظم في أوائل شهر ربيع الأول فافتتح كثيراً من القلاع والحصون والمدائن ثم خرج مولانا السلطان سليمان بنفسه في ثامن ذي القعدة حتى انتهى إلى تبريز فاستقبل الصدر الأعظم قبل وصوله إلى تبريز بمن معه من العساكر وتوجه بها جميع العساكر لاستئصال مملكة المعجم وهرب سلطان المعجم وصار ينتقل في الجهات والأطراف حتى انتهى في هربه إلى خراسان ولما وصل مولانا السلطان إلى تبريز استقبله أهلها وهنوه بالقدوم ، فلما جاء الشتاء توجه إلى مدينة بغداد ، وكانت بيد سلطان المعجم ، وكان له نائب بها وهو بكلو محمد خان فلما سمع بقدوم مولانا السلطان بعث إليه بالطاعة ثم هرب إلى بلاد المعجم فدخل مولانا السلطان بعساكرة مدينة بغداد وقصد زيارة الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكان إسماعيل شاه نقض تربيته وهدمها فجددها مولانا السلطان وجعل عليه مشهداً عظيماً وبني فيه تسكية يطبخ فيها الطعام وبني في بغداد قلعة حصينة وشحنها بالمدافع والعساكر ، وكان دخول مولانا السلطان بغداد في ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة ولما أقبل الربيع نزل منزلاً يقال له صاروجه قمش ، ثم نهض بعساكره يريد سلطان المعجم فتوغل في بلاده حتى وصل إلى مدينة دركزين فجاءته رسل سلطان المعجم وتكرر مجيئهم يطلبون الصالح وكتب إليه سلطان المعجم أنه لا يقاتل أبداً ويرجوه من كرم السلطان أن يرحم الرعايا فقد خربت ديارهم وهلكت دوابهم ويسأل العفو وأن يعود مولانا السلطان إلى بلاد الروم وأعطى اليهود أنه لا يخون وتكون البلاد التي أخذها السلطان تحت حكمه لا يفازع السلطان فيها أبداً وأنه يكون تحت خدمته يابيه كلما دعاه فلما تحقق السلطان منه ذلك عقد معه صلحاً وأمر العساكر بالرجوع فرحل بهم ورجع إلى مقر سلطنته فدخل دار السلطنة رابع عشر رجب سنة إحدى وأربعين وتسعمائة وزينت المدينة واستبشروا بقدومه وألطف تاريخ قيل في ذلك : فتحنا العراق .

## الغزوة التاسعة إلى مملكة أسبانيا وجزائر الغرب

كانت هذه الغزوة في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة كما في التاريخ القبطي وذكر بعض المؤرخين أنها كانت في سنة خمس وأربعين وحاصلها أن مولانا السلطان توجه بنفسه الشريفة من طريق البر ومعه عساكر كثيرة وأرسل من طريق البحر خمسمائة غراب مشحونة بالعساكر والذخائر والسلاح وعليها خير الدين باشا فافتتح عساكر البر والبحر قلاعاً وحصوناً كثيرة بعد حروب كثيرة وتملكوا أربعة وثلاثين حصناً وخمسة وعشرين جزيرة من جزائر البندقية وهم طائفة من النصاري خليفتهم البابا وضربوا مراكب البندقية، وكانت مائة وسبعة وستين فشتوها وسلمت البندقية لمولانا السلطان قلاع نابولي ورومانيا وغيرها ودفعت لمولانا السلطان ثلاثمائة ألف ريال ورجع سالماً منصوراً مظفراً وكانت غنيمة المسلمين من أموال الكفار وسباياهم مما لا يحصى.

## الغزوة العاشرة إلى البغدان

وكانت هذه الغزوة في سنة أربع وأربعين وتسعمائة توجه مولانا السلطان بنفسه الشريفة ومعه كثير من عساكره المنصورة إلى بلاد البغدان وقتل فيها وأسأل الدماء وسفك وافتتح القلاع وغنم أموالاً كثيرة وأسرى نفوساً عديدة غير محصورة وعاد إلى تحت ملكه الشريف مؤيداً من عند الله سبحانه وتعالى بالنصر والتأييد والفتح الجديد فوصل إلى دار السلطنة لست بقين من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وتسعمائة.

## الغزوة الحادية عشرة إلى اسطبور من بلاد أنكروس

سبب هذه الغزوة أن مولانا السلطان كان قد أنعم على امرأة من أبناء ملوكهم يقال لها أردل بانو بتلك البلاد ثم توفيت فأراد قرال النمسا أن تملك تلك البلاد فتوجه مولانا السلطان بعساكره المنصورة سنة ثمان وأربعين وتسعمائة إلى قتال قرال النيمسا، فلما أحس بوصول المسكر المنصور السلطان فر هارباً إلى الجبال وتقهقر عن القتال فتمتته الأبطال فقر منهم



فجالت العساكر المنصورة في تلك البداران وقتلوا أهل البنى والعدوان وسبوا الأولاد والأطفال والنساء وتركوا ديار الكفر قاعاً صفضفا وغنموا مغانم كثيرة وفتحوا قلعة اسطبور وفتحوا أيضاً قلعة رشوة وقتلوا من الكفار ما لا يحصى وعاد مولانا السلطان بساكره إلى مقر سلطنته منصورين مؤيدين .

## الغزوة الثانية عشرة غزوة استرعون

كانت هذه الغزوة سنة ٩٥٠ وذلك أن مولانا السلطان توجهت مهمته لتتظيف بلاد الروملى من طوائف الكفار بالغزو والجهاد فتوجه من دار سلطنته بالجيوش الخواترة وسار إلى أن أحاط بقلعة واليوة وقلعة شقلا ولاشور وهما من أحكم القلاع وأعظم الحصون فحاصرها إلى أن فتحها في غرة ربيع الأول من العام المذكور ثم افتتح قلعة استرعون وهي قلعة في غاية الاستحكام مشحونة بالذخائر والأموال مملوءة بالعدد والعدد الوافر فحاصروها وألقى الله الرعب في قلوب أهلها ، ثم افتتحها وأخذ من فيها أخذاً وبيلا وأسروا وقتلوا تفتيلاً ونهبت الأموال وسببت النساء والأولاد والأطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع والقلاع وكذلك فتحت قلعة استواين بباغارد وهي قلعة سامية العباد وعين لها وإفيراها من القلاع الأمراء الحفاظ النبلاء الأيقاظ ونصب لكل منها قاضياً يجرى الأحكام الشرعية وسنجقاً للاستحفاظ ، وصارت من الممالك المحروسة السلطانية وصارت البيع والكنائس مساجد للصلاة والعبادات ، ورجع مولانا السلطان إلى كرمى ملكه مظفراً منصوراً .

## الغزوة الثالثة عشره سنة أربع وخمسين وتسعمائة

هذه الغزوة كانت إلى الهند لكن لم يخرج فيها مولانا السلطان بنفسه وإنما جهز الجيوش وأرسلها وسبها إلى طائفة من الفرنج يقال لهم البرتوقال كانوا يغيرون بمراكبهم وعساكرهم في بحر الهند ، فأرسل سلطان الهند إلى مولانا السلطان سليمان يستغيث به ويشكو إليه بأن الطائفة المذكورة تغلبوا على ممالكه وبطلب نجدة من مولانا السلطان

فجهز إليه عساكر في مراكب بحرية وبعثهم مع الوزير سليمان باشا فوصل بها إلى الهند  
ودفع البرتوقال فصار سلطان الهند من جملة المنتسبين إلى السلطنة السلمانية الداعين لها  
القائمين بخدمتها ورجع سليمان باشا إلى اليمن ثم إلى دار السلطنة غانما سالماً .

## الغزوة الرابعة عشر إلى بلاد العجم

كانت هذه الغزوة أيضاً سنة أربع وخمسين وتسعمائة إلى بلاد العجم وسببها أن  
سلطان العجم طهماسب كان له أخ يسمى القاسب ميرزا كان قد ولاه مدينة شروان ،  
ثم وقع بينهما اختلاف آل الأمر منه إلى القتال ولم يكن للقاسب طاقة لمقاومة أخيه  
وجيوشه ففر هارباً مع جماعة من خواصه إلى الروم ملتجئاً إلى مولانا السلطان سليمان فلما  
وصل دار السلطنة السنية أكرمه مولانا السلطان سليمان ووهب له من الذهب الأحمر  
شيئاً كثيراً ووهب له عدة أحمال من الأقمشة وعدة خيول وأعطاه الطبل والعلم ووعدته  
بالنصر ثم تجهز مولانا السلطان بنفسه إلى المسير لقتال طهماسب وأمر أخاه القاسب ميرزا  
بالتقدم وقواه بطائفة من العسكر ، وفي الثامن من شهر صفر سنة خمس وخمسين وتسعمائة  
توجه السلطان سليمان بنفسه قاصداً بلاد العجم ، فلما قرب من حدود أذربيجان نزل  
ببرهان واستخلص شروان من يد جماعة طهماسب ، وفي عشرين من جمادى الآخرة من  
هذه السنة وصل إلى تبريز وفوض أمرها إلى القاسب ميرزا أخى سلطان العجم وأعطاه  
من العسكر والمدافع الكبار ما يكفيه ، فلما تولى القاسب إمارة تبريز جعل يصادر الرعايا  
والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك العجم فلما تحقق السلطان سليمان منه ذلك استصحبه معه ،  
وكان قصد السلطان أن يسير على مدينته وأن يخلصها منه لأنه ملكها من نواب السلطان  
بعد أن ملكوها فوصل إليها في عاشر رجب ، وكان طهماسب شغها بالرجال والأبطال  
وأحصنها غاية الإحصان ولم تزل العساكر يعالجون الحصار بضرب المدافع وحمل  
النار حتى أخرجوا أكثرها ، فلما تيقن من بالقلعة أنهم مأخوذون تدلى بعضهم من  
القلعة بحبل واجتمع بالقاسب ميرزا وتضرع إليه واستشفع به فشفع القاسب عند

السلطان سليمان في إعطائهم الأمان والعفو عنهم فقبل شفاعته فخرجوا من القاعة وسلموها لصاحبها فدخلها أهل السنة والجماعة ونصبوا عليها الأعلام الإسلامية وولى السلطان اسكندر باشا الدفترى أمير الأمراء بها ، ولما قرب الشتاء قصد السلطان أن يسير إلى طرف ديار بكر فسار يشق حتى وصل إلى مدينة آمد فبينما هو مخيم فيها إذ ورد أن المعجم لما بلغهم عود السلطان دخلوا مدينة أذربيجان وأحرقوها وشردوا أهلها وقتلوا من قدروا عليه وأحرقوا الزروع ، فلما بلغ ذلك السلطان أمر الوزير أحمد باشا بالسير إليهم وعضده بجماعة من العسكر واستخبروا بأن جماعة سلطان المعجم نخيمون بقرب مدينة تبريز فساروا وكبسوم بالليل وقانلوم وشردوم ، ثم أن القاسب أخا سلطان المعجم تضرع إلى السلطان سليمان أن يعطيه جماعة من العسكر ليسير بهم إلى بلاد أصفهان وقم وقاشان لأن بها معظم أموال أخيه سلطان المعجم وخزائنه فأجابه السلطان سليمان سؤاله وعضده بطائفة من عساكر الأكراد والأعجام واجتاز السلطان سليمان بنهر الفرات ووصل إلى حلب ووصل القاسب بمن معه إلى حدود عراق المعجم فتوغل بها وبدأ بالنهب والتعريق والتخريب حتى وصل إلى حدود فارس وأخرب ضياعهم وأحرق بيوتهم وأمر أولادهم وأزواجهم ثم عاد إلى بغداد وشقق بها ووقع بينه وبين الوزير محمد باشا المتولى بغداد من طرف مولانا السلطان سليمان وحشة اقتضت أن عرض محمد باشا إلى السلطان سليمان بأن القاسب ترفض ورفض طاعة السلطان ولم يكن الأمر على حقيقته وإنما هي مكيدة فعلها في حقه بفضاً وعداوة فلما اطلع القاسب على ذلك خاف على نفسه من صولة السلطان فهرب إلى بلاد الأكراد ولم يزل بها حتى قدر عليه أخوه طهماسب سلطان المعجم فقتله قتل شنيعة .

### الغزوة الخامسة عشرة إلى بلاد المعجم أيضاً

وفي سنة ستين وتسعمائة كثرت مخالفات سلطان المعجم لطاعة مولانا السلطان وكثر ظلمه وكثرت الشكايات فيه من جماعته وغيرهم فقصد مولانا السلطان سليمان التوجه لمحاربة المعجم فسار بعساكر كثيرة ودخل حلب في غرة ذي الحجة ، ولما وصل إلى أذربيجان كتب إلى سلطان المعجم بدعوه للمبارزة وبغيره على ترك الحرب والاختفاء في الكون

ثم توجه مولانا السلطان سليمان حتى وصل إلى مدينة وان وهي من أحسن مدن الدنيا وأنزها فأخربها العسكر جميعاً وكان دأبهم كذلك من حين دخلوا بلاد المعجم ثم لم يزالوا كذلك حتى وصلوا في سادس عشرين شعبان من سنة إحدى وستين وتسعمائة إلى مدينة نخبوان مقر سلطان المعجم وفيها دور وقصور شاهجة لأركان ربيعة البنيان ودور أولاده وأحفاده ووزرائه وسائر أعيان دولته، فلما دخلها العسكر وجدوها خالية فقطعوا أشجارها وخرّبوا قصورها فصارت البلد كأنها أرض قفراء ما عمرت قط وأغار بعض العسكر على مدينة تبريز فنهبوا وقتلوا من قدورا على قتله، ثم أغاروا على مراغة فنهبوا وأحرقوا واقتلوا مع ألوف من جماعة سلطان المعجم فانتصروا عليهم وأخذوا تيجانهم المرصعة وأعلامهم وطبولهم، وفي أثناء ذلك وصل وفد من جانب سلطان المعجم ومعه مكتوب محصله أنه ندم على ما أظهر من عداوة وأظهر التذلل والاستغفار والتجأ إلى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فأجابه إلى مسئوله وخلع على الوافد ثم توجه السلطان وشق بمدينة أماسية ثم رجع إلى كرمي مملكة القسطنطينية .

## الغزوة السادسة عشرة إلى سلطان المغرب

لهذه الغزوة خبر عجيب غريب لم يذكره تواريخ أهل المشرق وهو يدل على ضخامة ملك مولانا السلطان سليمان وقوة سلطنته وعلو همته فيستحق أن يلحق بالغزوات وإن لم يخرج فيها السلطان بنفسه فينبغي ذكره لفرابته تنميماً للفوائد وهو ما ذكر في تواريخ أهل المغرب منها التاريخ المسمى نزهة الحادي في أخبار أهل القرن الحادي وهو تاريخ مخصوص بذكر ملوك المغرب للامامة الشيخ محمد بن عبد الله الأفراني المراكشي وذلك أنه ذكر هذا الخبر في ترجمة السلطان الملقب بالشيخ أبي عبد الله محمد المهدي بن أبي عبد الله القائم ثالث الخلفاء السعديين الذين ملكوا مراكش وفارس (وحاصل) ذلك الخبر أن السلطان المذكور لما تم له ملك المغرب ودانت له حواضره وبواديته تلقب بالمهدي وتاقت همته إلى بلاد المشرق فكان يقول لا بد لي أن أذهب إلى مصر وأخرج الأتراك من أحجارهم وأنزلهم في ديارهم فبلفت مقاتله مولانا السلطان سليمان العثماني وكان أبو عبد الله

لا يسمى سلطان العثمانيين إلا سلطان الحوارة لكون الغالب على الأتراك سفرهم في السفين  
فأنهى ذلك للسلطان سليمان العثماني فبعث له أناساً برسالة فلم يحتفل بهم بل قال أخبروا  
صاحبكم أني مقتحم عليه بلاده ومتوجه للقائه فلما رجعت الرسل للسلطان سليمان وأخبروه  
بمقالة أبي عبد الله الشيخ وما قاله لهم بعث السلطان سليمان لبعض وزرائه الذين بالجزائر  
أن يأتوا برأس أبي عبد الله ، فبعثوا رجلاً من أبطال جندهم في شردمة من الأجناس  
مظهرين أنهم هربوا من السلطان العثماني ورغبوا في خدمة أبي عبد الله ونيتهم المكيدة  
به والاعتقال له حيث أمكنهم ذلك ، فلما قدموا على السلطان أبي عبد الله فرح بهم غاية  
الفرح وأظهر السرور لمقدمهم عليه وكان عنده جماعة من الأتراك استخدمهم قبل ذلك  
وكان يركب معهم ويدنيهم ويأمن بهم ، فلما حضر هؤلاء الأتراك فرح بهم الأولون  
إذ كل غريب للغريب نسيب وأن من الغريب يعجب الغريب فأم يزل الأتراك القادمون  
قائمين بخدمته مختصين به يتربصون الفرصة ويتربصون المكيدة للفتك بأبي عبد الله فسافر  
للقتل بعض العصاة عليه فاما كان بجبال درنة بموضع يقال له أثلثة دخلوا عليه خباءه ليلاً  
على حين غفلة من العسكر وبقية الخدم فضربوا رأسه بشافور ضربة واحدة أماتوه بها  
واحتملوه في مخلاة وذهبوا به في الظلماء عامدين إلى جهة سجلماسة كأنهم رسل إلى تلمسان  
لثلاثين يوماً ثم أدر كوا في بعض المواضع فقاتل معهم طائفة حتى هلكوا وهرب  
بعضهم بالرأس إلى أن أبلغوه للسلطان سليمان بالقسطنطينية فلم يزل الرأس معلقاً بها إلى  
أن تلاشى وكان قتله في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وستين وتسعمائة وحمل  
جسده إلى مرا كس ودفن في قبور الأشراف انتهى .

### الغزوة السابعة عشرة لم يخرج فيها السلطان بنفسه

في سنة أربع وستين أيضاً سارت جيوش السلطان سليمان إلى اليمن لإصلاح اليمن  
وتملكه ودفع المتغلبين فيه فكان لهم غابة النصر والاستيلاء والتمكين وتمام الإصلاح  
دفعوا البرتقال التي كانت تقطع البحر وتغير على بلاد الإسلام بعد امتداد الفتن إلى  
سنة ثمان وستين وتسعمائة .

## الغزوة الثامنة عشرة

وفي سنة سبع وستين وتسعمائة توجه القبطان سنان باشا بعمارة عظيمة إلى جزيرة جربا في إفريقية وتملكها بعد حصار ثلاثة أشهر وأخذ حاكمها أسيراً وأتى به إلى القسطنطينية ، فلما بلغ ذلك ملك أسبانيا ركب على بلاد الجزائر وأخذ بعض قلاع ومراكب تخص الدولة فغضب السلطان من ذلك وعزم على فتح مالطة في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة خرج القبطان سنان باشا من ميناء القسطنطينية بعمارة تحتوي على مائة وإحدى وعشرين مركباً ومعه السر عسكر مصطفى باشا فلما وصلوا إلى الجزيرة المذكورة خرجت المساكن وأخذوا في عمل خنادق أمام القلعة وأقاموا عليها الحصار الشديد إلى أن أخذوها وأخذوا أسرى كثيرين وسمروا على أخشاب وطرحوا في البحر أمام المدينة وهي محاصرة وكان قد وقع في يد حاكم المدينة أسرى من الأنكشارية فلما رأى ذلك أمر بقطع رؤسهم ووضعها في المدافع وضرب بها المحاصرين ووقع عشر هجمات على المدينة وفقد عساكر كثيرة فلم يمكن أخذ المدينة فرفعوا الحصار عنها وارتحلوا .

## الغزوة التاسعة عشرة

وفي أثناء هذه المدة كان قد وقع الحرب بين الدولة والمجر وأخذت عساكر الدولة جملة بلدان من ممالك المجر فأرسلوا يطلبون الصلح ولم يرسلوا الخراج المنكسر عندهم فغضب السلطان وأمر بحبس رسولهم وعزم على السفر إليهم بنفسه فبلغهم الخبر فخصموا وأعطوا الطاعة وبدلوا المنكسر وضاعفوه بأضعاف كثيرة فعفا عنهم وأمنهم .

## الغزوة العشرون

وفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة نهض مولانا السلطان سليمان خان لفتح مدينة نصارى المجر تسمى سكندوار والحال أنه قد شاخ وكبر وهرم وازدادت عليه آفة القهر وهو روم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابه الرجلين فمنعه الأطباء عن السفر فلم يقبل

منهم لهبته الجهاد وقال أريد أن أموت غازياً فخرج لتسع مضين من شوال سنة أربع  
وسبعين وتسعمائة فسار بمسكر كثير متزاحم الأفواج متلاطم الأمواج ، وبعث وزيره  
برتو باشا إلى فتح قلعة كولة فلم يلبث إلا قليلاً حتى فتحها وأما السلطان فإنه وصل إلى  
بغداد بعد مشقة عظيمة بسبب المرض الذي به وكثرة الأمطار وسار منها إلى سملين  
فتسلمها وفتح جملة قلاع وبلدان وأما قلعة سكدار فهي قلعة في غاية الحصانة واسعة شاسعة  
مكينة راسخة البناء في حضيض الماء شاهجة الارتفاع في الهواء إلى عنان السماء مشحونة  
بآلات الحرب والمدافع مملوءة بجيوش النصارى وأبطالهم فكانت في المتانة إلى حد الفاية  
وقد أحاطت بها المياه والأوحال من كل جانب فلم يزد أمر القلعة إلا استعصاباً واشتد  
مرض السلطان وهو محاصر لها حتى أحس بالموت فدعا الله أن يجعل بالفتح ونصر المؤمنين  
وقال قد تحقق عندي الفتح يقيناً إن شاء الله ويكتب في التواريخ أن سليمان افتتح هذه  
القلعة العظيمة وهو ميت فاستجاب الله دعائه وحقق أمله وهو أوصى بالسلطنة لولده  
السلطان سليم الثاني ثم انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى وأخفى الوزير الأعظم محمد باشا  
وفاته شفقة بجيوش المسلمين أن يصيبهم فشل ودعا رئيس الأطباء فشق بطنه وملاه  
بالأجزاء الحارة ودفن أمعاءه هناك ثم لم يزالوا يجدون في أمر الفتح حتى فتحوها بعد وفاة  
السلطان بثلاثة أيام وقتلوا أصحابها وقتلوا ثلاثة آلاف ممن معه وكان من جملة أسباب فتحها أن  
النار اشتعلت في خزانة بارود الكفار وهي مخزونة في القلعة المذكورة ، فأخذت جنباً كبيراً  
من القلعة رفعت إلى عنان السماء زلزلت الأرض زلزلة هائلة وتطايرت جلاميد الصخر  
إلى الهواء ورمت شرراً ولهباً ودخاناً إلى أن امتلأ الفضاء وقتلت كثيراً من الكفار  
الذين كانوا بالقلعة فضعفت قلوب من بقي منهم فتزاحم المسلمون على دخولها والمجموع  
على من فيها فاقتلعوها من أيدي الكفار ووضعوا السيف في جميع الكفار وقتلوا  
من آخرهم وساقوهم إلى جهنم وبئس القرار وما ذكرنا من أن الفتح إنما كان بعد وفاة  
السلطان بثلاثة أيام هو مافى بعض التواريخ وفي تاريخ القطبي أن الفتح كان قبل وفاة  
السلطان وأنه لما جاءه خبر الفتح وهو في غاية المرض فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة

واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى وكان فتحها يوم السبت سابع شهر صفر الخير سنة ٩٧٤ ولم يزل المسكر هناك في ترميم القلعة وإصلاحها حتى بعث محمد باشا إلى السلطان سليم بدعوه إلى سكندوار ، وكان يومئذ على إمارة كوتاهية فلما جاء الخبر دخل القسطنطينية على حين غفلة من أهلها وجلس على سرير الملك في التاسع من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وتمت له البيعة واطمأن الناس ، ثم خرج في اليوم الثالث وتوجه إلى اسكندوار فاحق المسكر ولم يختل عليهم شيء فحملوا السلطان سليمان رحمه الله تعالى في المجلة ونقلوه إلى القسطنطينية ودفن بها وعمره أربع وسبعون سنة ومدة سلطنته ثمان وأربعون سنة ، وكان قدوم ولده السلطان سليم إلى القسطنطينية من سكندوار في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وكان الحرب لم يزل قائماً بين العساكر العثمانية وملك النمسا ، ومن العجائب التدبير الذي حصل من الوزير الأعظم محمد باشا عند وفاة مولانا السلطان سليمان فإنه بعد وفاته كتم وفاته وخرج من عند و فرق الجوائز السنية والإنعامات وأعطى الأمرء الترقيات ، وأمر بإرسال البشار إلى سائر الأطراف والجهات بحصول النصر والظفر وأرسل مرأاً يستدعى ولي العهد السلطان سليمان الثاني ويستعجله في سرعة الوصول وكتم ذلك عن جميع العسكر والأمرء والوزراء والأنام وأحسن التدبير في هذا الكتم ، واستمرت أمور المملكة في غاية الانتظام ولم في ديار الكفار وذلك من كمال العقل التام والرأى العائب إلى أن وصل حضرة السلطان سليم والحرب قائم وقم الصلح على الهدنة ثمان سنين ودفع ملك النمسا لخزينة السلطان ثلاثمائة ألف ريال ورجع مولانا السلطان سليم إلى مقر تحت سلطنته وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع إلى أوطنها ورثت الشعراء مولانا سليمان بقصائد كثيرة .

### ذكر خبر عجيب

يدل على قوة ديانة مولانا السلطان سليمان وشدة ورعه وخوفه من الله تعالى أنه قبل وفاته أحضر بقشة وأوصى أن تجعل معه في القبر فلما أخبر بذلك شيخ الإسلام المولى أبو السعوى الهادي رحمه الله قال لا بد من الإطلاع على ما في هذه البقشة قبل أن نجعلها معه في القبر ،



قلما فتحوها وجدوا فيها الأسئلة التي كان مولانا السلطان يسأل عنها شيخ الإسلام المذكور وعلى كل سؤال الجواب منه فبكي شيخ الإسلام المذكور وقال إن مولانا السلطان أراد ليبريء ذمته عند السؤال عن هذه الأحكام وجعل السؤال متوجهاً إلى من كتب ما فيها فأسأل الله النجاة والخلاص .

## الغزوة الحادية والعشرون من غزوات مولانا السلطان سليمان

التي لم يحضرها بنفسه

هذه الغزوة وكانت في الحجاز وهي بما ينبغي أن تلحق بغزوات مولانا السلطان سليمان وإن كان المباشر لها مولانا الشريف أبانمي ، وحاصلها أن طائفة البرتوقال من طوائف الفرنج قد تقدم أنهم كانوا يقطعون البحر ويفرون على كثير من ممالك الإسلام فمن ذلك أن نفوسهم الخبيثة سولت لهم الاستيلاء على الحرمين وجزيرة العرب ، وكان ذلك في أواخر سنة ثمان وأربعين وتسعمائة فدخلت طائفة عظيمة من الفرنج المذكورين كثيراً من بنادر الإسلام وخربت وأفسدت فيها ثم قصدت بندر جدة المعمورة ونزلت بالمرسى المعروف بأبي الدوائر في خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح والذخائر فقاتلهم مولانا الشريف أبونمي أمير مكة بنفسه وترك الحج ونزل إلى جدة في جيش عظيم بعد أن أمر بالبقاء بالجهاد في نواحي مكة وقال من صحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة ، فبلغ المبادرون للجهاد مبلغاً عظيماً لا يحد ولا يعد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فتشاهدون يزيدون عدداً وعيشاً رغداً وخدم مولانا الشريف أبي نمي يتوجهون إلى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام ويشترونه بأغلى الأثمان حتى فرغت الحبوب والأقوات وكادت تعدم فأقبلوا على نحر الإبل ، فكان مولانا الشريف يأمرهم بأن ينحروا لكل مائة نفس بعير أو ناقة واستمر الأمر على ذلك مدة فقال له بعض الناس أن هذا الفعل يستأصل ما عندك من الإبل فأجابته بأنني نويت أن أنحر ما عندي من الإبل فإذا فنيت أمر بنحر الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله ، فلما قرب وقت الحج برز أمره الشريف لابنه الشريف أحمد أن يقابل بمكة ويلبس

الخلعة الواردة ويحج الناس على عادة أجداده الكرام ، فلما وصل أمراء الحج قابلهم وفعل مثل ما أمره والده ، وحج بالناس ، فلما قضوا الحج توجهوا إلى جدة لمقابلة مولانا الشريف أبي نعي وإبائه الخلع الواردة فلاقاهم وهو شاكي السلاح لابساً درعه في هيئة المقاتل ، ولما قدموا عليه أمر بإطلاق المدافع فأطلقت لمقابلتهم نحو ثلاثمائة مدفع فكان مشهداً عظيماً فلبسوه الخلع الواردة وأضافهم وأكرمهم غاية الإكرام وانصرفوا راجعين ولما رأى الكفار صبره وحصاره لهم انقلبوا خائئين ولما بلغ حضرة مولانا السلطان سليمان ذلك زاد في إكرام مولانا الشريف أبي نعي وسمح له بنصف معلوم جدة وأوصل إليه غير ذلك من الأنعامات التي لا تحصى وهذه القصة فيها منقبة عظيمة لسيدنا الشريف أبي نعي تدخله في عداد الغزاة المجاهدين في سبيل الله ولم تكن لأحد غيره من أسلافه وأحفاده وأمراء مكة فرحم الله الجميع رحمة واسعة .

### تذبيره

ذكر العلامة الفاسي في الأعلام بأخبار بلد الله الحرام أن الحبشة جاءت إلى جدة في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين إلى مكة فخرج معهم أهل مكة مجاهدين وأميرهم حينئذ عبد الله بن محمد بن إبراهيم الخزومي ، فلما رأت الحبشة ذلك هربوا إلى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل إن هذه القصة كانت سنة ١٧٣ وقد ورد في فضل نفر جدة أحاديث كثيرة منها ما ذكره شيخ الإسلام حافظ بن حجر العسقلاني في كتابه المسمى لسان الميزان عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان على رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل الرباط وفي رواية عن ابن عمر أيضاً يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط بجدة وروى أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من أبواب الجنة في الدنيا الإسكندرية وعسقلان وقزوين وعبادان وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت وفي شفاء الغرام للعلامة الفارسي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رباط وجدة جهاد ، وكان

عطاء بقول إنما جدة خزانة مكة وكل ما يؤتى به إلى مكة لا يخرج إلا منها . وروى ابن جريج أن فضل مرابطى جدة عن المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان وعن فرقد السنجي أنه يسكون في آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الأرض مثلهم شهداء . وقال الإمام حجة الإسلام الفزالي في كتابه إحياء علوم الدين أن بعض الأواباء كوشف فرأى أن جميع الثغور تسجد لعبادان وعبادان تسجد لجدة اه . قال صاحب السلاح والعدة ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك أن ينوي الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق ويصعب معه شيئاً لدفع أهل الكفر والعنادة بالنية يحصل له ثواب ما ينويه من الجهاد إذ العبادات متوقفة على النية لقوله إنما الأعمال بالنيات .

### ذكر فتوحات معنوية لمولانا السلطان سليمان

اعلم أن الخيرات والبرات والمساجد والريادات والمدارس والخانات واجراء العميون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات الجارية للمسلمين في كل الجهات كل ذلك معدود من الفتوحات وفتوحات مولانا السلطان سليمان في ذلك كله كثيرة وأعظمتها ما كان بالحرمين الشريفين فمن ذلك أنه جدد عمارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٩٣٥ وفي سنة ٩٥٦ أرسل منبراً من الرخام لمكة وهو الموجود الآن وهو من تحف الدنيا ومكتوب عليه إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعث مثله للمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام ، وفي سنة ٩٦٠ جدد ميزاب الكعبة وجدد للمسجد الحرام منارتين واحدة عند باب علي والأخرى بين باب الدريبة وباب الزيادة وكل من المنارتين تسمى بالسليمانية وهما أحسن منائر المسجد الحرام وبني أربع مدارس للذاهب الأربعة بين باب الدريبة وباب الزيادة وعمر تعميراً كثيراً في الكعبة المعظمة وجدد سقفها وأمر بتصفيح باب الكعبة بالذهب وبإصلاح رخام المطاف ، ثم في سنة أربع وستين أمر بتجديد باب الكعبة فجدد ، وفي سنة ٩٦٧ أمر بعمارة عين زبيدة فعمرت حتى دخلت مكة وعم الانتفاع بها وكان الناس قبل ذلك يقاسون غاية المشقة في تحصيل الماء وكان

تمام هذا التعمير في مدة سلطنة ابنه مولانا السلطان سليم والكلام على هذه التعميرات كلها طويل مبسوط في التواريخ وبالجملة فمفاخر الدولة العثمانية وفتوحاتها وخيراتها لا تعد ولا تحصى لا سيما ما كان من ذلك لمولانا السلطان سليمان فهو واسطة عقدهم القريد أدام الله سلطنتهم على الأنام ووقفهم لما يحبهم ويرضاه على الدوام ، ومن فتوحات مولانا السلطان سليمان في الحرمين الشريفين تضيف الصدقات والصرر لأهل الحرمين وهي مادة الحياة لهم وبها مما يشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فهي وإن كانت قديمة معواملة من زمن آباءه السلاطين العظام إلا أنه هو الذي ضاعفها وزادها وأتمها وأضاف عليها من خزينته الخاصة مبلغاً كبيراً وقد تقدم أن صدقة الحب أول من أرسلها والده السلطان سليم ، فاعتنى بها مولانا السلطان سليمان وزادها وأفرد لها قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل ريعها لأهل الحرمين وجعل من ريعها لأهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف أردب ولأهل المدينة المنورة ألفي أردب وكتب عند شرائه تلك القرى كتاب وقف حكم بصحة قضاة العسكر بالديوان الشريف العالي ، ومن فتوحاته وخيراته صدقات الجوالى وهي جمع جاليه ومعناها ما يؤخذ من أهل الذمة في مقابلة استمرارهم في بلاد الإسلام تحت الذمة وعدم جلاءم عنها وهي من أجل الأموال إذا أخذت على وجهها المشروع ولأجل حلمها جعلت للعلماء والصلحاء والمتقاعدين من الكبراء ، فلما كانت أيام مولانا السلطان سليمان نور الله مرقدته وحفه بالرحمة والراضون بحث عنها وتحرى فيها ووجد سلاطين الجراكسة كانوا يخرجون القايل منها فاجتهد في تحريرها وضبطها واستوعب صرف جميعها المذكورين وزاد على ذلك قدراً كثيراً وأخرجه من خزائنه الخاصة به واستوعب بالضبط حوالى مصر والشام وحلب وغير ذلك من الممالك الإسلامية واستوعب العلماء والصلحاء والفقراء الموجودين في الممالك الإسلامية وجعل لكل واحد ما يليق به وجعل عمارات وتكيات تطبخ فيها الأطعمة للفقراء وناهيك بكثرة وهذه المصاريف في وجوه الخيرات فالله تعالى يبقى هذه الدولة الشريفة القاهرة والسلطنة الزاهرة الفاخرة إلى أن تنقضى الدنيا وتقوم الآخرة ومن خيرات مولانا السلطان سليمان

وفتوحاته أنه وقف أوقافاً كثيرة متفرقة في ممالك الإسلام وجعل وظائف للمدرسين والطلبة في جميع ممالك الإسلام ورتب لهم معلومات جليلة تصرف من ريع تلك الأوقاف والكلام على ذلك طويل مبسوط في التواريخ . وجعل تلك المرتبات متفاوتة على حسب مراتب من جعلت لهم وعلى قدر ترقيتهم في العلوم ولو استوفينا ما فعله من الحسنات لاحتجنا إلى عدة مجلدات فالله تعالى يجعل سعيه مشكوراً وعمله مبروراً .

## ذكر فتوحات مولانا السلطان سليم الثاني

ابن مولانا السلطان سليمان

كان جلوسه على تخت السلطنة بعد وفاة والده سنة ٩٧٤ و كان دخوله القسطنطينية لتسع مضين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة يوم الاثنين ورجوعه من سكندوار موضع وفاة والده في شهر جمادى الآخرة كما تقدم . وكان مولانا السلطان سليم المذكور شهياً شجاعاً ذكياً مائلاً إلى التقوى ووجوه الخير مهاب الشكل جميل الصورة جليل القدر صحيح العقيدة حنفي المذهب كبقية أسلافه مكرماً للعلماء والصالحين محباً لهم مواظباً على الصلوات الخمس في الجماعات وكان إحسانه يصل إلى أهل الحرمين الشريفين قبل أن يتسلطن ، فلما جلس على كرسی السلطنة ضاعف لهم الخيرات والعطايات .

## ذكر أول غزوة من غزواته

شاع في أول مدة جلوس مولانا السلطان سليم الثاني على تخت السلطنة عصيان بني عليان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهز عليهم عساكر كثيرة وجرت حروب وخطوب بطول ذكرها حتى استولوا على معظم قلاعهم وأخربوا أماكنهم وعادوا سالمين في أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة . وفي سنة ست وسبعين سارت جيوش للسلطان سليم إلى اليمن لإتمام الإصلاح ودفع المتغلبين صحبة عثمان باشا ثم أردف بستان باشا وغيره فانتصروا وأزالوا المتغلبين والتمردين من البرتوقال وملكو صنعاء وغيرها

## الغزوة الثانية إلى قبرس

وهي تتضمن غزوات لا يزال أهل قبرس يتمردون ويخرجون عن الطاعة مرة بعد أخرى فتوجهت همة مولانا السلطان سليم المذكور إلى التجهيز على جزيرة قبرس ، فجهز عساكر كثيرة في البحر ثلاثمائة وستين مركبا وجعل عليها الوزير مصطفى باشا سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، فلما وصلت العساكر إلى الجزيرة المذكورة استقرت الآراء على حصار قلعة لفقوسة أولا إذا هي مدينتهم الكبرى وقاعدة مملكتهم فحاصروها مدة شهر ثم افتتحوها ، وقتلوا كثيراً من عظماء أهل لفقوسة وبعثوا برؤسهم في طباق من فضة إلى أهل قلعة كرينة فلما شاهدوها خافوا واذلوا فطلبوا الأمان وبعثوا بمفاتيح القلعة فتسلمها ، ثم مهد الوزير المذكور قواعد مدينة لفقوسة وبني ما خرب منها وتوجه إلى حصار قلعة ماغوسة وهي من أمنع الحصون وأصعب المعامل وقد حصنها بكثير من المدافع والمكاحل وشحنوها بالرجال وقد أحاط بها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة أذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت في هذه القلعة من المدافع سبعمائة وأربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق مالا يعلم عددها إلا الله تعالى فحاصرها العسكر حصارا شديدا وقاتلوا أهلها بالآلات النارية والأحجار المنجنيقية وشقوا بطون الأرض شقا وفتقوا قعورها فتقا وبعث أهل قبرس إلى ملوك الفرنج يستنجدون بهم فلم ينجدوهم فلما أيسوا من الخلاص طلبوا الأمان فأمنهم الوزير المذكور وطلب كثير منهم المسير إلى بلادهم ، فمكثهم من ذلك ، ونسلم للمسلمون ماغوسة ونصبوا فيها أعلام الإسلام ، وعمرها ما تخرب منها وغنم المسلمون غنائم كثيرة ثم سارت الجيوش الإسلامية إلى جزيرة كفالية فنهبوها وهدموا بنيانها ثم إلى جزيرة كورفس وهي مفتاح بلاد البنادقة فحاصروها بعض أيام وعانوا فيها نهباً وتحريقاً ، ثم فعلوا مثل ذلك بعدة جزائر هناك ، فلما طال مكثهم على وجه البحر ورأوا أن العدو ما قابلهم اغتروا فأذن الوزير برتو باشا بالتفرق فتفرق غالب العسكر ، وقد ملأوا المراكب بأسباب الغنائم وشحنوها فسابقته العساكر مرسين في الميناء ، فوصل إليهم الخبر بأن الكفار استخبروا عن تفرقكم ، فهاهم سائرون ( ١٢ - الفتوحات الإسلامية ٧ )

عليكم وواصلون إليكم في جموع كثيرة من ملل شتى وقبائل متفرقة واتحد البابا وملك أسبانيا مع البندقية على حرب العثمانية فتشاور المسلمون بعضهم مع بعض ، فكان رأى الوزير الأعظم برتو باشا في ذلك أن لا يقابلهم ولا يقاتلهم ، وكان ذلك مقتضى طبعه لأنه كان حباناً إلى الغاية وكان مارآه هو الأنسب بمقتضى الحال وحالفه كاشف البحر على باشا في ذلك وكان رجلاً شجاعاً بطلاً مغواراً فقال لا بد من لقاء الكفار فإن وهج العار أشد من وهج النار وقد أيدنا الله بالإسلام ، وزاد فينا قوة وبسطة فلو سارت أغربتنا وهي خالية من عسكر الإسلام لكفت قبائل الكفار وفيها من العسكر ما يفي بالمقابلة ولم يزل يناظرهم حتى غلب على رأيهم فاتفق الجميع على لقاء العدو فالتقى الجمعان في السابع عشر من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة وتقابل الفريقان في طرف من بلاد المسلمين فهبت الرياح على المسلمين والجاتهم إلى البر فانهزموا بعد قتال شديد دام من طلوع الشمس إلى الغروب ، وقتل المرحوم على باشا المذكور وجماعة كثيرة لا تحصى وغنم الكفار ما معهم من الأموال والأسباب والأغربة والشوانى وما فيها وقل من سلم من هذه الواقعة وكانت عند الإفرنج أفراح عظيمة وجعلوا زمان تلك الغلبة عيداً يميّدونه كل سنة فسبحان الحكيم الصمد القادر الذي يفعل ما يشاء .

### الغزوة الثالثة إلى قبرس أيضاً

لما كان ماتقدم اهتم السلطان في إنشاء مراكب وسفائن أخرى مع ما يناسبها من المدافع فجدوا حتى تم لهم ما راموا في مدة سبعة أشهر وما كان ذلك إلا عناية من الله تعالى كأن لم يمسهم ضر ولا شر ، وفي سنة ثمانين وتسعمائة خرجت عمارة السلطان من قم الخليج القسطنطيني صحبة كاشف البحر قلمج على باشا القبودان في مائة وخمسين غراباً غير ما انضم إليهم من المراكب ، فسار يحمي البلاد عن هجوم العدو فلما كان ببعض أطراف البلاد صادف عمارة الإفرنج فوق وقع بين الفريقين بعض مقاتلة ومناوشة فأصاب عدة مدافع بعض سفن العدو فأغرقها ثم انجلى كل من الفريقين نحو بلاده لمصادفة الشتاء وفي هذه السنة

أرسلت مشايخ البندقية تطلب الصلح على شروط تعود إلى شرف الدولة فصدر الأمر بالقبول وتوقف الحرب .

### الغزوة الرابعة إلى البغدان

في تلك الأيام كان حاكم البغدان قد أظهر العصيان وامتنع عن دفع الخراج فأرسلت إليه الجيوش والعساكر وأخذوه أسيراً ولما حضر ضربوا عنقه .

### الغزوة الخامسة إلى تونس

كانت هذه الغزوة في سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة في سفن وأغربة وغلايين وشواني مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير الشهير سنان باشا وصحبته كاشف البحر على باشا قاصدين فتح حلق الواد وتخليص مدينة تونس فساروا وحاصروا حلق الواد وهو من أمنع الحصون فافتتحوها بعد قتال قتل فيه من الطرفين ناس كثير فقتلوا من بها من الكفار وأستولوا عليها وأسروا صاحبها الإفرنجي وأسروا صاحبها الأصلي محمد الحفصي وكان قد تحصن فيها خوفاً من العثمانية واستعان بالإفرنج الأسبانيين ، فلم يغنوا عنه شيئاً فأسرت عساكر السلطنة السنية وجاؤا به إلى القسطنطينية وصارت تونس من الممالك العثمانية وهذه الغزوة كانت عظيمة الشأن اختصرها بعض المؤرخين وبسط الكلام عليها العلامة القطبي ، فقال إن سلاطين تونس كانوا آل حفص وقد تقدم أنهم من فروع دولة ابن تومرت المهدي وأن سلطنتهم كانت بتولية بني عبد المؤمن لهم من سنة ستمائة وثلاثة واستمر إلى ظهور الدولة العثمانية ، قال القطبي لما ضعف الحفصيون ووهنوا وقع بينهم الاختلاف ، وصار بعضهم يستعين على بعض بنصاري الإفرنج فيأتون بجنود من الكفرة ويقاتلون أهل تونس ويسبون أولادهم ونساءهم ويبنون القلاع في تلك البلاد ويوصلون جنود النصاري إلى بلاد المسلمين ويولي النصاري سلطاناً من الحفصيين يكون تحت حكمهم إلى أن صار المسلمون تحت حكم النصاري وعم أذام المسلمين وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له



خلق الواد كأنه بناء شداد وشحنوها بالأبطال وملؤها بآلات الحرب والقتال وصارت  
الفرنج تمكن للمسلمين ويرسلون منها الأغرابة والمراكب في البحر على بلدان المؤمنين  
ويقطعون ويرسلون منها المسافرين ويأخذون كل سفينة غصباً وكبير ملوكهم صاحب  
أشبيلية جزيرة الأندلس بعد أن أخذوها من المسلمين أعادها الله دار إسلام ببركة النبي  
عليه أفضل الصلاة والسلام وقد كان خير الدين باشا لما تملك الجزائر استغاث به الرشيد  
أحد ملوك تونس فأجابه وسار معه بجنود إلى أن تملك تونس في قصة طويلة ففرغ الحسن  
بن محمد الحفصي إلى أسبانيا فبعثوا معه جنوداً وأخرجوا خير الدين باشا وعساكره وقصة  
ذلك طويلة فاما كانت سلطنة مولانا السلطان سايم الثاني ابن السلطان سليمان جهز  
الجيوش الكثيرة وبعضها مع سنان باشا في مائتي سفينة بالمدافع والآلات الكثيرة والذخائر  
الوفيرة سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فأحاطوا بتونس وحاصروها وضيقوا عليها ورموا  
عليها المدافع الكثيرة وقتلوا قتالا شديداً وطموا خندقها بالتراب بعد تعب شديد ،  
وكان عمق الخندق ستين ذراعاً وقعره متصل بالبحر ثم حمل الوزير ومن معه من الأبطال  
حملة واحدة نزلت منها الجبال ودخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال وقتلوا من  
فيها وكان هذا الفتح العظيم لست عشرة مضي من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين  
وتسعمائة ومن أعجب الاتفاق أن هذه القلعة بنتها النصارى في سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة  
وأحكوا بنيانها واستكملوه في ثلاث وأربعين سنة وافتتحها الوزير المذكور في ثلاث وأربعين  
يوماً من أيام محاصرتها فكانت الأيام بعدد السفين التي أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة  
ولما تم هذا الفتح رأى الوزير المذكور أن ترميها وعمارتها وحفظها بالمساكر والآلات  
الحربية يحتاج إلى مؤنة كثيرة وخزائن من الأموال فأمر بهدمها وتخريبها حتى لا تصير  
ملاجاً للنصارى المخدولين ولما فرغ الوزير من أمر حاق الواد توجه إلى تونس وبها قلعة أخرى  
حاصرها المساكرا أيضاً إلى أن فتحوها وأسروا صاحبها الإفرنجي وصاحبها الحفصي وبعثوا بهما  
إلى دار السلطنة وصارت تونس من الممالك العثمانية وانقضت دولة الحفصيين بعد أن  
انقضى لهم فيها ثلاثمائة وثمان وسبعون سنة ، هذا حاصل هذا الفتح بغاية الاختصار .

ومن فتوحات مولانا السلطان سليم الثاني المنوية إضعافه المبرات والخيرات لأهل الحرمين الشريفين وعمارته المسجد الحرام فإنه كان مسقفاً بالخشب وتوالى عليه الحريق والتعمير وصار في غاية من الخراب والوهن فبرز أمره السلطان بتعميره وأن يتركوا تسقيفه بالخشب بل يجعلوه قيباً وطواجن كما هو مشاهد الآن ، وبرز الأمر بالتعمير سنة ٩٧٩ وكان الشروع فيه في منتصف المحرم سنة ٩٨٠ وتوفي مولانا السلطان سليم المذكور قبل كمال التعمير فأتته ولده السلطان مولانا مراد فكان التمام سنة ٩٨٤ فجاء نزعة للناظرين والكلام على ذلك طويل مبسوط في التواريخ وتوفي مولانا السلطان سليم سنة ٩٨٢ وعمره اثنتان وخمسون سنة ومدة سلطنته ثمان سنين وخمسة أشهر ، وكان سبب وفاته أنه أنشأ حماما بدار السعادة وأحكه غاية الأحكام بحيث أنه لم يبصر أحد مثله ، فلما تم الحمام دخله السلطان المذكور فبينما هو يمشى فيه إذ زلق قدمه فسقط سقطاً عظيمة اسود منها جنبه الذي سقط عليه فمض منها أياماً ثم توفي رحمه الله وأقيم في السلطنة بعد ابنه ( السلطان مراد الثالث ) وكان وقت وفاة أبيه غائباً في مغنيسيا فأخفوا موت أبيه أحد عشر يوماً إلى أن حضر السلطان مراد وجلس على تخت السلطنة فأظهروا موت أبيه ، وكان مولانا السلطان مراد المذكور مملوكاً جليلاً تربى في حجر السعادة ، واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق كثيراً من أسلافه واشتغل بعلم التصوف ولم ينقل عنه أنه صدر منه شيء من الكبائر وكان مكرماً للعلماء والصالحين والفقراء محباً لهم كثير الإحسان إليهم وكان واقفاً عند مراد ربه لا يتعداه عاملاً في أمره بتقوى الله مراعيًا للعدل والإحسان فم استرماه لم يزل قائماً بنصرة الدين وحماية بيضة الإسلام وتقوية جناح المسلمين ولو لم يكن من مناقبه إلا تكميل بناء المسجد الحرام لكان ذلك دليلاً على كرامة الله له بين الأنام وكان له نظم فائق باللسان العربي والتركي والفارسي .

### ذكر أول غزوة من غزواته إلى بلاد العجم

كان أهم شيء عنده بعد جلوسه في السلطنة قتال سلطان العجم لسكرة ما يقع منه من الفدر وقبض اليهود وهلك سلطان العجم طهماسب شاه سنة أربع وثمانين وتسعمائة وقام

بعده ولده خدا بنده فعين السلطان مراد الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه في سنة ست وثمانين وتسعمائة بمسكرك كثير إلى بلاد الشرق فبنى قلعة فارس وشحنها بالمدافع والمكاحل ، ثم سار إلى تخوم بلاد العجم والكرج وحاصر قلعة الكرج إلى أن استولى عليها ثم التقى مع عسكر العجم وقاتلهم قتالا شديداً فهزبهم وحصدم بالسيوف واستولى على أموالهم وخيولهم واستولى على عدة قلاع وشحنها بالرجال ثم سار وحاصر قلعة تفليس إلى أن افتتحها وكان المسلمون افتتحوها قديماً وغلب عليها الكرج ، ولما فتحت مدينة تفليس أرسلت أم منوچهر الكرجي ملكة تلك البلاد ابنتها الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمان قلاع فرحب بالوزير وآنسه وعين له امرأة تلك البلاد بعد أن أحلم بين يدي الوزير ، ثم سار إلى طرف شروان بعد أن نصب أميراً على تفليس وبعث سراياه إلى الأطراف وتمكن منها وترك فيها عثمان باشا بن ازدامرواليابها فلما أقبل الشتاء توجه الوزير مصطفى باشا إلى طرف بلاد السلطان وشق هناك للاغارة في الربيع على بلاد العجم ثم بلغه أن صاحب شروان القديم قصد بنحو اثني عشر ألفاً لقتال عثمان باشا فوقع بينهما قتال شديد وانتصر عثمان باشا وقتل صاحب شروان وأكثرت عسكره ، ثم وقع بينه وبين عسكر الشاه هناك ماينوف عن عشرين وقعة وكان النصر فيها دائماً لعثمان باشا ثم جاءه عسكر من العجم نحو ثلاثين ألفاً وقصدوه في شروان فقاتلهم أربعة أيام ثم انتصر عليهم وقتل أكثرهم ثم ترك في شروان جعفر باشا وتوجه إلى القسطنطينية بطلب ليكون صدر أعظم وقاتل في مسيره عدة أمم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ، ولما وصل إلى بلاد كفة بلغه أن خاقان التتار أظهر المعيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه .

### الغزوة الثانية إلى بلاد العجم أيضاً

وفي سنة ثمانى وثمانين وتسعمائة بعث مولانا السلطان مراد وزيره سنان باشا إلى قتال العجم فسار مع عسكر جرار ووصل إلى حدود العجم فأرسل إليه الشاه في الصلح وبعث

للسلطان أحد وزرائه يدعى إبراهيم خان بتحف سنية وهدايا جلييلة وذن سنان باشا أن  
هذه الحالة مما تمجّب السلطان فلم يكن الأمر كذلك بل عزله السلطان وأقام مقامه فرهاد  
باشا ، وفي سنة إحدى وتسعين وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا بالعساكر إلى بلاد المعجم  
فسار وتوغل في بلاد أذربيجان واستولى على مدينة واكا وبني بها حصنا حصينا نصب  
فيه يوسف باشا والياً ، وفي سنة اثنتين وتسعين سار فرهاد باشا بعساكر وافرة إلى بلاد  
الكرج فبنى هناك عدة قلاع وفي هذه السنة أيضاً سار الوزير الأعظم عثمان باشا بعساكر  
كثيرة إلى قتال المعجم فشتى ببلاد قسطنطينية رسار إلى بلاد المعجم في سنة ثلاث وتسعين  
وتسعمائة ومعه من العساكر ما لا يعلم عدده إلا الله فعارضه الأعجام في الطريق فقتل منهم  
مقتلة عظيمة ثم دخل تبريز في أواخر رمضان من السنة المذكورة واستقبله أهل تبريز  
بمصاحفهم ووجوه الناس فقابلهم الوزير باللطف ، ثم شرع في بناء قلعة حصينة ثم بناء  
سور المدينة فأتى الجميع في مدة خمسة وثلاثين يوماً ، ثم ظهر من بعض أهل تبريز بعض  
القدر في أمر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوهم ونهبوا أموالهم ولم ينج منهم إلا  
النساء والأطفال ثم مرض الوزير وخرج متوجهاً إلى بلاد الروم بعد أن أبقى في مدينة  
تبريز نحو ثلاثين ألفاً صحبة جعفر باشا فلما كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض للوزير  
حمزة ميراز بن شاه محمد خدا بنده سلطان المعجم مع العسكر كثير فتهبوا الوزير وهو مريض  
لقتالهم وركب بقلته الشهداء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستمر الحرب من غلس الصباح  
إلى الظهر فلما رأى الوزير امتداد الأمر أمر برمي المدافع الكبار وكانت ثمانمائة مدفع  
فأصابت خلقاً كثيراً من عساكر الأعجام وانجلى الأمر عن هزيمتهم ثم نزل الوزير في  
ذلك المحل وفتح أبواب الوطاق لأجل إعطاء الترقى والعطية للعساكر ، فلما صار نصف  
الليل غلق أبواب الوطاق ، وانتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى وأقام مقامه سنان باشا بمدينة  
ران فلما رحلوا اعترضهم العدو يميناً وشمالاً ووقع بينهما مناوشات فلما وصلوا إلى حدود  
المملكة العثمانية أمام قلعة ساماس هجم حمزة ميرزا المذكور في نحو ثلاثين ألفاً  
فوقع بين العسكرين قتال كثير وانجلى الحرب عن هزيمة الأعجام بعد أن حصد  
غالبهم بالسيف .

## الغزوة الثالثة إلى بلاد العجم أيضاً

في سنة أربع وتسعين وستمائة جهز السلطان مراد فرهاد باشا مع عساكر عظيمة إلى بلاد العجم وصلوا إلى مدينة تبريز وحصنوا قلعته ورموا سورها وكانت الشاهية حاصروها مراراً عديدة وقربوا من أخذها وبني هناك بين وان وتبريز قلعتين وشحنها رجالاً وسلاحاً، ولم يزل الوزير المذكور يشقى ببلاد الروم ويرجع في الصيف إلى بلاد العجم حتى مهد البلاد التي أخذت من الكرج وبني قلاعا وحصونا كثيرة وقاتل قره باغ محمد خان فكسره وغنم أمواله وعاد إلى بلاد الروم والحاصل أن الحرب بين الدولة العثمانية والعجم كانت سجالات ثم انفقد بينهما صلح وجعل لكل منهم حد لا يتعداه أحد منهما وكان ذلك في مدة الشاه محمد خدابنده بن طهماسب ابن اسماعيل وخلع محمد خدابنده سنة خمس وتسعين وتسعمائة لأنه كان أعمى وأقيم بعده ولده عباس شاه .

## الغزوة الرابعة إلى بلاد المجر

في سنة إحدى بعد الألف عين السلطان الوزير سنان باشا لمحاربة كفار المجر وأرسل معه العساكر ففتح تلك السنة قلعة بستريم وقلعة طاجة وشقى بمدينة بلغراد وفي السنة الثانية فتح قلعة قران بضم القاف وقلعة بانق وهي من أحصن القلاع وأصعبها قد أحاط بها الماء وهي مدينة ماتت الملوك بحسرتها لخصاتها ومنعتها ومقاتتها وكان فتحها عند النصاري بمنزلة المحال لصعوبة مراقبتها واستعلاء مراميها وذلك بعد أن نال المسلمون شدة عظيمة قيل أن النصاري رموهم بمدافع فجاء مدفع بصنجق النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاه رجل قبل السقوط ، فلم يسقط ثم بعد أيام لما اشتد بهم الحصار سلط الله عليهم موتان نجعلوا يموتون في فرشهم من غير قتال فسلموا المدينة للمسلمين فدخلوها فوجدوها قد جافت من الموتى وسر المسلمون بذلك سروراً عظيماً ، وتوفي السلطان مراد خان الثالث سنة ثلاث بعد الألف وعمره خمسون سنة ومدة ملكه عشرون سنة وثمانية أشهر وتسلطن بعده ولده (السلطان محمد الثالث) قال في خلاصة الأثر عند ذكره الملك الأعظم الباهر الشأن

كان سلطان عظيم القدر مهيباً جواداً على الهمة مظفراً في وقائعه صالحاً عابداً ساعياً في إقامة الشعائر الدينية مراعيها لأحكام الشريعة مطيعاً لأوامر الله منقاداً لما يقرب إليه مداوماً للجماعة والأوقات الخمس قائماً السنن والرواتب ، ومن عاداته المرضية أنه كان إذا ذكر صلى الله عليه وسلم نهض قائماً وبالجملة فأوصافه كلها حسنة فائقة ، وقال القرمانى في تاريخه كان كامل الأوصاف محباً للمعدل والإنصاف محباً للعلماء والصلحاء مكرماً لهم بأنواع الإكرام شديد المحبة للجهاد ونصر الإسلام .

## الغزوة الأولى من غزواته

كانت هذه الغزوة إلى المجر في أول مدة سلطنته خرج عن الطاعة ميخائيل ملك الأفلاق واجتمع ملك النيمسا وبلاد الأردن وعاثو في بلاد روم ليلى فبعث السلطان محمد جيشاً تحت قيادة فرهاد باشا الصدر الأعظم فكسره الإفرنج كسرة هائلة وقتل من جيشه خلق كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا ، وكان شيخاً مسناً فلم ينجح بل كسر أيضاً فعزله السلطان وأعادته إلى الصدرة ، فأشار على السلطان أن يخرج بنفسه للحرب فخرج بنفسه في شوال سنة أربع بعد الألف بجيش غفير قاصداً بلاد المجر فوصل بفراد وحاصر مدينة أكراد ففتحها ، وكان فيها قلعة في غاية المنعة والتحصين فنارها بمجنوده وأطلق أمره في ضربها بالمسكاحل فاشتد البلاء بمن فيها فخرجوا منها طائعين وساقوا في أواخر صفر سنة خمس بعد الألف ، ووصل خبر أخذها إلى ملك الأنكروس فقام وقعد وأرغى وأزبد لأنها كانت عندهم من القلاع المعتبرة فكاتب ملوك النصارى فعثب الأمداد منهم بالعساكر والذخائر فاجتمع إليه ملك النيمسا وحاكم الأردن وحاكم البغدان وحاكم الأفلاق وسواكن الجزائر من حكام البحر وكثير من ملوك الفرنج فجاءوا إلى إمداده بسبعة جيوش يضيق عنها الفضاء ، وكان السلطان محمد سار بعسكره بعد الفتح السابق إلى القلعة التي بها المدين فينما هو في أثناء المرحلة الثالثة إذ دهمته النصارى من كل جانب وأحاطوا به ، وكان عسكر الإسلام غير مستعدة والنصارى في غاية الكثرة جداً بحيث أن

جمعهم المخذول لا يخصى فوق حرب عظيم في ذلك اليوم كله إلى أن دخل الليل ففترقوا ،  
وكان ذلك يوم الخميس ثاني عشر ربيع الأول ، وأصبحوا يوم الجمعة متحاربين أيضاً واستعدت  
النصارى أزيد من اليوم الأول فكانوا غرقاً في القولاذ ثم هجموا دفعة واحدة على  
المسلمين وفرقوهم بدءاً ووصلوا إلى مخيم السلطان فطلب السلطان إليه معلمه الخوجة سعد  
الدين ، وكان في صحبته فحضر بين يديه وجعل يثبته والسلطان يستنهض عساكره الخاصة  
به ويستغيث بالله تعالى فلم يكن بأسرع من أن قوى المسلمين وأدركهم بمض النهزمين  
ففرقوا شمل النصارى وأبادوهم ودخلوا بينهم والتجمل القتال وتراجع جميع العسكر مسعفين  
فكسروا النصارى وردوهم على أعقابهم ووقع السيف فيهم وهم فارون حتى قتل بعضهم  
بعضاً من الزحام وغيره ووهب الله تعالى له النصر والتأييد ولم يسلم أحد من الكفار  
إلا من هرب ، وغنم السلطان ومن معه غنيمة عظيمة وأحصيت قتل المسلمين فكان الذي  
استشهد من القواد ما يقرب من أربعائة ومن الصناجق أصحاب الألوية بضعة عشر رجلاً  
ومن الأمراء الكبار أربعة أنفار ومن العساكر كثير ومن الكفار مالا يحصى والحاصل  
ما وقع له من النصر لم يقع لأحد من ملوك آل عثمان وذلك إنما هو بمحض لطف إلهي  
وإمداد رباني غير مثناه ، ولقد حكى أن ملوك الفرنج تطلق على هذا السلطان صاحب القهرال  
وهذا الوصف إنما هو لمن بلغ في الشجاعة المرتبة التي لاتسمى وأنهم على عادتهم بصورون  
ملوك آل عثمان فيقدمون هذا في التصوير على كل الملوك وذلك كله بسبب هذه النصره  
التي رزقها ، وفي خلاصة الأثر أن بعض العلماء رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في  
منامه يتذاكرون أمر هذه الغزوة فقال الصديق الأكبر رضى الله عنه أن انهزام المسلمين  
كان مقدراً لكن لما كان السلطان محمد سعيداً أكرمه الله تعالى فأمدته بملائكة حتى  
حصل له الظفر والتأييد ودخل السلطان إلى مقر ملكه ثالث جمادى الآخرة سنة خمس  
وألف بموكب حافل .

## الغزوة الثانية إلى بلاد الأنكروس

في هذه السنة عين محمد باشا السطورجى سرداراً على بلاد الأنكروس فتقابل مع

الكفار بجيش جرار ووقع بينهما قتال ووقع من محافظ بوسنة حسن باشا الترياق إهمال في مساعفته ولولا ذلك ما خلس أحد من الكفار .

### الغزوة الثالثة جهز مولانا السلطان محمد جيشا مع محمد باشا

في سنة سبع بعد الألف فتح محمد باشا المذكور قلعة واردار وفي هذه السنة استولى الكفار على قلعة يافق وبعض قلاع وفيها أيضا كبس ميخائيل اللعين على غفلة قرب نيكبولي ففر محافظ الطونة أحمد باشا منهزما فحاصر اللعين قلعة نيكبولي مدة ، ثم رحل عنها وفيها غضب السلطان على محمد باشا الساطورجي لإهماله في أمر المحاربة إليه السلطان وإتباعه المسكر وإسرافه في المصارف وانتزاع يافق في زمانه واقتلاع بعض قلاع فأرسل من قتله .

### الغزوة الرابعة جهز مولانا السلطان محمد جيشا

في سنة ثمان بعد الألف ففتحوا قلعة فانيسره ، وكان فتحها على يد الوزير الأعظم إبراهيم باشا ، وكان فتحاً عظيماً يعادل فتح إكرای وسر بها المسلمون وزينت البلاد لهذا الفتح ثلاثة أيام ، وكان في أيام محاصرتها وقع إضراب عظيم فرأى بعض الصلحاء في مقامه شيخ الإسلام صنع الدين جعفر وهو يأمره بقراءة هذا الدعاء وهو اللهم قوی قلوب المؤمنین بقوة الكرام البررة وألق الرعب في قلوب الكفرة الفجرة فشاع هذا الدعاء وداوم على قراءته الناس فظهر أثره والله الحمد وفي هذه السنة استولت النصارى على استون بلفراد ثم استرجعت منهم .

### الغزوة الخامسة إلى بلاد المجر

في سنة عشر بعد الألف بعث مولانا السلطان سنان باشا ابن جفال لمحاربة المجر ففتح تلك السنة قلعة قنجة .



## الغزوة السادسة إلى بلاد العجم

في سنة إحدى عشر بعد الألف جاء الخبر بأن شاه العجم نقض الصلح واستأمر محافظ تبريز واضطرب أمر المسلمين فضمت تبريز إلى وان وجهتا الكافل حلب نصوح باشا وعين السلطان عسكرياً جرارة وأردف بهم نصوح باشا ثم توفي السلطان محمد قبل تمام الأمر ، وكان تمامه في مدة سلطنة ابنه (السلطان أحمد الأول) وكانت وفاة السلطان محمد سنة اثنتي عشرة بعد الألف وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وشهران وتسلم بعده ابنه السلطان أحمد الأول وهو الرابع عشر من سلاطين آل عثمان والقمر ليله الرابع عشر يسمى بديراً فلذلك قال بعضهم أن السلطان أحمد يستحق أن يسمى بديراً لأنه أضاء به الملك ، فإنه لما تسلطن كان البغاة والخارجون قد كثروا في كل ناحية من أواخر سلطنة والده فسعى السلطان أحمد في إخمادهم وجد في قطع دابرهم حتى أبادهم ، وكان سلطاناً عظيم القدر جميل الذكر محباً للعلماء وآل البيت والصحابة متمسكاً بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشراً لأرباب الفضائل سمح الكف جواداً لا تزال إحساناته للفقراء واصلة وعطاياه لأرباب الاستحقاق مترادفة وجاء تاريخ جلوسه في السلطنة (هو خير السلاطين) ومن خيراتاه وماثره أنه في سنة أربع وعشرين وألف أرسل إلى الحجر الشريفة النبوية فصين من الألباس قيمتهما ثمانون ألف دينار فوضعها فوق الكوكب الدرّي وهذا الكوكب هو الذي تجاه الوجه الشريف في الجدار وهو في مسار انقصة مموه بالذهب في رخامة حمراء ومن استقبله كان مستقبلاً الوجه الشريف وله صدقات كثيرة في أهل الحرمين .

## ذكر غزوة من غزواته

جهز جيشاً في ابتداء دولته وأرسله مع وزيره الأعظم علي باشا فر إلى بلاد المجر فقات علي باشا وهو متوجه فأقام بدله محمد باشا الذي كان مرداراً في الروم لما هلك ثم سعى مراد باشا بالصلح بين مولانا السلطان أحمد والمهدنة عشرين سنة ودخل إلى دار

السلطنة ومعه رسل المجر ومعهم الهدايا والتحف فقبل مولانا السلطان أحمد ذلك

## ذكر غزوة أخرى

في سنة ثلاث عشرة بعد الألف جهز جيشاً وبعثه مع محمد باشا الهوسوي أحد الوزراء العظام لفتح قلعة استرغون فسار إليها ولم يتمكن من فتحها تلك السنة ثم فتحها في سنة أربع عشرة .

## ذكر غزوة إلى بلاد العجم

في سنة أربع عشرة بعد الألف جهز جيوشاً إلى بلاد العجم ، وكان عليها سنان باشا ابن جفال فوصل إليهم وقتلهم وانتصر في أول الأمر ثم خالف أمره بعض الوزراء الذين كانوا معه فكان ذلك سبباً لانهزام الجيوش فانهزموا وقتل منهم خلق كثير .

## ذكر غزوة أخرى إلى بلاد العجم أيضاً

في سنة ست عشرة بعد الألف جهز جيشاً عظيماً يقوده مراد باشا ، وكان قد كبر وشاخ فجعل الأمر لنصوح باشا وتأخر في ديار بكر ومرض ومات فتقدم نصوح لمحاربة العجم فقاتلهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب ساطانهم عباس شاه والتجأ إلى بعض الجبال ، وأرسل يطلب الصلح فأجابهم نصوح باشا إلى ذلك بعد أن اشترط عليه أن يذكر اسم السلطان في بلاد العجم ويدعوه في الخطبة وأن الشاه عباس يدفع بمصاريف الحرب ويقوم بالخسارة التي أحدثها في بلاد السلطنة العثمانية فقبل الشاه عباس ذلك وانفقد الصلح ورجعت المساكر العثمانية إلى بلادها .

## ذكر غزوة أخرى إلى بلاد العجم أيضاً

في سنة خمس وعشرين بعد الألف تقض الشاه عباس تلك العهود ولم يف بالشروط فتبعته الحرب ثانياً بين الدولتين وأرسلت الجيوش العثمانية مع نصوح باشا فطلب وانتصر

واستولت الجيوش على بعض القلاع بعد حرب شديد، ثم وقفت الحرب بسبب كثرة  
الثاج والبرد ومات من العسكر جانب عظيم وأشيع أن الشاه إنما نقض الصلح بمكاتبة  
جاءته من نصوح باشا وعده بالإعانة فأمر مولانا السلطان أحمد يقتل نصوح باشا فقتل سنة  
خمس وعشرين وألف وفي سنة ست وعشرين توفي السلطان أحمد وعمره خمس وعشرون  
ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وأوصى بالسلطنة لأخيه مصطفى بن محمد لأن أولاد السلطان  
أحمد كانوا صفاراً وأخوه أكبر منهم وكان أبوه السلطان محمد أوصاه به فكان يرعاه  
فبويغ أخوه (السلطان مصطفى) وخلع بعد ثلاثة أشهر لأنه كان صالحاً زاهداً متقشفاً فلم  
تظهر كفاءته للسلطنة لشدة بذله الأموال وكثرة ركوبه إلى المحلات البعيدة من غير  
تقييد بأمر مركوب ولا غيره لأنه تارك للدنيا وليس يراغب فيها بحيث أنه كان في مدة  
سلطنته لبسه جوخة خضراء بأكام عربية وأما أكله فإنه لم يأكل اللحم مطلقاً وإنما  
كان يأكل الكحك الناشف واللوز والبندق وأنواع الفواكه وأما أمره في النساء فإن  
والدته أحضرت له جواري عديدة فلم يقبل منهن واحدة، وكان لا يدري من أحوال  
الملك إلا ما يلقى إليه، فلما رأى أركان الدولة أن الأمر به لا ينتظم ذهب المفتي المولى أسعد  
بن سعد الدين إلى اسكدار للشيخ محمود المعتقد الصالح العالم العامل بستشيرته في خلعه فأشار  
بخلعه وأن يولى مكانه السلطان عثمان ابن السلطان أحمد، ثم جاء من عنده وأخبر قائم  
مقام الوزير مصطفى أغا ضابط الحرم قريب العشاء من ليلة الأربعاء ثالث ربيع الأول  
فأرسل القائم مقام إلى الصوباش إذا جاءتك في عد ورقة مختومة فافعل بما فيها واحترس  
على الأبواب فقال سمعا وطاعة، وكان الصدر الأعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة  
العجم في مدة السلطان مصطفى وأما مصطفى أغا فإنه أول ما مضى من ليلة الأربعاء ست  
ساعات ذهب إلى أبواب السرايا وقفلها جميعاً وكذا أبواب الأمكنة التي فيها أكابر الخدم  
وأخذ المفاتيح وهياً المحل الذي فيه تحت السلطنة وأوقد فيه الشموع وفرشه بأحسن الفرش  
وذهب من حينه إلى السلطان عثمان في مجلسه الذي هو فيه وهو محل عمه مصطفى الذي  
كان فيه في حياة السلطان أحمد وفتح عليه الأبواب فحصل له رعب وتخوف من أن يكون

عنه أرسله إليه ليقتله فقال له لا تخف أنت صرت سلطنتاً فلم يصدق ذلك فصار يحلف له أن القول صحيح ولا زال يتلطف به إلى أن أدخله إلى محل التخت فألبسه ثياب الملك وأجلسه على التخت وقبل يده وصار يفتح أبواب السرايا باباً باباً ويدخل من كان داخل الأبواب للمبايعة حتى لم يبق أحد في السرايا بغير مبايعة هذا كله والسلطان مصطفى قائم عند والدته ، ثم أرسل مصطفى أغا للفتى وقائم مقام الوزير فحضرا وبايعا ثم ذهبوا إلى السلطان مصطفى قبل الفجر فطلبوه من الداخل فخرج إليهم وقال لهم ما جاء بكم في هذا الوقت فكان أول من تكلم شيخ الإسلام أسعد فقال له : إن أمر المملكة اختل وإن الأعداء تسلطت علينا ونحن نخشى ضياع الملك وأنت لست بلائق للسلطنة فأجابه بقوله أنا ما طلبت منكم الملك ولا أردته وليس لي به مصلحة فقالوا جميعاً لا نكتفي بقولك هذا ولا بد أن تذهب معنا وتبايع ولد أخيك (السلطان عثمان) فإننا قد أجلسناه على التخت فقال جعله الله مباركا وليس عندي مخالفة وذهب وبايع السلطان عثمان فقالوا الآن نحضر جميع لوزراء وأركان الدولة وأشهد على نفسك بالخلع فقال لهم أفعل ذلك فأرسلوا وأحضروا الوزراء وقاضي العسكر وكتبوا عليه حجة بخلع نفسه وأرسل القائم مقام الورقة الموعود بها إلى الصوباش وفيها الأمر بالمناداة وتولية السلطان عثمان فنودي بذلك وتم الأمر وما انتطح في ذلك عنزان وكان ذلك يوم الأربعاء ثامن من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وألف وكان السلطان عثمان المذكور من أحسن السلاطين خلقاً وخلقاً وأجملهم سياً وطبعاً له أدب وحياء وعرفان وفيه شجاعة وفروسية وكان ينظم الشعر التركي .

## ذكر أول غزوة من غزواته

كان الصدر الأعظم محمد باشا قد توجه بجيش لمحاربة المعجم في مدة السلطان مصطفى فلما بلغه خلعهم رجع يطلب الانتقام ممن خلع السلطان مصطفى ، فلما وصل إلى دار السلطنة وعلم حقيقة الأمر قاد الوزير المذكور الجيش ثانية لمحاربة المعجم في مدة السلطان عثمان

سنة ثمان وعشرين وألف ونجح في هذه التجربة كل النجاح وارتجع من المعجم للمالك التي اختلسوها وأرسل عباس شاه سلطان المعجم يطلب الصلح على شروط موافقة للسلطان فأجابوه إلى ذلك .

### غزوة ثانية إلى البغدان

كان صاحب البغدان قد ألقى فتنة بين أهل بولونيا والدولة وحرصهم على العصيان فأرسل السلطان عثمان إليهم إسكندر باشا فاستظهر عليهم وقتل منهم عشرين ألفاً وأسرى عشرة آلاف ثم قتلهم وقطع رأس رئيسهم الذي حملهم على العصيان وأرسله إلى دار السلطنة وألزم أهل بولونيا أن تدفع مائة ألف ريال وألزمهم أيضاً بمصاريف الحرب .

### غزوة ثالثة إلى بولونيا

في سنة ثلاثين خرج السلطان عثمان بنفسه لقتال أهل بولونيا وهم القزاق وكان الذي خرج معه من الجيش ستمائة ألف مقاتل فأرسل أهل بولونيا يستنجدون بملوك الإفرنج فأمدتهم دولة روسيا وفرنسا والبابا والمجر والديمسا وبعد محاربة شديدة طويلة فقد فيها من الطرفين نحو مائتي ألف انتصر عليهم وأخذ عدة قلاع وغنم غنائم كثيرة ، ثم عقد صلحاً معهم ورجع إلى مقر ملكه بعد أن أخذ منهم الجزية فهابته ملوك الآفاق وقويت شوكته واتسعت دائرة الملك في أيامه وكان فيه صلاح وتعطف وخشوع وأمر في أيامه بتعطيل حانات الخمر ودار عليها بنفسه وقتل أبوابها وطرده أصحابها .

### ذكر إرادته الخروج للحج المؤدى إلى قتله

في شهر رجب من سنة إحدى وثلاثين وألف عزم السلطان عثمان على الحج من طريق البر وأراد التوجه إلى الشام وأخرج خيامه وسراجه إلى اسكدار سابع رجب وصمم على هذا الأمر فحصل اللفظ من العسكر في ذلك اليوم وقامت الفتنة واجتمعت

المساكر واتفقوا على عدم السفر معه وأخرجوا فتوى أن السلاطين لا يكلفون بالحج ،  
فلما بلغ السلطان ذلك غضب غضباً شديداً ولم يلتفت إلى كلام المفتي فأخذ المفتي وأصحابه  
يهيجون المساكر ثم تجمعوا في المكان المعروف آت ميداني واتفقوا على قتل الوزير  
الأعظم دولار باشا وضابط الحرم السلطاني والدفتردار ومعلم السلطان المولى عمر بدعوى  
أنهم كانوا السبب لتحرك السلطان إلى السفر للحج ، ثم هجموا في ذلك اليوم بعد الظهر  
على بيت معلم السلطان ونهبوا أمواله وأرادوا قتله فما وجدوه ، ثم في وقت العصر اجتمع  
كبار العلماء بالسلطان وسألوه أن يسلم الوزير الأعظم وضابط الحرم أو يقتلها هو حتى تسكن  
الفتنة وأبرموا عليه بالسؤال فامتنع ثم تفرق العسكر ، وفي ثاني يوم وهو يوم الخميس  
اجتمعوا أيضاً والعسكر معهم بالأسلحة وآلة الحرب وذهبوا إلى الموالى وجمعهم بالجامع  
الجديد الذي عمره السلطان أحمد وأرسلوا قاضي عسكر وقاضي دار السلطنة وبعض  
الموالى إلى السلطان بطلب الجماعة الذين اتفقوا على قتلهم المذكورين أولاً فامتنع من  
تسليمهم ، واستمروا في مراجعته إلى وقت الظهر ومل العسكر من الانتظار فهجموا على  
دار الخلافة فوجدوا السلطان مصطفى في الموضع المحبوس فيه نائماً على فراش بال وعنده  
خادمان أحرسان جالسين أمامه ومملوك يدعى درويش أغا فاستيقظ السلطان مصطفى  
فلما رأى أنهم يريدون قتله فمد لهم عنقه بكل خضوع فأكبوا على أقدامه يقبلونها  
قائلين له ياسلطاننا عسا كرك ينتظرونك خارجاً قم فانهض بنا ورفعوا السلطان مصطفى  
وأنزلوه إلى فسحة الجنينة وأركبوه على حصان المفتي وساروا به إلى جامعهم ، ولما علم  
السلطان عثمان ذلك تخير في أمره فأخذ معه الوزير الأعظم السابق حسين باشا وذهب به  
إلى بيت ضابط الجند ليدير أمره وقال له السلطان يذهب وتأخذ خاطر العسكر وتجعل  
لكل إنسان منهم خمسين شريفياً وخمسة أذرع من الجوخ وألزمه بذلك فذهب إلى  
العسكر وكلمهم في ذلك فما كان جوابهم إلا أن قتلوه وذهبوا من وقتهم إلى بيته وقتلوا  
حسين باشا وقبضوا على السلطان وأحضره بين يدي السلطان مصطفى فأرسله إلى يدي  
قله وأحضره دولار باشا وضابط الحرم وقطعوا بأسيهما وعلقوا رؤس الجميع على جامع

السلطان بايزيد ووقعت البيعة العامة ( للسلطان مصطفى ) فجعل زوج أخته داود باشا وزيراً أعظم وبعد العصر من هذا اليوم ذهب داود باشا إلى يدى قله من غير علم السلطان مصطفى وخنق السلطان عثمان وغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه عند أبيه السلطان أحمد وذلك في اليوم الثامن من رجب وجرت أمور هائلة ونهبت دور كثيرة من دور أركان الدولة وقيل في تاريخ قتله .

مات سلطان البرايا فهو في الأخرى سعيد

قال لي الهاتف أرخ أن عثمان شهيد

٥١ ٦٦١ ٣١٩

١٠٣١

وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة وألف ووفاته سنة إحدى وثلاثين ومدة خلافته أربع سنوات وشهر وعمره سبعة عشر سنة ، وبعد تمام البيعة للسلطان مصطفى بيومين جمهرت العساكر الصباحية أمام سرايا داود باشا وزير الصدارة يسألونه لماذا قتلت السلطان عثمان ونشأ من ذلك فتنة أخرى آل الأمر فيها إلى قتل داود باشا فقتل بعد عشرين يوماً وصار البحث عن الأشخاص الذين تداخلوا في قتل السلطان عثمان فقتلهم واضطربت أمور السلطنة والوزارة ، وأقام أهل الأناضول وأمرائها ونوابها على ساق للطلب دم السلطان عثمان وأظهروا الاستقلال التام في ولايتهم وامتنعوا من الدخول في بيعة السلطان مصطفى ولم يزل الأمر يزداد شدة إلى أن خلعوا السلطان مصطفى رابع ذى القعدة سنة ألف واثنتين وثلاثين فمدة سلطنته سنة واحدة وأربعة أشهر وما عاش بعد ذلك كثيراً وكانت ولادته سنة ألف رحمه الله ولما خلعوه وأقاموا في السلطنة ( السلطان مراد الرابع ) أخا السلطان عثمان بن أحمد . قال في خلاصة الأثر وكان عمره إحدى عشر سنة وسبعة أشهر وجاء تاريخ ولايته ( مراد خان العادل ) ١٠٣٢ ومع صفر سنة كان ذا عقل ثاقب ورأى سديد ، وكانت تظهر عليه أمارات شجاعة وقوة للقلب فكان من أعظم

أبطال ذلك الزمان وكان إسكندر الثاني في تلك الأيام بل كان من أعلى السلاطين مقداراً وأوسطهم همه واقتداراً خضعت لعظمته رؤساء الأكاكسة وذلت لحرمته وقهره تصلب في قمع المفسدين سديد الرأي في أمره لأنه ابتداءً أولاً باستئصال الطفافة من العسكر الذين قتلوا أخاه ، فاهتم بأمر تحصيلهم من البلاد وتتبع قتلهم وأجاد وبلغ من قوته أنه رمى بقوس إلى درقة مطبقة إحدى عشرة طبقة فثبت العود فيها فلم يقدر أحد على انتزاع العود منها فأرسلها إلى مصر وبرز أمره إلى العساكر بإخراج العود منها وأن من أخرجه يزداد في علوفته فحاولوا إخراجه فمجزوا عن ذلك .

### ذكر استيلاء العجم على مدينة بغداد

لما بلغ العجم قتل السلطان عثمان وأعاد السلطان مصطفى وعلموا اضطراب الدولة العثمانية وضعوا أيديهم على كثير من البلاد التي افتتحتها العثمانيون وملكوها فمن ذلك مدينة بغداد وكانت بغداد في كنفالة الوزير يوسف باشا فوقع بينه وبين واحد من كبار عسكره اختلاف يقال له بكر الصوباش فحاصر بكر الوزير في قلعة بواسطة العسكر ، فأصاب الوزير رصاصة مات منها فتغلب بكر على بغداد فلما رأى اضطراب أمر للدولة أظهر العصيان والاستبداد فبعث إليه رئيس الدولة جانباً من العسكر لتأديب هذا العاصي وجعلوا أمر هذا العسكر تحت رئاسة حافظ باشا ، فلما بلغه ذلك كتب إلى شاه العجم أن يحضر لكي يسلم له بغداد فأرسل من يستلم منه مفاتيح المدينة مع جانب من العسكر نحو ثلاثمائة وأنعم على بكر الصوباش بعمامة قزل باش وقيل وصول العجم إلى بغداد وصلت عساكر الدولة وأقامت الحصار على بغداد فأرسل بكر الصوباش لحافظ باشا يطلب أن يلقبه بكلكس بك لكي يطرد الأعجام فلم يقبل منه حافظ باشا ذلك ، وفي أثناء ذلك وصل رسول العجم إلى بغداد وأرسل يقول لحافظ باشا أن بكر الصوباش صار يخص شاه العجم فإذا كنت تريد حفظ الصداقة بيننا فارحل عن بغداد فغضب حافظ باشا من كلامه هذا وأجابه كلاماً غليظاً واشتبك القتال ، فلما رأى حافظ باشا أنه لا يمكنه



فتح بغداد لأنها كانت حصينة وتكاثرت عليه عساكر العجم قام عنها وذهب على طريق  
الموصل بعد أن كتب إلى بكر الصوباش أنه والى بغداد يريد بذلك ترغيبه ليمتنع من  
تسليمها للعجم ففرح بذلك بكر الصوباش ورأى أنه بلغ غاية مرامه فقتل جماعة شاه العجم  
وعلق رؤوسهم على شرافات السور وأخذ العمارة التي بعثها إليه الشاه عباس ووطنها  
برجليه وأرسل رسولا إلى حافظ باشا يشكر فضله على ذلك، وأما الشاه عباس فإنه لما  
بلغه ما فعله بكر من الانتقاض والخيانة حضر بنفسه ومعه جيش جرار وأرسل لبكر  
يطلب منه تسليم المدينة فامتنع وأجاب به بأنه لا يسلمها ولا يقدر الشاه عباس على فتحها  
ولو أحضر لحصارها عشرة شاهات نظير الشاه عباس فجاءت جيوش الشاه عباس وأحاطت  
بأسوار مدينة بغداد، فأمر بكر الصوباش بإطلاق المدافع من الأبراج على الأعجام واشتبك  
القتال بين الفريقين وأرسل بكر إلى حافظ باشا يخبره بقدم جيش الأعجام ويستنجده  
فأجده بفرقة العساكر تحت رياسة كور حسين باشا فلما وصل إلى قرب بغداد نزل بعساكره في  
موضع يقال له كروان سراي، فلما علم قائد عسكر العجم بقدم عساكر الدولة صنع خديعة  
وأرسل يطلب حسين كور باشا ليتحدث معه في أمر الصالح فذهب ومعه بعض كبار العسكر  
فبينما هم في أثناء الطريق وثب عليهم جماعة من الأعجام كانوا كامنين لهم في الطريق فقتلواهم  
وقدموا رؤوسهم لشاه عباس عوضا عما فعله بكر بقتله الأعجام الذين علق رؤوسهم على  
شرافات السور، ومكث الحصار على بغداد ثلاثة أشهر فكانت الأهالي تشكوا من الجوع،  
واشتد الحصار حتى أكل الآدميون بعضهم وخرج كثير منهم إلى معسكر الأعجام وكان  
لبكر ولد يقال له محمد وكان مثل أبيه في الخيانة وكان هو المتسلم محافظة قلعة بغداد فأرسل  
له الشاه عباس يفره ويعدده ويتمنيه بأن يجعله حاكما بغداد عوض أبيه فاغتر وقبل وعد الشاه  
وفي الليلة الثانية فتحت أبواب القلعة ليلا للأعجام فهجموا ودخلوا المدينة بضجة عظيمة وكان  
ذلك سنة اثنتين وثلاثين وألم وكان بكر نائما فانتبه مذعورا من ذلك الضجيج وصراخ  
الأعجام وكانوا أصدوا ناسا منهم إلى المنار يصرخون بقولهم قد انتصر الشاه عباس وتملك  
بغداد فانتطمئن الأهالي وفتحت الأسواق وترجع إلى أشغالها، وذهب منهم جماعة إلى بكر في منزله

فقبضوا عليه وأتوا به إلى الشاه فلما وصل أمامه رأى ولده جالسا إلى جانب الشاه وأخذ الولد يوبخ  
أباه على الخيانة الأولى التي حصلت منه في حق الشاه ، ثم أمر الشاه أن تسلب جميع أموال بكر  
وتعطى لولده ، ثم أنهم أخذوه ووضعوه في قفص من حديد ووكلوا ولده بحرسته وفي اليوم  
السابع طرحوا ذلك القفص الذي فيه بكر في موقد نار لكي يقرروه عن المكان الذي  
اختفى فيه الأموال ، ثم أخذوا ذلك القفص ووضعوه في قارب مشحون بالزفت والكبريت  
وأضرموا فيه النار ليلتهب في الدجلة أمام الناس وحصل في بغداد قتال بين أهل السنة  
والأعجم بسبب هذه الفتنة ، ولما كان بينهم سابقا من العداوة حتى جرى الدم في أزقة  
المدينة وأخذ الأعجم خطيبين مشهورين من أهل السنة أحدهما يدعى نوري أفندي  
والآخر عمر أفندي وأمروها أن يسبا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فامتنعا فعلقوها في نخلة  
وأطلقوا عليهما الرصاص فماتا من ذلك ، وأما الشاه عباس الذي كان قد وعد محمد بن بكر  
بالولاية في مكان أبيه فإنه أخذه وأرسله إلى خراسان وأمر بقتله هناك فقتل وبعد ذلك  
أقام الشاه عباس في بغداد مدة ، ثم سار بالعسكر لمقاتلة حافظ باشا ونزل على الموصل  
وأقام عليها الحصار مدة فلم ينجح فرجع إلى بغداد وذهب حافظ باشا إلى القسطنطينية  
ثم عاد بمسار نحو عشرين ألفا وسار لمحاصرة بغداد وتخليصها من العجم وانتشبت فيهم  
القتال وطال الحصار فستموا العساكر وقاموا على حافظ باشا فمزلوه وحبسوه في قلعة  
خارج بغداد وأقاموا عليهم مراد باشا ثم عزلوه وأرجعوا حافظ باشا ، ثم قاموا عليه أيضا  
ليقتلوه فهرب منهم واختفى في موضع يقال له قلعة الأمام ثم اصطلح مع العساكر ونهض  
بهم راجعا عن حصار بغداد فسير الشاه عباس خلفه جانبا من عساكره ليضربوه في الطريق  
فقاتلهم حافظ باشا وهزمهم هزيمة هائلة وقليل منهم رجع إلى بغداد ثم قام على مراد باشا  
فقتله لأنه السبب في اختلال الأمور ثم سار حافظ باشا بعسكره إلى الموصل فأقام مدة ثم  
جاءت الأوامر من للدولة أن يتقدم إلى حلب إلى أن تأتيه نجدة من العساكر ، وبعد  
مدة عزل حافظ باشا وأقيم مكانه خليل باشا ، ثم مات وولي بدله خسرو باشا وكان الجيش  
الذي مع خسرو باشا ١٥٠ ألف مقاتل فجاء وحاصر بغداد وحصل قتال شديد ولم تحصل

نتيجة فرجع إلى الموصل وصنع ولية لكثير من العساكر ، فلما حضروا قتلهم زاعما أنهم  
السبب في اختلال الأمور وأرسل يطلب أربعين ألفاً وجرت أمور بطول الكلام بذكرها ،  
ومات الشاه عباس سنة ست وثلاثين وألف وبقيت بغداد بيد المعجم إلى سنة ثمان وأربعين  
وألف ففتحها مولانا السلطان مراد بنفسه .

### ذكر فتح بغداد

في سنة ثمان وأربعين وألف تجهز مولانا السلطان مراد وتوجه لفتح بغداد ومعه  
مائة ألف مقاتل ثم تقابعت الجنود حتى بلغت ثلاثمائة ألف ، ولما خرج من دار السلطنة  
كان لابساً لبس العرب القدماء وعلى رأسه خوذة من البولاد اللامع محاطة بشال أحمر  
مسدولة أطرافها على أكتافه ، ولما وصلوا إلى بغداد أحاط العساكر بأطرافها ولما بلغ  
الشاه ذلك جاء من تبريز ومعه عساكر كثيرة لينجد بهم عساكره الذين في بغداد والتقى  
بعساكر الدولة على شاطئ الدجلة فقاتلوه قتالاً شديداً وهزموه هزيمة قبيحة وكان يوماً  
مهولاً مشتوماً على الأعجام ثم شدوا الحصار على بغداد وضربت مدافع السلطان على الأبراج  
وكانت مائتي برج نخرقتها وهدمت كثيراً منها ، وأمر السلطان بحفر لغم عظيم ووضع فيه  
البارود وأطلقت فيه النار فهدم جانباً عظيماً من جدار السور ، فلما رأى أهل بغداد  
ماداهم بعثوا إلى الشاه أنهم يريدون التسليم فبعث الشاه إلى السلطان في طلب الصلح  
فلم يقبل ، ثم شدد السلطان الحصار ووالى القتال إلى أن يسر الله فتحها يوم الجمعة ثامن  
شعبان وكان مدة حصارها أربعين يوماً ، ودخاها العسكر ومولانا السلطان مراد في أترهم  
وقتلوا من المعجم أكثر من عشرين ألفاً وأسروا كثيراً من رؤسائهم وقيل أن الذين  
قتلوا من المعجم في هذا القتال خمسون ألفاً وبقى منهم ثلاثون ألفاً طرح البعض منهم نفسه  
في نهر بغداد والبعض تشتتوا في القفار وأمر السلطان بقتل كل من يخفي عنده رجلاً عجمياً  
فجمعوا منهم بعد ذلك ألف رجل وأتوا بهم إلى السلطان فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم  
وكان الذي قتل من عسكر السلطان عشرة آلاف ، ثم أمر مولانا السلطان بتجديد

عمارة مشهد الإمام الأعظم أبي حنيفة ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما  
وأزال ما كان أحدثه الأعاجم في المشهدين وأمر ببناء ما تهدم من السور والقلعة وشحنها  
بالصاكر وترك في بغداد عشرة آلاف من العسكر وعين لكفالة بغداد وولايتها وزيراً  
ورجع إلى دار سلطنته ومقر ملكه سالماً غانماً منصوراً وكان لدخوله القسطنطينية احتفال  
عظيم فدخل وكان معه خمسون من خانات المعجم مقيدين بالسلاسل وكان حاملاً بيده  
حزمة من السلاح وأكتافه مغطاة بجلد نمر كما فعل اسكندر لما فتح مدينة بابل  
وبالجملة فقد كان هذا السلطان من أعظم ملوك آل عثمان ، ومما كان في مدة سلطنته أنه  
أمر بتبديل القهوى في جميع ممالكه ومنع من شرب الدخان بالتأكيدات البليغة ومما يدل  
على سعادته العظمى توجه خاطره إلى أهل الحرمين الشريفين وأمره المتولى الجهات  
خصوصاً مصر بإجراء حبوبهم وإرسال مفلات أوقافهم فما من أمر يرد منه إلا وفيه  
الحث على ذلك ومن ذلك أيضاً إلتفاتة إلى أخبار الرعية مطلقاً والبحث عن أحوال ولاية  
البلدان إلتفاتاً تاماً بحيث أن ولاية الجهات لا يجاوزون حداً ومن سعادته العظمى عمارته  
الكعبة المشرفة وتجديدها كلها ، وذلك أن في سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم  
بمكة ودخل المسجد الحرام وهدم بعض جوانب الكعبة فاتفق العلماء المهندسون أنه  
لا بد من تجديد الجميع فعرضوا الأمر إلى مسامع مولانا السلطان مراد المذكور فبرز أمره  
العالي بالتعمير فهدموا الباقي وعمروا الجميع فهذا البناء الوجود الآن من مفاخر مولانا  
السلطان مراد وتم التعمير في شعبان سنة أربعين وكان أمير مكة في ابتداء العمارة  
مولانا الشريف مسعود بن إدريس بن حسن أبي نعي وتوفي أثناء التعمير وولى أمانة  
مكة مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمر وهو جد مولانا الشريف محمد بن عون  
فكان تمام التعمير في مدته وجاء تاريخ ذلك ، رفع الله قواعد البيت ، ولبعضهم :

١٠٤

مراد بنى بيت الإله وزاده سناء بهاء يزدهى زيد مجده

١٠٣٩

٢٣٠

٨٠٩

ولما حصل هذا التعمير أبقوا باب الكعبة القديم على حاله ، ثم في سنة خمس

وأربعين برز الأمر السلطاني بتجديد الباب فجدد ووضع عليه حلية الباب الأول ووازنت قبل وضعها فبجأت مائة وأربعين رطلاً خارجاً عن الزرافين فوزنها وما شابههما مما كان على الباب ثمانية عشرة رطلاً، وكتب على الباب الجديد اسم مولانا السلطان مراد وذلك موجود إلى الآن، وأرسل الباب القديم إلى دار السلطنة وجعل في الخزان السلطانية وكانت ولادة مولانا السلطان مراد سنة ١٠٢١ وتوفي تاسع شوال سنة ١٠٤٩ وعمره ٢٩ سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة وإحدى عشر شهراً وخمسة أيام رحمه الله تعالى

### ذكر ولاية مولانا السلطان ابراهيم بن أحمد مع ذكر أول غزواته

لم يختلف المرحوم السلطان مراد ولداً وبقي من أخواته السلطان ابراهيم فبوينغ بعد وفاة أخيه قال في خلاصة الأثر كان ملكاً معظماً حسن النظر سمح الكف وكان زمانه أنضر الأزمان وعصره أحسن العصور وأطاعته جميع الممالك وسكنت يمين دولته الفتن واعتدل به الزمن وبعد مضي سنتين من ولايته جهز جيشاً لمحاربة القزاق فلم ينجحوا ثم أرسل عساكر وحاصروا أزوفة فلما تضايق أهلها أحرقوا المدينة وانهمزوا فدخلها العساكر السلطانية وعمرتها وأقامت فيها جانباً من العساكر للمحافظة .

### غزوة أخرى لمحاربة جزيرة كريد

سنة خمس وخمسين وألف جهز السلطان ابراهيم جيشاً في مراكب بحرية نحو أربع مائة مركب لمحاربة جزيرة كريد بمائة ألف مقاتل وسبب ذلك أن مراكب مالطة كانت قد تعدت على بعض مراكب الدولة ثم ذهبت فاحتمت عند مشيخة البندقية في كريد فلما وصلت عساكر الدولة العلية أقامت الحصار على مدينة قندية وهي من أعظم مدن هذه الجزيرة وفي أقرب زمن استولوا عليها وجعلوا كنائسها جوامع ورجعوا إلى القسطنطينية بعد أن تركوا فيها جانباً من العسكر فأرسلت لهم مشيخة البندقية عساكر فاستولوا على ما كان بأيدي العساكر السلطانية واستأسروا جانباً منهم، فغضب السلطان من هذا الأمر وجهز عليهم تجهيزاً آخر فأخرجوهم واستولوا على المدينة المذكورة وحاصروا قلعة رتمو وكانت

قلعة حصينة إلى أن ملكوها واستعانوا باللغم حتى أهلك خاناً كثيراً ثم ملكوا بقية جزيرة كريد إلا قلعة قندية وطال أمره مدة طويلة فتركوها وسيأتي ذكر فتحها في مدة ساطنة السلطان محمد بن إبراهيم وجزيرة كريد من أعظم الجزائر وأكبرها تشتمل على بلاد واسعة ورسانيق كثيرة وذكر بعض من دخلها أن بها من القرى أربعاً وعشرين ألف قرية وأن دورها مسيرة خمسة عشر يوماً هي ذات رياض نضرة وبها أنواع الفواكه والثمار وخيراتها وافرة ، ثم أن رجال الدولة خلعوا السلطان إبراهيم سنة ثمان وخمسين وألف بسبب أنه كان منهمكاً في اللذات والشهوات مسرفاً في إنفاق الأموال وسلاطين آل عثمان إنما عظم شأنهم بزهدهم وعدلهم ، وقد حكى أن بعض سلاطينهم تواعد مع شيخ الإسلام الذي كان في وقته أن يجتمعاً في جامع من جوامع دار السلطنة في وقت مخصوص بالخفية للتشاور في بعض القضايا فحضر السلطان في الوقت الذي تواعد فيه وأبطأ شيخ الإسلام في الحضور وما جاء إلا بعد مضي مدة ، فلما حضر سأله عن سبب تأخيره فقال لما أردت الخروج رأيت عماتي وسخدة فكرهت أن أقابل بها مولانا السلطان فأمرت أهلي أن يغسلوها وانتظرتها حتى جفت فلبستها وجئت فهذا يدل على أنه ليس عند شيخ الإسلام غيرها فقال له السلطان لو كان عندي غير هذه التي على رأسي لأعطيتك إياها فانظر إلى زهد هذا السلطان وزهد شيخ الإسلام فالأصل كله الزهد في الدنيا والعدل في بيت المال فالخلفاء الراشدون إنما فتحوا البلاد ومصرفوا الأمصار بالزهد في الدنيا والعدل في بيت المال لا بكثرة الصلاة والصيام فالسلطان إبراهيم لما رأوه مسرفاً في الانفاق رأوه مخالفاً لما عليه أسلافه فكانت أفعاله عندهم غير مرضية فخلعوه وأجلسوا في السلطنة محمداً فكانت مدة ساطنة السلطان إبراهيم ثمان سنين وتسعة أشهر وفي ثالث يوم من خلعه قتلوه وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، وكان ميمون النقيب منصور الكتبية طالعه سعيد ماجهز جيشاً إلى ناحية إلا انتصر ولا قصد فتح ناحية إلا افتتحها لولا ما نعموا عليه من الإسراف في بيت المال وجميع السلاطين الذين جاؤا من بعده كلهم من ذريته .

(فائدة) في خلاصة الأثر أنه اتفق للسلطان إبراهيم المذكور ما لم يتفق لغيره من السلاطين فيما أعلم وذلك أنه رأى سلطنة أبيه وعمه وأخويه ووالده ثم ذكر أنه استقرى

من ولي الساطنة ، وكان اسمه إبراهيم فوجدوا لم يتم لأحدهم أمرها وقال الراغب في محاضراته  
قال أبو علي النظام كان المهدي يحب ابنه إبراهيم فقالت له أم إبراهيم ألا تراه بلي الخلافة  
قال لا ولا يابها من اسمه إبراهيم أن إبراهيم الخليل أول نبي عذب بالنار وأن إبراهيم  
ابن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعش وبوبع إبراهيم بن المهدي ، فلم يتم له الأمر وأحكم  
إبراهيم الإمام أمر الملك ليكون أول خلفاء بني العباس فقتل ، قتله مروان بن محمد بن  
مروان وطلب الخلافة إبراهيم عبد الله بن الحسن المثنى فقتل وباع المتوكل لابنه إبراهيم  
المؤيد فلم يتم له وقتل فسبحان ممن دبر الأمور على طبق علمه وأجراها بحكمته وفي مروج  
الذهب للمسعودي قال إبراهيم بن المهدي كنت أنا والرشيدي على ظهر حرقه وهو يريد  
نحو الموصل والمداؤون يمدون الشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال الرشيدي يا إبراهيم ما أحسن  
الأسماء ؟ قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الثاني بعده قلت اسم هارون اسم  
أمير المؤمنين قال فما اسمها قلت إبراهيم فزبرني ، وقال ويحك يا إبراهيم خليل الرحمن  
عز وجل قلت بشؤم هذا الاسم لقي مالتى من النمرود وألقى في النار قال وإبراهيم بن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمي بهذا الاسم لم يعش قال فإبراهيم الإمام  
قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدي في جراب النورة وأزيدك يا أمير المؤمنين إبراهيم  
ابن الوليد خلع وإبراهيم بن عبد الله الحسن قتل ولم أجد أحداً سمي بهذا الاسم إلا رأيت  
مقتولا أو مضروبا أو مطروداً فما انقضى كلامي حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات  
يهتف بأعلى صوته يا إبراهيم باعاض كذا وكذا من أمه أي بظرها قال فالتفت إلى الرشيدي  
فضحك حتى فخص برجله اه .

## ولاية السلطان محمد الرابع ابن إبراهيم

كانت ولايته سنة ١٠٥٨ بعد خلع أبيه ، وكان عمره إذ ذاك سبع سنين ، وكانت أمور  
الدولة في ذلك الوقت مرتبكة عديمة الانتظام مزعزعة الأركان قد كثرت حسادها وأعداؤها  
وكانت من جهة المالية في ضيق وعسر والمساكر غير منقادة لأولياء أمورها وأصبح وكلاء  
الدولة في الولايات غير مبالين في تنفيذ أوامرها فمن هذه الأحوال نبعت الفتن وكثر  
الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والأكابر ، فكان الوزير يتولى أياماً ثم يعزل أو

ينفي واستمر الحال هكذا نحو عشر سنين والدولة في تكبير والسلطان مع صغر سنه لا يزال يبحث هو وأمه عن رجل فيه اللياقة لأن يتبوا مسند الصدارة إلى أن عثروا على محمد باشا كوبرلي ، وكان مسنا حاذقاً ذا رأى وخبرة وسياسية كاملة لأن طول الأيام علمه ما لم يعلمه غيره فولى الصدارة سنة سبع وستين وألف وشرع في سد الخلل الذي أوقع الدولة في الانحطاط وببرهة قصيرة انتظمت أمور الدولة على أحسن نظام .

## ذكر غزوة في أيام السلطان محمد لقتال المجر والقزق

كانت هذه الغزوة بتدبير الوزير محمد باشا كوبرلي جهز جيوشاً لقتال القزق والمجر وجميع العصاة الخارجين على الدولة حتى أهلكتهم وأبادهم ، وفي سنة ثمان وستين وألف استولى على مراكب للبندقية وأخذ جزيرة بتفداس وجزيرة ليمنوس .

## ذكر غزوة أخرى يتبعها أخرى

وجهر جيشاً لقتال الصرب فانتصر عليهم وقتل منهم مائة وخمسين ألفاً وخرج جماعة من الأروام في بلاد الأفلاق وأظهروا العصيان فأرسل إليهم عسكرياً فقاتلهم وانتصروا عليهم وجهر جيشاً لقتال البندقية فاخرمته الوفاة سنة اثنتين وسبعين وألف قبل إتمام الأمر فأسندت الصدارة لابنه أحمد باشا الفاضل ، وكان أكثر من أبيه في الحدق وحسن السياسة ، وكان أبوه أقرأه العلوم حتى مهر فيها ، وكان صائب الرأى كامل الفراسة (فراصة عجيبية) مما ينسب إليه من الفطنة أنه جاءه يوماً شخص بتوقيع ففرس فيه أنه مصنوع فأعطاه لبعض أتباعه وأمره بحفظه حتى مضى على ذلك ست سنوات فجاءه يوماً شخص آخر برقعة ، فلما رآها طلب ذلك التوقيع فجاء به فقبله على الرقعة فإذا الخط واحد ثم سأل صاحبها عن كاتبها فأخبره به فلما مثل بين يديه أراء التوقيع ، وقال أليس هذا بمخطك فأمر بقطع يمينه وعين له من بيت المال ما يكفيه .

## غزوة إيوار

همن الغزوات التي وقعت في أيام وزارته غزوة إيوار عينه السلطان محمد لفتحها فسار



بجميع العساكر وحاصرها ووقع بينه وبين كفار الحجر وقعة عظيمة ومكروا بمسكروه  
مرات وخلصهم الله تعالى بيمن تدبيره ثم افتتحها سنة أربع وسبعين وألف وهدم مما يليها  
قلعة تسمى القلعة الجديدة كان الكفار بيوها ليتحصنوا بها .

## ذكر غزوة عظمى إلى كريد

وفي سنة سبع وسبعين توجه بجيش إلى جزيرة كريد لفتح بلدة قندية التي كانت  
بقيت في هذه الجزيرة من بين بلادها لم تفتح كما تقدم شرح ذلك فلما وصلها بنى بالقرب  
منها مكانا كان متهدما لتهيئة مهمات الحصار ، ثم نزلها بمن معه من العساكر ، وكان  
أهل قندية حصنوها بأشياء لا يمكن حصرها وأضافوا لسورها سوراً آخر عمروه من  
داخل الصور القديم وطال الحرب بين الفريقين مدة وأرسل أهل قندية إلى فرنسا  
يستجدونهم فأجدوهم بعمارة بحرية فيها خمسة عشر ألف مقاتل وجاءهم أيضاً نجدة من  
مالطة ، ومن البابا فاجتمعت مع عساكر فرنسا ونزلوا إلى البحر وهجموا على العساكر  
العثمانية ، واقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر فيه لعساكر الإسلام فقتلوا أكثرهم ولم ينج  
منهم إلا القليل ، فرجعت مراكب الفرنج بالخيبة ثم أن أهل قندية أرسلوا للوزير يطلبون  
منه الصلح فأجابهم إلى ذلك وأخرجهم منها ووضع فيها العساكر الإسلامية ورجع الوزير  
إلى مقر الملك ومعه جملة من مراكب مالطية وغيرهم غنيمة ، وكثير من الأسرى وفي غرة  
جمادى الأولى سنة ثمانين وألف وردت البشارة إلى الأطراف بالزينة ، وكثرت تباشير  
الناس بفتحها ، وأكثرت الشعراء من التواريخ لهذا الفتح ومن نوادرها العاريف اللفظي  
المعنوي للفاضل الشيخ أحمد الصفدي وهو قوله ( في عام ألف وثمانين عام )

## غزوة إلى بلاد القرم يتبعها أخرى إلى بولونيا

وفي سنة أربع وثمانين توجه الوزير بجيش لمحاربة القرم المعروفين باللية من النصارى  
فافتتح قلعة قنجة وفي سنة خمس وثمانين وألف توجه بالعساكر إلى بولونيا وفتح مدينة  
كيننا كره الشهيرة في متانة قلعتها وفتح بعدها جملة بلاد وحصون ثم عقد صلحاً مع أهل

بولونيا ووضع عليهم خراجا سنويا ، ولما رجعت العساكر الإسلامية بلغهم أن أهل بولونيا  
بدمانس النمسا والبابا تحركوا وأظهروا العصيان وانضم إليهم عصاة من الأفلاق والبغدان  
والقرقز واتسع الأمر وتوفي الصدر أحمد باشا الفاضل سنة سبع وثمانين وألف وحرز  
السلطان وجميع الناس عليه وولى الصدارة مصطفى باشا ، وكان قد خدم الوزير محمد باشا  
وابنه أحمد باشا الفاضل وترقى في الخدم والمناصب وتعلم كثيراً من سياستها وإن لم  
يكن مشارفاً .

### ذكر غزوة عظمى إلى جهرين

وكان أول سفرة باشرها بعد ولايته سفرة جهرين فتوجه بجيوش عظيمة وافتتحها  
واحتوى على المملحة التي بالقرب منها وهذه المملحة من أعظم مجالب النفع لبيت المال حتى  
إنهم يبالفون فيما يدخل منها حد المبالغة وسبب ذلك أن بلاد النصارى المعروفين بالمسكوف  
والقرقز محتاجون إليها وليس في بلادهم مملحة غيرها ولما فتحت هذه القلعة سر الناس سروراً  
عظيماً لأن فتحها كان في غاية الصعوبة ، وكان كثير من نصارى الروم يزعمون استحالة  
فتحها ويهزون بالوزير المذكور في قصدها ، وأشاعوا أخباراً في انكسار عسكر المسلمين  
وهزيمتهم وكانوا يظهرون الشماتة وسبب ذلك ما يعرفونه من بينها تابعة لملك المسكوف  
أكثر ملوك النصارى جيوشاً وأكبرهم ملكاً وبالجملة فإن فتح هذه القاعة كان من أعظم  
الفتوحات وبعد فتحها زينت دار الخلافة ثلاثة أيام ، وكان السلطان محمد إيدازك ببلادة سلسطرة  
بروم إيلي فكتب إلى قائم مقام القسطنطينية أنه يريد القدوم إلى دار المملكة وأنه لم يتفق  
له رؤية زينة بها مدة عمره وأمره بالنداء لتهيئة زينة أخرى ثم قدم السلطان فشرعوا في  
الزينة وبدلوا جهدهم في التأنق فيها واتفق أهل ذلك العصر على أنه لم يقع مثل هذه الزينة  
في دور من الأدوار ، ثم وقع بعدها حريق في القسطنطينية حرق فيه نحو اثني عشر ألف  
بيت ثم تراسل الحريق في كثير من المحلات حتى حسب ما وقع منه فكان تسعين حريقاً  
كل ذلك في سنة واحدة فكان ذلك القرح سبباً لهذا الترح فلا حول ولا قوة إلا بالله  
العلي العظيم .

## ذكر غزوة إلى بلاد النيمسا

ثم طلب الوزير مصطفى باشا من السلطان محمد الإذن بالسفر إلى بلاد لانكروس وافتتاح مدينة فينا قسبة بلاد النيمسا فأذن له السلطان ، وشرع في تهيئة الأسباب من الذخائر ومكاتبة نواب البلاد والعساكر وجمع من الجيوش مالا يدخل تحت حصر حاصر ولم يتفق جمع مثله من الزمان الغابر ، ثم طلع الوزير المذكور من القسطنطينية بأبهة عظيمة مصمماً على أخذ النصارى بالقوة الجسيمة ولم يزل بمن معه من العساكر سائرين إلى أن وصلوا قلعة يالق يوم الخميس ثاني عشر رجب سنة ١٠٩٤ ، ثم توجه يوم السبت قاصداً قلعة بج وأطلق أمره في نهب القلاع والقرى التي على الطريق فما كان للمسكر مشغلة إلا نهبها وإحراقها وإتلاف زرعها فأحرقوا من القلاع المعلومة نحو مائة قلعة وما يتبعها من القرى أشياء كثيرة جداً وكل قرية من هذه القرى بمثابة بلدة تحتوي على ألف بيت أو أكثر وجميع هذه القلاع والقرى في نهاية الأحكام وحسن البناء والبيوت في غاية من اتقان الصنعة مسورات بالرخام وفيها من السماق مالا يوصف وأكثر بيوت هذه البلاد ثلاث طبقات الثالثة منها مصنوعة بالدق والخشب ، وعانت المسكر في بلاد الكفار إلى قريب قزل ألما التي هي محل الأنكروس المعروف بالبابا ونهبوا ما قدروا عليه وحرقوه ومن أغرب ما وقع في هذا الأثناء أن سوقة المسكر كانوا كلما يدخلون قلعة من القلاع المذكورة فيرون فيها أناساً قلائل من النساء والرجال العاجزين عن الحركة فيقتلونهم ويستولون على القلعة ثم يظلمون فيها النار ففعلوا هذا في أكثر من أربعين قلعة وغنم المسلمون غنائم لا تحصر وأسروا نحو مائة ألف أسير بحيث بيعت الجارية مع ولدها بثلاثة قروش وهرب عسكر النصارى من بج ونواحيها وأخذوا معهم كثيراً من الأموال فلاحقهم جماعة من العسكر فاستأصلوهم قتلاً ، ولما وصل الوزير المذكور إلى بج وهي مدينة فينا وكانت النيمسا قد حصنتها تحصيناً عظيماً ، وضرب مخيمة بها وهي قلعة عظيمة يحيط بها من جوانبها الثلاثة الدور والأبنية والعمارات والحدائق ومن جملة ذلك سبعة عشر مكاناً باسم الملك تحتوي هذه الأمكنة على عجائب الزخارف

والفواكه والفساق ومن السماق والرخام وقد تقدم أن عسكر بج كانوا قد هربوا وكذلك  
هرب أهل الخارج من الرعية ولم يبق إلا عشرين ألف رجل وعشرة آلاف من العسكر  
وعشرة آلاف من الرعية في داخل القلعة فأمر الوزير بمجاهدة القلعة فنصب عليها  
المكاحل ، وشرع في رميها بآلات الحرب من المدافع والقلال حتى هدموا الدور  
والكنائس فضاقت بمن فيها الخنادق في أقل من قليل والتجأوا إلى أن يسلموها  
طوعاً فأبى الوزير خوفاً من أن ينهب العسكر ما فيها من المال فراجعه الوزراء والعسكر  
في المبادرة إلى دخولها صلحاً خوفاً من يأتي أمر فقال إن ضمنتم لي العسكر في أن لا يأخذوا  
شيئاً فعلت فأبوا فتمادى الأمر يومين أو ثلاثة وهو وبقية الوزراء في أعمال الفكر على  
أن يفتحوها عنوة وما لهم علم بما سيحدث وكان ملوك النصارى قد تكاتبوا لتجتمع  
جيوشهم ويستعين بعضهم ببعض على قتال المسلمين وكان ملك النمسا لما سمع بقدم المسلمين  
بالجيوش فر من مقر ملكه واحتوى ببعض القلاع من بلاده وأرسل يخاطب ملك  
بولونيا في الاتحاد وقاتل من بعاديهما فانفقت النمسا وألمانيا وكثير من الفرنج على قتال  
المسلمين وكان البابا يحرضهم على ذلك ويرغبهم فيه وكانت مدة الحصار ٤٥ يوماً فبينما  
الوزراء يدبرون في الفتح عنوة إذا بطلائع الكفار أقبلت وفي أثرها عسكر سد الفضاء  
وشبت نيران القتال لا يزالون يقتل ولا ضرب بل يقدمون على الموت بجنان من الصخر  
وهجموا دفعة واحدة والعسكر في غفلة عما يراد بهم واختلطوا بهم طامعين في قتلهم  
وسلبهم وأطلقوا السيوف وجردوا أسنة الخوف ولم يكن أسرع مما انقلب العيان  
وجمدت في الوجوه العيان وكان المقدم من المسلمين من عمد إلى الفرار ولم يقر له في تلك  
الحركة الفرار فقتل من قتل ونجا من نجا واحتوت الكفار على السراقات والخيول  
وفازوا بأمر كان يتمسر إليه الوصول وكر الوزير بمن معه هاربا وتفرق العسكر في تلك  
البراري الوهاد ونفذ ما كان معهم من الزاد ونفذ أمر العلي الكبير وهو على جميعهم  
إذا يشاء قدير ثم اجتمع كثير من العسكر مع الوزير ببلفراد وأظهرت نصارى الأفلاق  
والبغدان والأردل المصيان وزحف الكفار على بلاد الإسلام ، قال بعض المؤرخين في وصف

اليوم الذي هجم فيه النصارى على المسلمين وهمجوا دفعة واحدة على صفوف العسكر العثمانية واشتبك بينهم قتال مهول دأر من الصباح إلى المساء حتى تخضبت الأرض بالدماء وتغطى من العجاج ودخان البارود كبد السماء وصمت الأذان من صوت المدافع والقنابر ، وكان يوما مهولا لم يسمع بمثله في زمان غابر وبقي الوزير مصطفى باشا في بلغراد في قلق واضطراب مترقبا لما يظهر في حقه من طرف السلطنة من الجزاء والعقاب فبرز الأمر السلطان بقتله وتدميره جزاء على ما جناه من سوء تدبيره فقتل في المحرم من سنة ألف وخمس وتسعين عليه رحمة المولى العين وعين للصدارة بعده إبراهيم باشا وبعد تلك الوقائع الشديدة والحروب المهولة أخذ البابا يحرض أهل أوروبا على طرد المسلمين من قره بلادم ، فاجتمعت العساكر من كل الجهات وصمموا على إخراج المسلمين من أوروبا فتكفلت النمسا وتكفلت مقدونيا ببلاد بولونيا والبندقية وغيرهم من ساكني شطوط البحر الأبيض في دلمانيا بكثير من البلاد وزحفوا على بلاد الدولة العثمانية من جميع الأطراف فكانت عساكر الدولة تحارب الإفرنج من جملة أماكن والبابا يحرض الإفرنج على التجلد والقتال وأنجدم بجيوش كثيرة فلم ينجح تدبير إبراهيم باشا الصدر فعزل وأقيم مكانه سليمان باشا سنة سبع وتسعين وألف وسار بالعساكر إلى بلاد المجر ، وكان هذا الصدر يريد أن يتمثل بمحمد باشا كوبرلي لكنه كان قاصراً في التدبير فأراد العساكر قتله فتركهم وهرب إلى القسطنطينية فقتله السلطان سنة ثمان وتسعين وألف وأقيم في الصدارة سيواس باشا ، وكان السلطان مشغولاً بالصيد واللهو وقد حفت المصائب بالدولة من كل جانب وكثرة الجوع والفلاء والحرائق فتأمر أهل الحل والعقد من رجال الدولة وخلعوا السلطان محمداً سنة تسع وتسعين وتوفي سنة أربع ومائة ألف ، وكانت مدة سلطنته أربعين سنة وخمسة أشهر .

﴿ لطيفة ﴾ في مدة السلطان محمد المذكور ظهر يهودى يدعى أنه المسيح ومسلم يدعى أنه المهدي في عام واحد وهو عام ١٠٧٢ أما اليهودى فظهر في أزمير زاعماً أنه المسيح وكان اليهود ينتظرون النبي الذي وعدهم به موسى عليه السلام وهو آخر الأنبياء عليهم

السلام فلما بعث عيسى عليه السلام كذبوه ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه أيضا ولم يزالوا ينتظرون النبي الذي وعدم به موسى عليه السلام فإذا ظهر للمسيح الدجال يتبعونه ويقولون أنه هو النبي المبعوث في آخر الزمان الذي وعدم به موسى عليه السلام ، فلما ظهر هذا اليهودى بأزمير ادعى أنه المسيح عيسى ليفتر به كل من المسلمين واليهود ويتبعوه وأظهر لليهود أنه هو النبي الذي وعدم به موسى عليه السلام وكان فصيح اللسان جميل المنظر وزعم أنه يوحى إليه وأنه إنما يتكلم بالوحي فصار يعظ الناس ويجمعون عليه ، ثم انتقل إلى بيت المقدس وكاتب اليهود الذين هم في الممالك العثمانية فأجابوه وآمنوا به وصاروا يأتونه أفواجا ليتبركوا به ويبالغون فيما يحكونه عنه من إظهار عجائب وخوارق عادات كان يوم عليهم بها ويصنعها بالحيل كالحواة فيزعمون أنها معجزات فانتشر اسمه وكثر أتباعه وكان ذلك كله في مدة سلطنة السلطان محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان بن سليم فاتح مصر فأراد الوزير المتولى دمشق أن يقبض على ذلك اليهودى المدعى لهذه الدعوى لما رأى من كثرة أتباعه وكان اليهود الذين بالقسطنطينية قد كاتبوه وطلبوا منه أن يأتى إليهم فتوجه إليهم واستعدوا لملاقاته ليأخذوا بيده ويتبعوه ، فأرسل الصدر الأعظم وقبض على ذلك اليهودى وهو في المركب الذي جاء فيه ووضع في السجن فكان اليهود يطلبون الإذن من الصدر الأعظم ليأذن لهم في زيارته في السجن وتقبيل أقدامه فكانوا يأتون لذلك من جميع الجهات فوضع الوزير على كل من جاء لزيارته مالا جزيلا يأخذه منهم وجمع من ذلك مالا كثيراً فكان السجن يضيق عن هؤلاء الذين يأتون لزيارة مسيحيهم ثم إن السلطان محمداً أحضر ذلك اليهودى بين يديه فأخذ يتكلم باللسان التركي كلاماً ضميماً غير فصيح فقال له السلطان محمد أن مسيحاً مثلك يجب أن يكون فصيح اللسان بكل اللغات ثم قال له السلطان هل تصنع شيئاً من العجائب فقال نعم في بعض الاوقات فقال له السلطان محمد إني أريد أن أجرب فيك هذه العجيبة وأمر أن يجرد من ثيابه ويوقف في فسحة الميدان ويرمى عليه بالرصاص فإن نجح ولم يهلك علم صدقه فيما يدعيه فلما سمع هذا الكلام خرباً كعباً على الأرض وقال إن قوتي لا تقدر على هذه العجيبة فأمر

السلطان بقتله فرمى نفسه على قدم السلطان يقبلها ويعترف بالتوبة وتكذيب نفسه والدخول في الإسلام فقبل السلطان محمد منه ذلك فأسلم وحسن إسلامه وصار يعظ اليهود فأسلم خلق كثير وأما الرجل المسلم الذي ادعى أنه للمهدي فإنه رجل من الأكراد وظهر أيضاً في هذا العام في ناحية الموصل وتبعه خلق كثير فقبض عليه وأتى به إلى السلطان محمد أيضاً فأحضره وعرض عليه مثل ما عرض على اليهودي فأبت نفسه الشقيقة أن يعترف بالتوبة ويكذب نفسه بل رضى أن العساكر ترمي عليه الرصاص فرموا عليه فمات من ذلك وبعده خلع السلطان محمد وأقيم في السلطنة أخوه السلطان سليمان الثاني ابن إبراهيم .

### ولاية السلطان سليمان الثاني

فولى السلطنة وأمور الدولة في غاية الارتباك وزيادة على ذلك هاج العساكر الانقشارية وقتلوا كبيرهم وقصدوا كثيراً من الوزراء ليقتلوهم وقتلوا الصدر الأعظم سيواس باشا وأقيم بعده اسماعيل باشا واستولت النيمسا على كثير من ممالك الدولة وكذا البندقية وبعده ثلاثة أشهر عزل اسماعيل باشا عن الصدارة وأقيم مكانه تكفور طاغلي مصطفى باشا سنة ألف ومائة وواحدة وفي تلك السنة توجهت العساكر العثمانية إلى ناحية أدرنة وفي ذلك كانت عساكر النيمسا محاصرة بفراد ثم ملكوها في تلك السنة بعد حصار طويل .

### ذكر غزوة السلطان سليمان الثاني

ولما بلغ الدولة أخذ بفراد أمر السلطان بتجهيز العساكر لكي يخرج بنفسه وكانت الخزينة خالية من المال فعرضوا على أهل القسطنطينية أن كل عائلة تجهز خيالين وفي أثناء ذلك توجه من طرف الدولة إلى فينا بلاد النيمسا ذو الفقار أفندي لأجل المخاطبة في عقد الصلح فعرض عليه امبراطور النيمسا أنه عند دخوله بسجد أولاً عند باب القلعة وثانياً في وسطها وثالثاً أمام كرسيه ثم يقبل ذيله ويضع كتاب السلطان بين يديه ويرجع ساجداً كذلك فأبى وأقام عشرة أشهر في هذه المنازعة ، ولما رأى السلطان أنه قد طال أمر هذه

المخاطبة أمر بالذهاب إلى الحرب فتقدمت العساكر إلى بلاد المجر وداربتهم وأخرجت قلاعهم واستولت على أكثر البلاد وكان الجنرال درسكوفيس قد خرج على عساكر الدولة في نواحي بلاد اليونان وكسرم وكان عددهم خمسين ألفاً وأما عساكر النيمسا الذين كانوا في نواحي الطونة فقتلهم العساكر العثمانية وشتت شملهم فتركوا البلاد والقلاع وفر من قى منهم .

### ذكر غزوة إلى بلاد النيمسا

ولما وصل ذو الفقار من بلاد النيمسا إلى القسطنطينية وأعلم السلطان بما جرى له في بلاد النيمسا لم يستحسن مصطفى باشا الصدر أن يتقاضى عن ذلك فعزم على حرب النيمسا فأمر بتجهيز العساكر وأخذ في استجلاب قلوب الناس الذين كانوا تحت حماية النيمسا حتى احتقوا بالدولة وأخذ جميع الآنية الفضية والذهبية التي كانت عنده وعند السلطان وأرسلها إلى دار الضرب فسبكها معاملة ثم توجه لمحاربة النيمسا ومعه نحو مائة ألف ففتح بيسا وودين سمندريا وبلغراد ثم رجع إلى القسطنطينية مظفراً منصوراً .

### ذكر غزوة أخرى

وفي سنة ألف ومائة واثنين بلغ الدولة تقدم النيمسا فزحف عليهم مصطفى باشا بالعساكر المنصورة ، وتوفي السلطان سليمان في رمضان من هذه السنة بداء الأسنقاء وعمره خمسون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وتسعة أشهر .

### ذكر ولاية السلطان أحمد الثاني ابن إبراهيم

وأول غزوة من غزواته

وجلس على تخت السلطنة بعد أخوه السلطان أحمد بن إبراهيم وكان الصدر الأعظم مصطفى باشا سائراً بالعساكر لمحاربة النيمسا وكانت عساكر الدولة تقدمت إلى قرب بزردين واشتبك الحرب والقتال بين الجيشين وانهمزم من جيش المسلمين رئيس العساكر



الأكراد فلما شاهد ذلك مصطفى باشا صرخ عليهم بصوت عظيم واقتحم في وسط المعركة  
يحرض العساكر على القتال والسيوف بيده وإذا برصاصة أصابته في رأسه فوق قتيلاً  
رحمة الله عليه وبموته تغلبت عساكر النيمسا على العساكر الشاهانية ووقعت الهزيمة  
وقتل خلق كثير من المسلمين قيل أن عدد القتلى كان ٢٨ ألفاً وفي ذلك الوقت كانت  
عساكر المسلمين البحرية منصورة على الإفرنج نصراً شديداً ، وبعد موت الوزير أقيم  
مكانه عرجي على باشا ثم عزل سنة أربع وأقيم بيقلو مصطفى باشا وحدث في هذه السنة  
حريق في القسطنطينية أحرقت ربع المدينة .

### ذكر غزوة في خلافة السلطان أحمد الثاني

في ذي القعدة من هذه السنة توجه الوزير إلى بلغراد لمحاربة النيمسا وكانت محاصرة  
بلغراد فلما بلغ النيمسا قدوم الوزير رفع الحصار وهربت من أمامه فأمر الوزير بترميم  
الأماكن التي أضربتها عساكر النيمسا ورجع بعد ذلك إلى أدرنة وبقى جيش الدولة محافظة  
هناك ، وكانت دولة إنجلترا تداخلت مع دولة هولاندا في إتمام الصلح مع الباب العالي  
والنيمسا ولم يتم . وفي سنة خمس ومائة وألف توجهت العساكر لمحاربة المجر وبسبب الأمطار  
الكثيرة رجعوا إلى بلغراد . وفي سنة ست توفي السلطان أحمد وعمره أربع وأربعون  
سنة ومدته ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر .

### ذكر ولاية السلطان مصطفى الثاني وغزوة يتلوها غزوات

وأقيم في السلطنة بعده السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع ابن إبراهيم  
وبعد جلوسه عرض عليه قضية الصلح فلم يقبل بل أصدر فرماناً شريفاً يقول فيه لا يجوز  
لعبيد الله أن يتمتعوا بالراحة وهو هم على تخت السلطنة فمن الآن وصاعداً أحتم أن التلذذ  
والسكسل يهجر من دولتي العلية لأن الأعداء قد أحاطوا بملكته الإسلام واستأسروهم  
وسوف آخذ ثأرهم إن شاء الله تعالى وأسبر أمام جيوشى لأن جدى سليمان العظيم الذى  
تصاعد رائحة الطيب من قبره لم يكن يرسل وزرائه فقط للجهاد بل كان يخرج بنفسه

للمبارزة في الجهاد المقدس حتى أن فخره ومجده قد انتشر في جميع الأقطار المسكونة وأنا سوف أصنع نظيره فأطيعوا أمير المؤمنين والسلام ، وكان السلطان مصطفى المذكور محباً للعلوم والمعارف متديناً عادلاً وعلى جانب عظيم من الرقة والحدق ، ثم اجتمع رجال الدولة واتفقوا على أن السلطان لا ينبغي أن يخاطر بنفسه فلم يانفت إلى كلامهم .

## ذكر غزوة من غزوات السلطان مصطفى

ثم عزم على الخروج بالعساكر فأمر بجمع الجيوش وأرسل عمارة بحرية فضربت مراكب مشيخة البندقية بقرب ساقس وكسرتهم كسرة مهولة وشنتهم في جهات البحر الأبيض وتملكت عساكر الدولة جزيرة ساقس وسار السلطان بنفسه مع العساكر وعبروا نهر الطونة وقاتلوا عساكر النيمسا وملكوا جملة بلاد وقلاع وقطعوا رأس الجنرال فيتراني ، وكانت عساكره أكثر من عساكر الدولة بخمس مرات وأخذوا مدافعهم ومهماتهم وهدموا القلاع والحصون وعند دخول الشتاء رجع السلطان بجانب من العساكر إلى أدرنة وترك الباقي يحارب النيمسا ، ثم دخل بالعساكر القسطنطينية في موكب حافل ومعه أسارى كثيرة ومدفع وبيارق من غنائم النيمسا وفي أثناء ذلك حاصر ملك المسكوف قلعة أزوف فكسرت عساكر الدولة تحت أسوارها وقتلت من عساكره ثلاثين ألفاً ورجع عنها بعد حصار ثلاثة أشهر وتملك المسكوف بحر أزوف وبني على سواحه قلاعاً .

## ذكر غزوة عظمى

بلغ السلطان أن النيمسا جمعت عساكر كثيرة وجعلت قائدها أوجين الفرنسي ، وكان متدرباً في الحرب ، فسار السلطان سنة ثمان ومائة وألف بمائة ألف مقاتل إلى مدينة أدرنة وأرسل الجيوش منها لمحاربة النيمسا فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان النصر للمسلمين فقتلوا من النصارى عدداً كثيراً وشنتوم في جميع الجهات ورجع السلطان إلى مقر ملكه .

## غزوة أخرى

في سنة تسع بلغ الباب العالي رجوع عساكر النيمسا مع الجنرال أوجين الفرنسي في فخرج السلطان بنفسه بالعساكر وصحب معه وزيره الصدر الأعظم محمد الماس باشا واستولوا في طريقهم على عدة قلاع ، ثم التقوا بجيوش النيمسا التي مع أوجين الفرنسي ووقع بينهم وقعات ثم صارت الهزيمة على عساكر المسلمين وقتل الصدر الأعظم في ميدان الحرب وأقيم مكانه حسين باشا ثم انهزم ورجع إلى بلاد المجر ، وفي أثناء ذلك سعت دولة فرنسا وانجلترا وهولاندا في الصلح واختاروا مدينة كرلوفر لانغاد الجمعية بهذا الصدد والسبب أن الدولة كانت كلت وقلت النقود من كثرة الحروب فحصل القبول لهذه الجمعية فاجتمعت عند الدولة العلية ودولة فرنسا وانجلترا والمسكوف والنيمسا والبندقية وبولونيا وهولاندا وبعد ٣٦ جلسة في ٧٢ يوما تم الصلح في رجب سنة ١١١٠ وانعقدت شروطه باتفاق الجميع وتلك الشروط تعرف بشروط كازلاويز ، وكان من جملة الشروط حصول الهدنة ومشاركة الحرب مع النيمسا ٢٥ سنة وأما الموسكوف فلم يقبل إلا بهدنة سنتين وبعد انعقاد الصلح هاجت الداس والعساكر بسببه وانتشر من ذلك فتنة عظيمة وطالت إلى أن قاموا على السلطان وخلعوه وقتلوا شيخ الإسلام فيض الله أفندي قيل أن السلطان مصطفى لما بلغه أنهم يريدون خلعهم دخل على أخيه أحمد وأخبره بذلك وترك له كرسي السلطنة فكانت مدة تملكه ٨ سنين و ٤ أشهر ، وكان خلع سنة ١١١٥ ومات في السنة التي بعدها فعمره ٤١ سنة .

## ولاية السلطان أحمد الثالث

تسلطن بعده أخوه السلطان أحمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع ابن إبراهيم ، وكان من الصالحين المحبين للجهاد وإقامة الحق ولما جاس على تخت السلطنة كان أم شيء عنده أخذ القصاص من العصاة الذين كانوا سبباً في تلك الفتنة ، وقتل كثيراً منهم .

## ذكر غزوة في زمن السلطان أحمد الثالث

ثم جهز عمارة لمحاربة البندقية في جهات المورة فلكوا أكثر الجزائر واستأثروا كثيراً من البندقية واستولوا على مراكبهم ، وفي سنة ستة عشر ومائة وألف قامت الحرب على قدم وساق بين قيصر روسيا بطرس وكارلوس ملك السويد واسترسلت إلى سنة فانكسر أخيراً كارلوس المذكور وفاز عليه قيصر روسيا بطرس الأكبر ، ولما انهزم ملك السويد دخل في حدود الدولة فأمر السلطان وقتئذ أن يكرم غاية الإكرام وأن تكون مصاريفه ومصاريف كل تبعته من خزينة الدولة ومكث في بلاد الدولة مداوماً الالحاح عليها لمحاربة روسيا إعانة له فامتنت للدولة من إجابته .

## ذكر غزوة إلى الروسية

ثم أجابته في سنة ١١٢٣ وأشهرت الحرب على الروسية وجهزت جيشاً تحت قيادة محمد باشا البلطجي ، فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر برت وبعد كفاح شديد تفهقر جيش الروسية وأمسى القيصر في خطر مابين ولو لم تتدارك الأمر زوجته كاترينا بمذاقها ودرابتها لأصبح زوجها أسيراً ، فعقدت صلحاً مع الوزير الأعظم تحت شروط منها ترجيع بحر أزوف إلى الدولة وهدم الحصون التي على سواحل هذا البحر ويترك للدولة للدفاع التي فيها وعدم مداخلة الروسية فيما يخص القذف ، وأن تتعهد لملك السويد بحرية الرجوع إلى بلاده وبعد المصادقة على هذه العهود من الطرفين أرسل الوزير يعلم السلطان بالنتيجة فغضب وأمر بعزله ونفيه ، ثمات بعد شهر وأقيم مكانه يوسف باشا وتم رأى رجال الدولة على إبطال ذلك الصلح مع الروسية وإشهار الحرب عليهم بعد قتل جملة أشخاص كانوا السبب مع ذلك الوزير في تلك العهود ، وكان يوسف باشا الصدر الجديد لا يزيد الحرب ، فلذلك صار يؤخر في تجهيز المهمات الحربية واجتهد في تجديد الصلح مع الروسية على هدنة خمسة وعشرون سنة ، فلما بلغ السلطان ذلك أمر بعزل يوسف باشا وأقام مكانه سليمان باشا وذلك سنة أربع وعشرون ومائة بعد الألف ثم إن ملك السويد أراد الرجوع إلى بلاده

وطلب من الدولة ألف كيس ، فأمرت له بها ، ثم طلب ألفاً أخرى فأمرت له بها ، فغضب الوزير وأراد إخراج ملك السويد بالعنف وجرى بينه وبينه أشياء يطول ذكرها ، فعزل السلطان الوزير سليمان باشا وأقيم مكانه إبراهيم باشا ، ثم بعد عشرين يوماً عزل وأقيم مكانه داماد علي باشا فعقد الصلح مع الروسية على ٢٥ سنة وفي أثناء ذلك حضر ملك إلى السويد كتاب من أخته تقول له : إن حضوره لازم لأجل راحة المملكة ، فعزم على الرحيل واستأذن الدولة في الرجوع فأمرت له بستمائة جاويش لأجل محافظته في الطريق وأهدته ثمانية أفراس من جيات الخيل وصيوانا مطرزاً بالذهب وسيفاً مرصعاً بالأحجار الثمينة ، فرحل من بلاد الدولة سنة ست وعشرون ومائة بعد الألف شاكراً أفضل الدولة على ما صنعتها معه من الفيرة والمساعدة ونحو ذلك من الأعمال المدوحة التي تستحق أن ترقم في صحائف التواريخ لتكون تذكراً بين الملوك وأهل السويد لا ينسون هذا الجميل الذي فعلته الدولة العلية في حق ملوكهم .

## ذكر غزوة عظمى

وفي سنة ست وعشرين أيضاً فتحت الدولة والحرب على البندقية واستولت المراكم العثمانية على أكثر بلاد المورة وعلى جزائر البنادقة وذلك سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، وكانت مشيخة البنادقة استغاثت بملك النمسا وهو إذ ذاك امبراطور ألمانيا فلبى دعوتها وبعث إلى الدولة العلية يطلب منها أن ترسل معتمداً من طرفها إلى حدود بلاد المجر لأجل المخابرة معه لجهة جمهورية البندقية وإن أبت عن ذلك فإنه مستعد أن يشهر الحرب عليها فلم تحب الدولة هذا الطلب .

## ذكر غزوة

بل أرسلت على الفور الصدر الأعظم بمائة وخمسين ألف مقاتل لمحاربة ألمانيا فوافاهم ثمانون ألفاً من عساكر الألمان تحت قيادة الأمير أوجين الفرنسي والتقى الجيشان عند كارلوفيتز . التحم القتال بين الفريقين مدة أيام ، وكان الصدر الأعظم داماد علي باشا من

أحسن أبطال زمانه فكان ينزل في ميدان الحرب ويقاوم بنفسه أشد القتال فقد رآه الله أنه قتل في ميدان القتال فانهزمت الجيوش العثمانية انهزاماً مهولاً واستولت عساكر العدو على المهمات والمدافع ، ثم تقدموا إلى مدينة تميفار وحاصروها شهرين وملاكوها .

## ذكر غزوة أخرى

وولى الصدارة خليل باشا فجهز جيشاً لقتال العدو وسار إلى أدرنة ومنها إلى بلغراد واشتبك القتال بين الجيشين سنة ١١٢٩ ولسوء تدبير هذا الوزير وقعت الهزيمة أيضاً على جيش المسلمين وملك العدو مدينة بلغراد فعزل الصدر وأقيم مكانه محمد باشا وعزل بعد ثمانية أشهر وأقيم مكانه داماد إبراهيم باشا وكان جانب من عساكر الدولة مشتغلاً بالحرب مع العدو في جهة بوسنة ولما بلغت هذه الأخبار ديوان السلطنة فتحت المخابرة في الصلح سنة ثلاثين ومائة وألف وكان السلطان يريد عقد الصلح مع كل من دولة ألمانيا وجمهورية البندقية على حدته فأجاب الأمير أوجين بأن الإمبراطور لا يفتح المخابرة إلا تحت شرط عقد الصلحين سواء تحت نظره وأردف هذا الطلب بأن يعطى له ما عدا مصاريف الحرب ومدنيتي بلغراد وتميفار وإقليم بوسنة والصرب والوافعان في الجهة اليمنى من نهر الدانوب والأفلاق من حدود بغداد إلى نهر دنيستر وأن ترجع المورة إلى البندقية فعظمت هذه المطالب على السلطان أحمد وفضل فقد التاج على التسليم بشروط مجلبة للعار فتدخلت أخيراً دولتا انكلترا وهولانده في نقض الخلاف وصار القرار على أن يبقى في يد كل من الدولتين الأملاك التي تكون في يدها عند امضاء المعاهدة وأن يبقى إيالة المورة للدولة العلية وفي سنة ٣٣ حدثت حريق مهولة في القسطنطينية أحرقت نحو ربعها وبعد نهاية الصلح جددت الدولة مع الروسية وملك بولونيا شروط الصلح وروابط العهد .

## ذكر غزوة إلى بلاد المعجم

في سنة ثمان وثلاثين جاء جماعة من أهل السنه يسكنون في حدود المعجم إلى السلطان أحمد يشكون من المظالم والتعدي التي يجريها الشيعة عليهم ويستنجدون به ويطلبون خلاصهم من تلك المظالم فأجابهم السلطان أحمد وسير جيشاً إلى بلاد المعجم وفتحوا جماعة حصون ومدينة أرمقان ونهاوند وتبريز وشتتوا جموع الأعاجم قتلاً وأسراً وامتلات أيديهم من غنائمهم فأرسل شاه المعجم يخاطب الدولة في الصلح فقبلت بشروط أن يرجع إلى الدولة البلاد التي كان استولى عليها وفي أثناء ذلك مات شاه المعجم حسين ومالك ولده طهماسب فأرسل إلى الدولة يطلب ترجيع الأملاك التي أخذت من أبيه وحاصر تبريز وملكها واستولى على ستمائة حمل حمل من الأمتعة فصدر الأمر من السلطان أحمد بتجهيز العساكر لحرب الأعجام وعند ما كانوا على هيئة الذهب وذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف هاجت العساكر الانكشارية وتمردوا وطلبوا من السلطان قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وشيخ الإسلام وقبطان باش وكتبخدا بك اشكاي يشكون منها فلم يقبل السلطان منهم ذلك فقالوا نسمح عن شيخ الإسلام فقط ثم قتلوا الصدر الأعظم إبراهيم باشا وكتبخدا بك، ثم أن بعض العسكر أنكروا أن المقتول إبراهيم باشا وقالوا أن المقتول زجل يشبهه وليس هو ورجعوا يطلبون من السلطان إحضار إبراهيم باشا وأخذوا يصرخون يعيش السلطان محمود وساروا يطلبون السلطان محموداً في المكان الذي هو فيه وأتوا به إلى الديوان وأجلسوه على كرسي السلطنة وبايعوه بعد أن خلعوا عمه السلطان أحمد فكان خلعه سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وتوفي سنة تسع وأربعين وعمره ستون سنة ومدة ملكه سبع وعشرون سنة وأحد عشر شهراً.

## ولاية السلطان محمود الأول

وأما ابن أخيه الذي أقيم في السلطنة بعده فهو السلطان محمود الأول ابن مصطفى بن محمد بن إبراهيم هكذا ذكرت هذه القصة في كثير من التواريخ ورأيت في تاريخ مكة

للرضى حكاية كيفية خلع السلطان أحمد المذكور وكيفية قتل الوزير إبراهيم باشا ، فقال  
في تاسع عشر شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف كان جلوس السلطان  
الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم السلطان محمود بن السلطان مصطفى بن محمد ورفع عمه  
السلطان أحمد بن السلطان محمد المتولى سنة ألف ومائة وخمس عشرة وكان هذا الرفع والجلوس  
لأسباب وأمور اقتضت وقوع هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم ، وهو أنه لما تكاثرت  
المظالم من وزير السلطان أحمد إبراهيم باشا ومن كيخيته حتى زاد الحال على المسلمين اجتمع  
من أطراف العسكر اثنا عشر نفراً لا زيادة واستمر عشرة أيام وهم في كل يوم يخرجون  
ويجتهدون في أن يعضدهم أحد من العسكر فلم يحصل ذلك وفي اليوم الحادى عشر تكاثرت  
الامة عليهم فغاب منهم أحد عشر لا يدري أين ذهبوا ولم يبق منهم إلا واحد فصار ذلك  
الواحد أمير تلك الأمة المجتمعة فأركبوه جواداً وامتلوا له جميع ما أمر ، وصارت عدتهم  
فوق العشرة آلاف وفي أثناء ذلك السلطان أحمد حافظ للوزير وكيخيته وأمير البحر  
المسمى بالقبطان وهو في غاية الذلة والهوان أرسل إليه أمير الأمة المذكور بأن أرفع إلينا  
الوزير والكيخية ، نريد أن نقتص منهم مظالم الخلق فاضطرب حالهم اضطراباً انجلي عن  
قتل الوزير والكيخية بيده ثم قتل القبطان أيضاً بيده ثم قتل الوزير بعض خدم السلطان  
وأرسل إليهم برؤوس الثلاثة بناء على أن ذلك مرض لهم فزاد الحال وكثر الجدل وقالوا  
إن قتل القبطان كان ظالماً لأنه لم يصدر منه ما يوجب ذلك وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ،  
وأما قتل الوزير وكيخيته فلم يكن لنا به غرض بل كان مطلوبنا حضورهما حين نطالبهما  
بمقوق العباد وما كان يصدر منهما في البلاد ، ثم صرحوا بعدم الرضا بالسلطان أيضاً فعرض  
عليهم تولية ابنه السلطان سليمان فامتنعوا عن ذلك فرأى هو ومن لديه من أهل الحل والعقد  
أنه لا يطفى هذه النائرة إلا بإخراج السلطان محمود من الحبس وتوليته السلطنة ، فقام السلطان  
أحمد بنفسه وذهب إليه في الحبس وأخرجه وأجلسه على التخت ثم أرسل إليهم بأن يتفرقوا  
فأبوا إلا بعزل بعض أشخاص عن مناصبهم وتولية غيرهم وقتل آخرين ونفى جماعة فتم  
لهم ما طلبوه ، ثم رغب منهم السلطان محمود التفرق فتوقفوا أيضاً ، فأرسل إليهم شيخ  
الإسلام بأنكم إذا لم تتفرقوا وإلا أخرجت لواء النبي .



صلى الله عليه وسلم وأخذت عليكم فتوى ووجهت الجهاد عليكم ، فعند ذلك تفرقوا فطلب ذلك الرجل الذي كان أمير هذه الأمة المجتمة ، فلم يوجد له خبر ولا أثر ولا بدري أين ذهب واستقرت السلطنة لاسطان محمود الأول وصدرت منه الأوامر العلية إلى جميع ممالكه وزينت البلاد وكان من أغرب الاتفاق أن أخرج تاريخ ذلك قوله تعالى ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ .

## ذكر غزوة إلى بلاد العجم

وقد وقع في مدة السلطان محمود المذكور محاربات بينه وبين الروسية وألمانيا عدة سنوات وكذا وقعت أيضا محاربات بينه وبين العجم .

## ذكر غزوة إلى العجم

فمنها أن العجم جهزوا جيوشهم وأغاروا على مواضع مما كانت في حكم الدولة وأخذوها وحاصروا بغداد فجهر السلطان محمود عليهم جيوشا سنة ست وأربعين ومائة وألف وأزالهم عن محاصرة بغداد وشتتهم في الجهاد وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع بعض جيوش الدولة إلى كردستان ليخلصها من أيدي الأعجام واشتبك الحرب وقتل رئيس المساكر العثمانية طوبال عثمان باشا في ميدان الحرب ، وقد كان في السنة التي قبلها عقد صلحا مع العجم على أن تبريز تكون تحت أيدي العجم ، ففضب السلطان محمود ولم يرض بذلك ، ولما قتل طوبال عثمان باشا انهزمت عساكر الدولة ، فلما بلغ الخبر الباب العالي جهز السلطان جيشا آخر لقتال العجم ، ولما وصل الجيش إلى شط نهر كوبال صدمهم الموسكوف عن المسير فرجعوا ودخلت عساكر الموسكوف في بولونيا فشكتهم الدولة إلى ملوك أوروبا لأن ذلك مخالف للشروط التي كانت بينهم فاعتذر الموسكوف بأن دخول عساكره في بولونيا تنفع دولة فرنسا من تسليم أحكام بولونيا فلم تقبل الدولة هذا العذر وأشهرت الحرب على الموسكوف .

## ذكر غزوة إلى بلاد الموسكوف

وسارت العساكر في سنة تسعة وأربعين ومائة بعد الألف بعد أن عقدوا صلحاً مع  
المجم غير الصلح الذي تقدم ذكره على شرط رجوع حدود الدولة على ما كانت أيام  
السلطان مراد الرابع ، وفي مدة عقد هذا الصلح تقدمت عساكر الموسكوف وأخذت بعض  
جهات من أراضي الدولة فلما تجهزت عساكر الدولة توجهت إلى القرم واقتتلوا مع  
الموسكوف فانتصرت عساكر الدولة وهزموم ثم أن الموسكوف اتحدت مع النيمسا  
وألمانيا وكانت ألمانيا تابعة للنيمسا ورجعوا واستلموا قلعة أزوف وانهزمت عساكر الدولة  
أمام هذه القاعة واستولت عساكر النيمسا على ثمان مدن من بلاد الصرب والأفلاق  
وعلى قلعة نيش .

## غزوة أخرى

فرجعت إليهم عساكر الدولة وهزمت عساكر النيمسا قدام بنالوغا وتشقت في  
جهات البلاد وامتد الانتصار إلى أن طردت عساكر الدولة النيمسا من الأفلاق والبغدان  
وأرصوفا واسترجعت قلعة نيش وأحرقت لهم سبع مراكب حربية في البحر تجاه قلعة اليرابنت  
وتوسطت فرنسا في الصلح فلم يقبل السلطان ، فلم تزل فرنسا تراجع السلطان إلى أن تم  
الصلح بشرط أن النيمسا ترجع بلغراد للدولة وكل ما استولت عليه من الأفلاق والصرب  
وغير ذلك وأن يكون الحد الفاصل بين الملكتين نهر الطونة وعقدوا هدنة طويلة وهو  
سبعة وعشرون سنة واشترطت الدولة على الموسكوف أن لا يكون لها مراكب حربية  
ولا تجارية في البحر الأسود وبحر أزوف وأن الموسكوف يرجع الأماكن التي استولت  
عليها في مدة الحرب وأن يهدم قلعة أزوف وبعد هذا الصلح طلبت دولة السويد عقد  
معاهدة مع الدولة العثمانية بالاتفاق على حرب من يعاديهم فأجابتها الدولة إلى ذلك وعظ  
أمر السلطنة في تلك السنة . هذا تلخيص ما كان في مدة السلطان محمود الأول وكان من  
أعظم سلاطين آل عثمان عقلاً وهمة وتديراً ومحبة للجهاد ونصرة الدين وإقامة الشريعة

وتوفى رحمه الله سنة سبعة وستون ومائة بعد الألف وعمره ستون سنة ومدة ملكه أربع وعشرون سنة (ولاية السلطان عثمان الثالث) وأقيم في السلطنة بعده أخوه السلطان عثمان بن السلطان مصطفى بن محمد بن إبراهيم ومكث قريبا من أربع سنين وتوفى سنة إحدى وسبعون ومائة بعد الألف (ولاية السلطان مصطفى الثالث) وأقيم بعده في السلطنة السلطان مصطفى الثالث بن أحمد الثالث بن محمد الرابع بن إبراهيم ، فلما استقر في ملكه أخذ في تعظيم ملكه وتقوية ما وهن منه وكان ذلك بإسعاد وزيره الصدر الأعظم محمد راغب باشا المشهور بالعلم والتدبير وحسن السياسة ، وفي سنة ست وسبعون ومائة بعد الألف توفى راغب باشا وبعد وفاته شبت نيران الحرب بين الدولة والروسية وفي هذه السنة خلعت كاترينا امرأة ملك الموسكوف بملها عن كرسي السلطنة وجلست مكانه وسجنته ، ثم أمرت بقتله فقتل وأخذت تسعى في إخراج اليونان عن طاعة الدولة العثمانية وحركت اليونان في الموردة والأرناؤوط وأخذوا يستعدون لخلع الطاعة ونهض على بك بمصر وتغلب عليها وعلى الشام وأراد الاستقلال وأرسلت الدولة من عساكرها أربعين ألفاً لحماية البلاد على شاطئ نهر الطونة وأرسلت اليونان إلى كاترينا ملكة الموسكوف ستجدد بها فبعثت لهم جيشاً لم يغن شيئاً فهزمتهم عساكر الدولة غير أن عساكر الموسكوف في تلك الأيام انتصرت على عساكر الدولة التي كانت على حدود الطونة واستولوا على بندر واكرمان واسماعيل وقلاع على شاطئ هذا النهر، ولما بلغ الباب العالي هذه الوقائع صدر الأمر بتكثير الجيوش ، وفي السنة الثانية تغلبت عساكر الدولة على عساكر الموسكوف فرجعت إلى بلادها بعد أن فقد منها عساكر كثيرة في الحرب وبالطاعون وحينئذ أخذت النمسا وبروسية في التوسط في الصلح وتوقيف الحرب ولكن لما وافق الدولة أن مطالب الموسكوف غير مقبولة رفضت هذا الطلب وأشهرت الحرب .

### ذكر غزوة إلى بلاد الموسكوف

وفي سنة ألف ومائة وست وثمانين سار الصدر الأعظم محسن باشا بالعساكر لمحاربة الموسكوف فضر بهم على نهر الطونة وأخذ منهم ستمائة أسير وسار حسن باشا قبطان باشا

بجانب من العساكر الشهبانية وضرب عسكر الموسكوف على نهر الطونة أيضاً وأخذ مدافعهم وذخائرهم ، وفي أثناء هذه الغزوات توفي السلطان مصطفى سنة سبع وثمانون ومائة بعد الألف وعمر ثمان وخمسون سنة ومدة ملكه ست عشرة سنة .

## ولاية السلطان عبد الحميد الأول

وأقيم في السلطنة بعده أخوه السلطان عبد الحميد الأول ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع بن إبراهيم وكان أخوه السلطان مصطفى قد ترك له نهاية الحرب الجسم مع الروسية فأمر بإنجاز الجيوش وتكثيرها .

## ذكر غزوة للسلطان عبد الحميد الأول

بعث مع الصدر الأعظم أربع مائة ألف مقاتل والتحم القتال بينهم وبين الجيوش الروسية فحصلت لهم هزيمة وانحسروا في شملة ووقعوا في صعوبة كلية ، فاجتهد السلطان في إرجاع قوة الدولة وكانت العساكر قد كادت من الحروب وحدث بين العساكر الانكشارية شغب ، فتركوا الصدر الأعظم في ميدان الحرب بجانب قليل من العساكر فرجع إلى شملة وأرسل يعلم الباب العالي بذلك فصدر الأمر بمقد الصلح فتم على شروط تعرف بعهد كوجيك قينارجة ، وهي منظوية على استقلال التتر في بلاد القرم واليوجك والكوبان ، وعلى سير السفن الروسية في بحر الدولة ، وترك أزوف وكيل برون وبعض القلاع إلى الموسكوف وقبول الدولة انقسام بولونيا والموسكوف يترك للدولة الأفلاق والبغدان والجزائر التي كانت في يدها في البحر الأبيض وبعد إمضاء هذه الشروط عاد الصدر الأعظم محسن باشا بمعه من العساكر إلى دار السلطنة وتوفي في طريق مدينة أدرنة وأقيم مكانه محمد عزت باشا وأخذ السلطان عبد الحميد في إصلاح أمور السلطنة وقمع العصاة الذين في مملكته وطمع الروسية بما جرى من الصلح ولم تلتزم الشروط بل كانت تتعدى من حين إلى حين على حدود الدولة حتى أنها أغارت على القرم واستولت عليها وكان السلطان عبد الحميد تلك يتحمل التعديات بمرارة عظيمة زمانا طويلا ويرى سلطنته مشرفة على وهدة السقوط

وهو غير قادر على أن يأتيها بالعلاج الشافي ولما رأى أن كثيراً من ممالكه وقعت في قبضة الأجانب شرع في استعدادات جديدة للحرب .

## ذكر غزوة أخرى

وبعث جيوشاً متعددة فمنها جيش سار به حسين باشا القبطان فقتل كثيراً من العصاة وبعث برأس ظاهر العمر الذي تغلب في جانب سورية وبرأس حاكم البفدان الذي كان يحاكيه في الشقاوة .

## غزوة أخرى

ثم توجه حسين باشا المذكور لتأديب اليونان ساكني المورة فسار إليهم وقتل منهم أصحاب الفتن والفسائس فأرعب قلوبهم وكسر عزائمهم وألزمهم الطاعة وطلب العفو لهم من الباب العالي وكانت كاترينا ملكة الروسية تجتهد دائماً في تخفيض قوة الدولة العثمانية وما اكتفت بتملك القوم فأرسلت أناساً في كثير من الممالك يزرعون فيها الفتن فلما نظرت رجال الدولة تعدى الروسية على حقوق الدولة استشاطوا في ذلك ونادوا بالحرب وكانت الإنكليز تحرض الدولة على ذلك ويؤكد لها الإعانة وأن دولة اسوج وبلونيا ينهضان معها لإسعاد الإسلام وأن بروسية تقاوم النمسا .

## ذكر غزوة أخرى

فصدر الأمر إلى الصدر الأعظم يوسف باشا فتوجه لحرب الروسية والنمسا وكانت كاترينا ملكة الروسية حضرت إلى بلاد القرم بجيش عظيم وحضر امبراطور النمسا بجيش عظيم وكان قد تعاهد معها على محاربة الدولة وكانت فرنسا متفقة مع الروسية سرّاً فاقتتلت عساكر الدولة مع النمسا في محل يقال له فتح الإسلام والجزيرة الكبيرة فانتصرت العساكر الإسلامية واستولت على كثير من القلاع والحصون .

## غزوة أخرى

وتوجهت فرقة أخرى من عساكر الدولة لمحاربة الروسية تحت رئاسة شاهين علي باشا وعندما كانت العساكر العثمانية متغلبة على عساكر النيمسا حتى كاد امبراطور النمسا يقع أسيرا تقدمت عساكر الروسية واستولت على البغدان وعلى كثير من القلاع والحصون ولم يحضر أحد من باقي الدول الذين وعدوا بالمساعدة والنصر ، فلما شاهد الصدر الأعظم ذلك كتب إلى الباب العالي يستأذن إلى السعى في عقد الصلح ، وفي أثناء ذلك توفي السلطان عبد الحميد سنة ألف ومائتين وثلاث وعمره ست وستون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة .

## ولاية السلطان سليم الثالث وغزوة من غزواته

وجلس على تخت السلطنة بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع ابن إبراهيم وبعد جلوس السلطان سليم وجد همته إلى اصلاح حال العساكر وتقوية العمارة البحرية ، وأمر بجميع الجيوش من جهات البلاد لتكثير الجيوش المجتمعة قبل ذلك فاجتمع في وقت قريب نحو مائة وخمسين ألف مقاتل ، وكان اجتماعهم في مدينة صوفيا وكانت عساكر الروسية سارت مع عساكر النيمسا لمحاربة العساكر الإسلامية التي كانت تحت رئاسة الصدر الأعظم يوسف باشا وقبطان باشا حسين باشا ، فانتشب القتال بينهم وبين عساكر الدولة في البغدان وبقى نحو شهرين فحصلت هزيمة لعساكر الدولة واستولوا على أكثر مدافعهم ومهماتهم وبسبب ذلك عزل الصدر الأعظم يوسف باشا وأحيلت رتبة الصدارة إلى كتنخدا حسن باشا ، ثم عزل وصار بدله حجازي حسن باشا سنة ١٢٠٤ فتوفي وصار بدله شريف حسن باشا ، وأما عساكر الروسية فتقدموا أيضا في البلاد واستولوا على قلعة بلغراد وقلعة بندر واياتي الافلاق والصرب وكل المدن التي على شاطئ الطونة وكادوا يستولون على قلعة اسماعيل التي هي أعظم حصن في بلاد الدولة التي في تلك الجهات وبينما هم كذلك إذ حضر الخبر بموت امبراطور ألمانيا وكان متعاهداً مع ملكة الروسية على محاربة الدولة وجلس في مكانه

أخوه فانفصل عن معاهدة الروسية وعقد معاهدة مع الدولة العلية بواسطة انكلترا وبروسية وشرطوا عليه أن يرد للدولة ممالك الدولة التي افتتحتها النيمسا ، فرد لها كل الأراضي التي افتتحتها مع النيمسا وأبقى في يده روكزيم إلى حين تمام الصلح بين الدولة والروسية ، وسعى في عقد الصلح بين الروسية والدولة فلم تقبل ملكة الروسية كاترينا وكانت مواظبة على الحرب فتقدمت عساكرها إلى قلعة اسماعيل ، وأقامت الحصار عليها ، وكان في القلعة نحو ثلاثين ألفاً ، فمطمعوا عنهم الزاد والمهمات ، وصرخوا على عساكرهم للموت وإلا قلعة اسماعيل وهجمت عساكرهم على تلك القلعة وافتتحوها ، واشتد القتال بين الجيشين حتى ملأ القتلى خنادق تلك القلعة ، ولما هجم الليل صعدت العساكر على جثث القتلى ودخلوا القلعة وحاربوا فيها حرباً شديداً ، فكانت الذماء والأولاد يجمعون سلاح القتلى ويهجمون على عساكر المسلمين وما زالوا كذلك حتى قتل رئيس العساكر مع كل الذين كانوا دخلوا القلعة ولم ينج منهم إلا رجل واحد طرح نفسه في النهر وذهب إلى القسطنطينية وأعلمهم بأن الغلبة وقعت على عساكر الدولة لأنهم مكثوا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ والسيف دائر فيهم حتى أن الدم جرى كالسواقى وقتل من النساء والأطفال في تلك المعركة خمسة عشر ألفاً ، ولما وصل هذا الخبر إلى القسطنطينية هاجت العساكر هيجاناً عظيماً وطلبوا من الدولة رأس حسن باشا صدر أعظم قائد العساكر مع أنه كان من أعظم رجال زمانه في الحروب البرية والبحرية ولكن النصر من عند الله ولا أراد لقضاء الله وقدره ولأجل تسكين هذا الهيجان قتل حسن باشا وجيء لهم برأسه وأحيلت الصدارة إلى يوسف باشا الذي عزل سابقاً وبعد ذلك تقدمت عساكر لروسية وقاتلت العساكر الإسلامية في الجهة الثانية من نهر الطونة وذلك في سنة خمس ومائتين وألف فتوسطت دولة الإنكليز والبروسية في الصلح فتم سنة ست ومائتين وألف على شروط وهي أن الروسية ترجع للدولة كل الأماكن التي فتحتها خلا أوكزاكوف والأراضي الواقعة بين بوغ وسليسترة حيث أقامت الملكة كاترينا مدينة أودسا سنة ألف ومائتين وسبع تذكراً لنصرها وهي مدينة شهيرة أكثر مكانها نصارى على البحر

الأسود سكانها نحو أربعين ألفاً ، ثم سعى السلطان سليم في ترقية أسباب تقدم بلاده وعمرانها وأرسل يطلب من فرنسا مهندسين أو معلمين صنائع وضباطاً إلى غير ذلك فبمنت له بجانب عظيم ثم أن العلاقات الودادية تكدرت معها لما استولت على مصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وأقاموا فيها إلى سنة ست عشرة فالتزمت الدولة العلية أن تشتهر حربها إلى أن أخرجتها من مصر بمعاوضة انكلترا وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

### ذكر في غزوة مدة السلطان سليم الثالث

وفي سنة ألف ومائتين وأربع عشرة وجه عمارة مع عمارة الروسية وفتحنا السبع الجزائر التي كانت لجمهورية البندقية ، وكانت فرنسا يومئذ متولية عليها وهذه هي المرة الأولى التي اتحد فيها هاتان الدولتان ، وفي سنة خمس عشرة صار الاتفاق أيضاً بين الدولتين المشار إليهما في صيرورة الجزائر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزائر وفي سنة سبع عشرة ومائتين وألف عقدت معاهدة صلح بين الدولة العلية وفرنسا .

### ذكر غزوة إلى بلاد الروسية

وفي سنة إحدى وعشرين اتفقت الدولة مع فرنسا على حرب الروسية فكان ذلك داعياً لتعكيرها مع انكلترا إلا أنها كانت تسعى في ملاشات شوكة نابليون امبراطور فرنسا ولكن لم تستطع انكلترا أن تمنع السلطان سليما من محاربة الروسية لأن جيوش الروسية كانت تجاوزت الحدود ودخلوا الأفلاق والبغدان وذلك مخالف للعهد ، فاضطر السلطان سليم أن يحافظ على بلاده ويدافع عن حقوقه فجهز الجيوش وأرسلها تحت قيادة الصدر الأعظم مصطفى باشا جلبي ومصطفى باشا البيرقدار إلى الأقليمين المذكورين فخاربوا الروسية ومنعوا تقويهم على الأراضي العثمانية ولما أيست انكلترا من إيقاع المنافرة بين الدولة العلية وفرنسا سارت بمرأكبها إلى الإسكندرية وتملكوها فأخرجهم منها محمد علي



باشا حاكم مصر ، وكان من الأسباب في حضور الانكليز لأخذ الإسكندرية أن الصناجق  
الماليك الذين كانوا متغلبين على مصر كان بينهم وبين محمد علي باشا محاربات وشقتهم في  
الأرياف ، فأرسل كبيرهم محمد بك الألفي للانكليز يستنجد بهم فحضرت مراكبهم في  
نفر الاسكندرية في أول محرم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف وعدتها اثنان وأربعون  
مركباً مشحونة بالمساكر ، وضربو على الاسكندرية بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر  
فهدموا جانباً من البرج الكبير ، وكذلك الأبراج الصفار والسور فعند ذلك طلب أهل  
الاسكندرية الأمان فرفعوا عنهم الضرب ، ودخلوا البلد ثم سيروا جيشاً منه إلى رشيد  
فدخلوها ثم نار عليهم أهل رشيد وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فرجع الباقون إلى الاسكندرية  
منهزمين ، واستعد محمد علي باشا لمحاربتهم وإخراجهم من الاسكندرية وشرع في تعمیر  
القلع واستنفر كافة الناس لقتالهم واستمر الحال إلى أواخر جمادى الآخرة من السنة  
المذكورة وتوجه محمد علي باشا لمساكره إلى جهة البحيرة والاسكندرية وحصل بينه  
وبين الإنكليز الذين في الاسكندرية مكاتبات ثم انعقد بينه وبينهم صلح على شروط  
فخرجوا من الاسكندرية وأخلوها في أوائل رجب من السنة المذكورة أعني سنة اثنتين  
وعشرين وتفصيل القصة طويل وهذا حاصلها بالاختصار وكان محمد بك الألفي الذي  
استنجد بهم قد مات قبل مجيئهم إلى الإسكندرية وفي هذه السنة أيضاً كانت فتن كثيرة  
بدار السلطنة وخلصوا السلطان سليمان وقصة ذلك سنذكر ملخصها لكن ينبغي أن يقدم  
قبل ذلك ذكر أشياء كانت في مدة السلطان سليم المذكور منها فتنة الوهابية بالحجاز وفتنة  
الفرنسيس عند دخوله مصر ولنبدأ بذكر فتنة الوهابية لأن مبدأها متقدم على فتنة  
الفرنسيس وإن كان منتهىها متأخراً .

### ذكر فتنة الوهابية وتملك الفرنسيين مصر

اعلم أن السلطان سليمان الثالث حدث في مدة سلطنته فتن كثيرة منها ما تقدم ذكره  
ومنها فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج

الشامى والمصرى ومنها فتنة الفرنسيين لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة سنة  
ست عشرة واندكر ما يتعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لأن كلا منهما مذکور  
تفصيلا فى التواريخ وأفرد كل منهما بتأليف رسائل مخصوصة ، أما فتنة الوهابية فكان  
ابتداء القتال فيها بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد وهو نائب من  
جهة السلطنة العلية على الافطار الحجازية وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد  
المائتين والألف وكان ذلك فى مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث ابن السلطان  
مصطفى الثالث ابن أحمد ( وأما ابتداء أول ظهور الوهابية ) فكان قبل ذلك بسنين  
كثيرة وكانت قوتهم وشوكتهم فى بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع  
ملكهم وقتلوا من الخلائق ما لا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم وكان مؤسس  
مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بنى تميم وكان من المعمرين  
فكاد يعد من المنظرين لأنه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم ، كانت ولادته  
سنة ألف ومائة وإحدى عشرة وهلك سنة ألف ومائتين وأرخه بعضهم بقوله :

( بدا هلاك الخبيث ) ١٢٠٦

وكان فى ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام  
وكان أبوه رجلا صالحا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشايخه  
يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته فى كثير  
من المسائل ، وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراسمهم فيه لما ابتدع  
ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذى أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل  
بذلك إلى تكفير المؤمنين فزعم أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالأنبياء  
والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وأن نداء النبي صلى الله عليه وسلم عند التوسل  
به شرك وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وأن  
من أسند شيئا لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلى يكون مشركا نحو نفعى هذا الدواء  
وهذا الولي الفلانى عند التوسل به فى شىء وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئا من مرامه وآتى

بعبارات مزورة زخرفها ولبس بها عل العوام حتى تبعوه وألف لهم في ذلك رسائل حتى  
اعتقدوا كفرة أكثر أهل التوحيد ، واتصل بأمرأء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم  
حتى نصره وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا  
على الأعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا جنداً لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون  
أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال ، وكان ابتداء  
ظهور أمره سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة  
وألف . وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه  
وكان ممن قام بنصرته وانتشار دعوته من أمرأء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية  
وكان من بني حنيفة قوم مسلمة الكذاب ، ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبدالعزيز  
ابن محمد بن سعود ، وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون سيضل هذا  
أو يضل الله به من أبعده وأشقاءه فكان الأمر كذلك وزعم محمد بن عبد الوهاب أن  
مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبري من الشرك وأن الناس كانوا  
على شرك منذ ستمائة سنة وأنه جدد للناس دينهم وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في  
المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ  
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالاً يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مَنْ  
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة : فقال محمد بن  
عبد الوهاب من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين  
أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات وجعل  
زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك وقال  
في قوله تعالى حكاية عن المشركين في عبادة الأصنام ما نعبدهم إلا لتقربونا إلى الله زلفى  
إن المتوسلين مثل هؤلاء للشرقين الذين يقولون ما نعبدهم إلا لتقربونا إلى الله زلفى قال :  
فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى

بدليل قوله تعالى ﴿وَلَنْ سَأَلَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَنْ سَأَلَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ مما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ليقتربونا إلى الله زلفى فهو لاء مثلهم ، ومما ردوا به عليه في الوسائل المؤلفة للرد عليه أن هذا استدلال باطل فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل أنهم يعتقدون أنهم عبيد الله مخلوقون ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وإن كانوا يعتقدون أنها لا تخلق شيئاً وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الأنبياء والأولياء استحقاق العبادة والألوهية ولا يعظمونها تعظيم الربوبية بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم وبيرواهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى ، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة فاعتقاد المسلمين أن الخالق الضار النافع المستحق العبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه وأن الأنبياء والأولياء لا يخلقون شيئاً ولا يملكون ضراً ولا نفعاً وإنما يرحم الله العباد ببركتهم فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والألوهية هو الذي أوقفهم في الشرك لا مجرد قولهم ما نعبدكم إلا ليقتربونا إلى الله لأنهم لما أقامت عليهم الحجة بأنهم لا تستحق العبادة وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتبرين ما نعبدكم إلا ليقتربونا إلى الله زلفى فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الأصنام فجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاص بالكفار والمشركين ولا يدخل فيه أحد من المؤمنين روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فعملوها على المؤمنين وفي رواية عن ابن عمر أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسيل وغيره شركاً ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها

ففي الأحاديث الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه « اللهم إني أسألك بحق  
السائلين عليك » وهذا توسل لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه وبأمرهم  
بالإتيان به وبسط ذلك طويل مذكور في الكتب وفي الرسائل التي في الرد على ابن  
عبد الوهاب وضح عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله  
عنها أخطأها صلى الله عليه وسلم في القبر بيده الشريفة وقال « اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت  
أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم الراحمين » وضح  
أنه صلى الله عليه وسلم سأله أعمى أن يرد الله بصره بدعائه فأمر بالطهارة وصلاة ركعتين ثم  
يقول « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي  
في حاجتي لتقضى اللهم شفعمه في » ففعل فرد الله عليه بصره وضح أن آدم عليه السلام توسل  
بنبينا صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة لأنه لما رأى اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوباً  
على العرش وعلى غرف الجنة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله له هذا ولد من أولادك  
لولا ما خلقتك ، فقال اللهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الولد فنودي يا آدم أو تشفعت  
إلينا بمحمد في أهل السماء والأرض لشفعناك وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنه  
لما استسقى الناس ، وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بذكره والتوسل الذي  
في حديث الأعمى قد استعمله الصحابة والسلف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه لفظ  
يا محمد وذلك نداء عند التوسل ومن تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيئاً كثيراً من  
ذلك كقول بلال بن الحارث الصحابي رضي الله عنه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول  
الله استسقى لأمتك كالفداء الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور ومن ألف  
في الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف  
جواشي شرح ابن حجر على متن بافضل فقال من جملة كلامه يا ابن عبد الوهاب إني  
أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير  
ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبى له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن  
أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين ، وأنت

شاذ عن السواد الأعظم فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لانه اتبع غير  
سبيل المؤمنين قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ  
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ وإنما يأكل الذئب من الغنم  
القاصية اه وأما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة رضی الله عنهم ومن  
بعدهم من السلف والخلف وجاء من فضلها أحاديث أفردت بالتأليف ومما جاء في النداء لغير  
الله تعالى من غائب وميت وجماد قوله صلى الله عليه وسلم «إذ أفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة  
فليناد يا عباد الله أحبسوا فإن لله عبادةً يجيبونه» وفي حديث آخر «إذا أضل أحدكم شيئاً  
أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني  
فإن لله عبادةً لا ترونهم» وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض  
ربي وربك الله وكا صلى الله عليه وسلم إذا زار قال السلام عليكم يا أهل القبور وفي التشهد  
الذي يأتي به كل مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله السلام عليك أيها النبي والحاصل  
أن النداء والتوسل ليس في شيء منهما ضرر إلا إذا اعتقد التأثير لمن ناداه أو توسل به  
ومتى كان معتقداً أن التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر في ذلك وكذلك إسناد فعل من  
الأفعال لغير الله لا يضر إلا إذا اعتقد التأثير ومتى لم يعتقد التأثير فإنه يحمل على المجاز  
العتلي كقوله نفعي هذا الدواء أو فلان الولي فهو مثل قوله : أشبعني هذا الطعام ، وأرواني  
هذا الماء ، وشفاني هذا الدواء فتى صدر ذلك من مسلم فإنه يحمل على الإسناد المجازي  
والإسلام قرينة كافية في ذلك فلا سبيل إلى تكفير أحد بشيء من ذلك ويكفي هذا الذي  
ذكرناه إجمالاً في الرد على أبي عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام فليرجع إلى الرسائل  
المؤلفة في ذلك وقد تلخصت ما فيها في رسالة مختصرة فلينظرها من أرادها ، ولما قال  
ابن عبد الوهاب ومن أعانته بدعوتهم الخبيثة التي كفروا بسببها المسلمين ملكوا قبائل  
الشرق قبيلة بعد قبيلة ، ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم  
قريباً من الشام فإن ملكهم وصل إلى المزريب وكانوا في ابتداء أمرهم أو سلوا جماعة من  
علمائهم ظناً منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب

والمن ، فلما وصلوا إلى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدكم وما تملكوا به رد عليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنقرة فرت من قسورة ونظروا إلى عقائدكم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرها بتلك العقائد ايشتهر بين الناس أمرهم ، فيعلم بذلك الأول والآخر ، وكان ذلك في مدة إمارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفى سنة خمس وستين ومائة وألف ، وأمر بحبس أولئك الملحدة فحسبوا وفر بعضهم إلى الدرعية فأخبرهم بما شاهدوا فازدادوا عتواً واستكباراً وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج فصاروا يغيرون على بعض القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكة ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والألف ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة قتل فيها خلائق كثيرون ولم يزل أمرهم يقوى وبدعتهم تنشر إلى أن دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة . وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهلها في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ، ثم تملكوه وقتلوا أهلها رجالاً ونساء وأطفالاً ولا نجا منهم إلى القليل ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا السير إلى مكة فعدوا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم إليها الحاج الشامي والمصري فيخرج الجميع لقتالهم فكثروا في الطائف إلى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج إلى بلادهم وساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل إلى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا إليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشر بعد المائتين والألف ومكثوا أربعة عشر يوماً يستتيبون الناس ويجددون لهم الإسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون أنه شرك كالتموسل وزيارة القبور ، ثم ساروا بجيوشهم إلى

جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقنابل فقتل كثيراً منهم ولم يقدرُوا على تملك جده فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا إلى بلادهم وجعلوا لهم عسكرياً بمكة وأقاموا لهم أميراً فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب وإمام قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم ، وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والى جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهما العساكر فوصلوا إلى مكة وأخرجوا من كان بها من عساكر الوهابية ورجعت إمارة مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطائف بأيديهم وجعلوا عليه أميراً عثمان المضابني فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي في أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم في طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه قاصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشددوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لشدة الغلاء وعدم وجود القوات فاضطر الشريف غالب إلى الصلح معهم وتأمين أهل مكة فوسط أناساً بينه وبينهم ففقدوا الصلح على شروط فيها رفق بأهل مكة فمن تلك الشروط أن إمارة مكة تكون له فتم الصلح ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وانتهبوا الحجر وأخذوا ما فيها من الأموال وفعلوا أفعالاً شنيعة وجعلوا على المدينة أميراً منهم مبارك بن مضيان واستمر حكمهم في الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحج الشامي والمصري مع الحامل مكة وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوباً من العباء القيلان الأسود وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم ومنعوا من شرب التبنك ومن فعل ذلك وأطعموا عليه عزروه بأقبح التعزير وهدموا القباب التي على قبور الألياء وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير وشدة قتال مع النصاري وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، ثم صدر الأمر السلطاني لصاحب مصر محمد علي باشا



بالتجهيز لقتال الوهابية وكان ذلك في سنة ١٢٢٦ فجهز محمد علي باشا جيشاً فيه عساكر كثيرة جعل عليهم بفرمان سلطان ولده طوسون باشا فخرجوا من مصر في رمضان من السنة المذكورة ولم يزالوا سائرين براً وبحراً حتى وصلوا إلى ينبع فلكوه من الوهابية ، ثم لما وصلت العساكر إلى الصفراء والحديدة وقع بينهم وبين العرب الذين في الحربية قتال شديد بين الصفراء والحديدة وكانت تلك القبائل كلها في طاعة الوهابي وانضم إليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش وقتلوا كثيراً منهم واتهبوا جميع ما كان معهم وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٢٦ ولم يرجع من ذلك الجيش إلى مصر إلا القليل فجهز حسناً غيره سنة سبع وعشرين وعزم محمد علي باشا على التوجه إلى الحجاز بنفسه وتوجهت العساكر قبله في شعبان في غاية القوة والاستعداد وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعا وثلاثة قنابل فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا الصفراء والحديدة وغيرها في رمضان بلا قتال بل بالخداعة ومصانعة العرب بإعطاء الدرام الكثيرة حتى أنهم أعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال وأعطوا شيخاً من صفار مشايخ حرب أيضاً ثمانية عشر ألف ريال ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر ، وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو في الظاهر تحت طاعة الوهابي وأما المرة الأولى التي هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب في ذلك حتى يكون الأمر بتدبيره ودخلت العساكر المدينة المنورة في أواخر ذي القعدة ، ولما جاءت الأخبار إلى مصر صنعوا زينة ثلاثة أيام وأكثروا من الشنك وضرب المدافع وأرسلوا بشار لجميع ملوك الروم واستولت العساكر السائرة من طريق البحر على جدة في أوائل المحرم سنة ثمان وعشرين ثم طلّعوا إلى مكة واستولوا عليها أيضاً ، وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف سراً ولما وصلت العساكر إلى جدة فر من كان بمكة من عساكر الوهابية وأمرائهم ، وكان سعود أمير الوهابية حج في سنة سبع وعشرين ثم ارتحل إلى الطائف ، ثم إلى الدرعية ولم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية على المدينة إلا بعد ذلك ثم لما وصل إلى الدرعية علم باستيلائهم على مكة ثم الطائف ولما وصلت العساكر إلى جدة

ومكة فر من الطائف أميرها عثمان المضايقي وفر من كان بها من عساكر الوهابية وأمرائهم  
وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وعشرين أرسل محمد علي باشا مبشرين إلى دار السلطنة  
ومعهم المفاتيح وكتبوا إليهم أنها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار  
السلطنة بموكب حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة وأمامهم البخورات  
في مجامر الذهب والفضة وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك زينة وشفكا ومدافع  
وخاصوا على من جاء بالمفاتيح وزادوا في رتبة محمد علي باشا وبعثوا له أطواخاً وعدة  
أطواخ بولايات لمن يختار تقليده ، وفي شهر شوال سنة ثمان وعشرين توجه محمد علي باشا  
بنفسه إلى الحجاز وقيل توجهه من مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايقي الذي  
كان أميراً على الطائف للوهابية ، وكان من أهل أكبر أعوانهم وأمرائهم فزجره بالحديد  
وبعثه إلى مصر فوصل في ذي القعدة بعد توجه الباشا إلى الحجاز ثم أرسل إلى دار  
السلطنة فقتلوه ووصل محمد علي باشا في ذي القعدة إلى مكة وقبض على الشريف غالب  
ابن مساعد وبعثه إلى دار السلطنة وأقام لشرافة مكة ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور  
ابن مساعد ، وفي شهر محرم من سنة ٢٩ بعثوا إلى السلطنة مبارك بن مضيان الذي كان  
أميراً على المدينة المنورة للوهابية فطافوا به في القسطنطينية في موكب ايراه الناس ثم قتلوه  
وعلقوا رأسه على باب السرايا وفعل مثل ذلك بعثمان المضايقي وأما الشريف غالب فأرسلوه  
إلى سلانيك وبقى بها مكرماً إلى أن توفي سنة إحدى وثلاثين ودفن بها وبني عليه قبة  
تزار ومدة إمارته على مكة ست وعشرون سنة ثم أن محمد علي باشا وجه كثيراً من  
العساكر إلى تربة وبيشة وبلاد غامد وزهران وبلاد عسير لقتال طوائف الوهابية وقطاع  
ديارهم ثم سار بنفسه في أترم في شعبان سنة تسع وعشرين ووصل إلى تلك الديار وقتل  
كثيراً منهم وأسر كثيراً وخرب ديارهم ، وفي شهر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين  
هلك سعود أمير الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبد الله ورجع محمد علي باشا من تلك  
الديار التي وصلها من ديار الوهابية عند إقبال الحج وحج ومكث بمكة إلى رجب سنة  
ثلاثين ثم توجه إلى مصر وترك بمكة حسن باشا ووصل الباشا إلى مصر في منتصف رجب

سنة ثلاثين ومائتين وألف فتكون إقامته بالحجاز سنة وسبعة أشهر ، وما رجع إلى مصر إلا بعد أن مهد أمور الحجاز ، وأباد طوائف الوهابية التي كانت منتشرة في جميع قبائل الحجاز والشرق وبقي منهم بقية بالدرعية أميرهم عبد الله بن مسعود فجهز محمد علي باشا لقتاله جيشاً وأرسله تحت قيادة ابنه إبراهيم باشا ، وكان عبد الله بن مسعود قبل ذلك تكتاب مع طوسون باشا بن محمد علي باشا حين كان بالمدينة وعقد معه صلحاً على بقاء إمارته ودخوله تحت طاعة محمد علي باشا فلم يرض محمد علي باشا بهذا الصلح فجهز ولده إبراهيم باشا وجعل أمر العساكر إليه ، وكان ابتداء ذلك في أواخر سنة إحدى وثلاثين فوصل إلى الدرعية سنة اثنتين وثلاثين ونازل بجيوشه عبد الله بن مسعود ووقع بينهما وقائع وحروب يطول ذكرها إلى أن استولى على عبد الله بن مسعود في ذي القعدة سنة ١٢٣٣ ، ولما جاءت الأخبار إلى مصر ضربوا لذلك ألف مدفع وفعلوا شنكا وزينوا مصر وقراها سبعة أيام ، وكان محمد علي باشا له اهتمام كبير في قتال الوهابية وأنفق في ذلك خزائن من الأموال حتى أخبر بعض من كان يباشر خدمته أنهم دفعوا في دفعة من الدفعات لأجرة تحميل بعض الذخائر خمسة وأربعين ألف ريال هذا في مرة من المرات كان ذلك الحمل من ينبع إلى المدينة عن أجرة كل بعير ست ريال دفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة وعند وصول الحمل من المدينة إلى الدرعية كان أجر تلك الحملة فقط مائة وأربعين ألف ريال وقبض إبراهيم باشا على عبد الله بن مسعود وبعث به وكثير من أمرائهم إلى مصر فوصل في سابع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وصنعوا له موكباً حافلاً يراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم الناس للتفرج عليه ، ولما دخل على محمد علي باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه ، وقال له الباشا ماهذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابني إبراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره الله تعالى فقال له الباشا أنا أترجي فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف إلى بيت اسماعيل باشا بيولاقي ، وكان بصحبة عبد الله بن مسعود صندوق صغير مصفح فقال الباشا له . ماهذا ؟ فقال هذا ما أخذه أبي

من الحجرة أصحبه معى إلى السلطان ، فأمر الباشا بفتحها فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم ير الراؤون أحسن منها ومعها ثلاثمائة حبة من اللؤلؤ الكبار و حبة زمرد كبيرة وشريط من الذهب ، فقال له الباشا الذى أخذتموه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذى وجدته عند أبى فإنه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل أخذه العرب وأهل المدينة وأغاوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك ثم أرسلوا عبد الله بن سعود إلى دار السلطنة ورجع إبراهيم باشا من الحجاز إلى مصر فى شهر المحرم من سنة ٣٥ بعد أن أخرج الدرعية خراباً كلياً حتى تركوا سكنها ولما وصل عبد الله بن سعود إلى دار السلطنة فى شهر ربيع الأول طافوا به البلد ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضاً فى نواح متفرقة هذا حاصل ما كان فى قصة الوهابى بغاية الاختصار ولو بسط الكلام فى كل قضية لطل ، وكانت فتنهم من المصائب التى أصيب بها أهل الإسلام فإنهم سفكوا كثيراً من الدماء واتهبوا كثيراً من الأموال وعم ضررهم وتطايير شررهم فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وكثير من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فيها التصريح بهذه الفتنة كقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيامم التحليق » وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها فى صحيح البخارى وبعضها فى غيره لا حاجة لنا إلى الإطالة بنقل تلك الروايات ولالذكر من خرجها لأنها صحيحة مشهورة مفتى قوله سيامم التحليق تصريح بهذه الطائفة لأنهم كانوا يأمرون كل من اتبعهم أن يخلق رأسه ولم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء ، وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتى زبيد يقول لا حاجة إلى التأليف فى الرد على الوهابية بل يكفى فى الرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم سيامم التحليق فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم واتفق مرة أن امرأة أقامت الحججة على ابن الوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت ، أمرها ابن عبد الوهاب أن تخلق رأسها فقالت له حيث أنك تأمر المرأة بخلق رأسها ينبغى لك أن تأمر الرجل بخلق لحيته لأن شعر رأس المرأة

زيفتها وشعر لحية الرجل زيفته فلم يجد لها جوابا ومما كان منهم أنهم يمنعون الناس من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم مع أن أحاديث شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لأمته كثيرة متواترة وأكثر شفاعته لأهل الكبراء من أمته وكانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذكرها كثير من أوصافه الكاملة ويقولون أن ذلك شرك ويمنعون من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على المنابر بعد الأذان حتى أن رجلا صالحاً كان أعمى ، وكان مؤذنا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان بعد أن كان المفع منهم ، فأتوا به إلى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل ولو تتبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك للملات الدفاتر والأوراق وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ذكر قتل الصناجق المماليك المتغلبين على مصر

اعلم أن المماليك المذكورين كانوا متغلبين على مصر ، فلما تمكن محمد علي باشا من المماليك المصرية احتال عليهم وقتلهم سنة ست وعشرون ومائتين بعد الألف وكانوا هم وعساكرهم وأتباعهم كثيرون وما زالوا يعارضون محمد علي باشا في كثير من شؤونه وهو يداهم ويتحذر منهم فلما جاء الأمر السلطاني بتوجهه إلى الحجاز لمحاربة الوهابي طلب من الدولة أن يأتيه فرمان بولاية ولده طوسون باشا صارى عسكر على العساكر التي يريد أن يرسلها إلى الحجاز فجاءه فرمان سلطاني بذلك فجعل ذلك وسيلة إلى جمع الصناجق وعساكرهم في القلعة لقراءة فرمان المذكور وخروجهم بالألأى الحافل مع ابنه المذكور إلى العرض الخارج للحجاز المنتصب خارج مصر عند قبة العرب فنبه على العساكر الصناجق في الحضور إلى القلعة في الثالث من شهر صفر في الساعة الرابعة من النهار ورتب في القلعة عساكر خاصة بهم وجعلهم في الأبراج والمساكن التي في القلعة وأمر البواب للقلعة أنهم إذا استكمل دخولهم يفلق الباب ، وأمر العساكر الخاصة به الذين رتبهم في القلعة أن يقتلوا كل من دخل منهم بعد غلق باب القلعة ففعلوا ذلك وصار القتل فيهم من وقت الضحى إلى غروب الشمس فقتل منهم خلقاً كثيراً ثم تتبع الباقين منهم في مصر وبقية

الأرياف بالقتل حتى أبادهم عن آخرهم وذلك شيء كثير وعدد وفير والقصة طويلة لكن هذا حاصلها وتم له انتظام ملكه من غير معارض بعد أن قتلهم وكانت ولايته مصر سنة ٢٠ واستمر فيها إلى سنة ١٢٦٤ وكان في الأصل من العساكر الذين جاؤا مع يوسف باشا لما أخرج الفرنسيين من مصر سنة ١٦ وأصله من بلاد قوله وجنسه من الأرنؤوط. فلما كان محاربة يوسف باشا الفرنسيين قاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة في تلك الحروب، ثم ترقى في مدة قصيرة إلى رتبة قائم مقام إلى أن تقلد زمام أحكام الديار المصرية سنة ١٢١٩ ولما خرج الفرنسيين من مصر ودخلها يوسف باشا ثم سافر يوسف باشا وأقامت الدولة وزيراً لمصر والياً عليها الوزير محمد خسرو باشا واستمر إلى المحرم سنة ١٨ فوقع بينه وبين العساكر فتنة بسبب طلب مرتباتهم وجوامقهم واتسعت الفتنة حتى أخرجوا الوزير المذكور من مصر واتفق على تولية طاهر باشا قائم مقام بمصر إلى أن يأتي الأمر من الدولة بتولية غيره فألبسه القاضي فرواً سموراً وكان الرئيس الثائر في تلك الفتنة محمد علي باشا ثم بعد ٢٦ يوماً ثاروا على طاهر باشا فقتلوه وكان قد حضر من دار السلطنة إلى مصر أحمد باشا والياً على المدينة المنورة فولاه أهل مصر عليهم بعد قتل طاهر باشا فلم يدعن لذلك محمد علي وقال أن أحمد باشا لم يكن والياً على مصر وإنما هو وال على المدينة المنورة وإنما ولينا قبله طاهر باشا لكونه كان محافظاً للديار المصرية من الدولة العملية فله شبهة في التولية، وأما أحمد باشا فليس له تعلق بمصر فهو يخرج خارج مصر وتجهزه بالعساكر ويتوجه إلى محل ولايته ثم اشتدت الفتنة وانتشرت بين العساكر إلى أن أخرجوا أحمد باشا فكانت مدة ولايته بمصر يوماً وإيلة ثم نادى مناد بتسكين الناس وتأمينهم وأن الأمر يكون لإبراهيم بك كبير الصناجق وحاكم الولاية وأشر كوا معه محمد علي وقبضوا على الدفتردار وقطعوا رأسه، ثم قامت العساكر على إبراهيم بك لطلب جوامقهم وانتشرت الفتنة وأرادوا قتل إبراهيم بك ونهبوا داره فهرب فقوى أمر محمد علي وصار الحل والعقد بيده ثم جاءت الأخبار من دار السلطنة بولاية مصر لأحمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية ووصل مصر في ذي الحجة سنة ثمان عشرة، وبعد وصوله طلب من الناس أموالاً جزيلة تكون معجزة عما

يلزم الناس من خراج مصر ، فاشتد الأمر على الناس وارتفعت الأسعار وأغلقت الدكاكين والأسواق واجتمع الأطفال بالجامع الأزهر وصعدوا إلى المنابر يصرخون ويتضرعون ويقولون بالطيف فسمعهم الباشا وهو في القلعة ، فأرسل إلى نقيب الأشراف إنا قد رفضنا عن الناس ما كنا طلبناه وأما إبراهيم بك ومن معه من الأمراء الذين أخرجوهم من مصر فإنهم جمعوا جموعاً من الأرياف وجاءوا لقتال الباشا ومن معه بمصر فخرج إليهم بالمساركة ووقع القتال واشتد الأمر وتقطعت الطرق وشرح ذلك كله بطول ثم جاء أمر من الدولة لمحمد علي بولاية جده فألبسه الباشا فرواً ولما خرج يريد الركوب ثارت على محمد علي العساكر وطلبوا منه العلوقة فقال لهم ها هو الباشا عندكم وركب هو إلى داره وصار ينثر الذهب على الناس في الطريق وأمسك العساكر أحمد باشا ومنعوه من الركوب إلى بعد المغرب ، ثم لطفهم وركب وأشيع بين الناس أنهم حبسوه وهو قد ذهب إلى القلعة ثم أشيع أنه يريد وضع فردة على الناس فهاج الناس واجتمع كثير من الناس عند بيت القاضي وصاروا يصرخون بقولهم شر الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ومنهم من يقول يامتجلى اهلك العثملي ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ومنهم من يقول لا نريد هذا الباشا حاكماً علينا لا بد من عزله وذهبوا إلى بيت محمد علي يقولون ذلك فقال لهم ومن تريدون أن يكون والياً عليكم فقالوا لا نرضى إلا بك لما نتوسم فيك من العدالة والخير فامتنع أولاً ثم رضى فأحضر واليه كركا وقام السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والشيخ الشرقاوي فألبساه ونادوا بذلك في البلد وذلك يوم الاثنين سادس صفر سنة عشرين ومائتين وألف ونادوا في مصر بولايته وأرسلوا الخبر إلى أحمد باشا فقال إني متول من السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ولا أنزل من القلعة إلا بأمر السلطان فكتب الناس سؤالاً وكتب عليه المفاتيح وحكموا بعزله وصحة تولية محمد علي باشا وحضروا في بيت القاضي فحكم بتمتضي ذلك واستمر أحمد باشا في القلعة وأراد الحرب والتمتال مع أهل مصر فحاصروه في القلعة أياماً إلى أن أخرجوه منها وحصل بينه وبين العلماء كلام كثير وقال لهم كيف تعزلون من ولاء السلطان عليكم وقد قال الله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

الأمر منكم فقالوا أولى الأمر هم العلماء وجرت العادة من القديم أن أهل البلد يعزلون الولاية حتى السلطان إذا جار عليهم يخلعونه والقصة طويلة جداً بطول الكلام بذكرها وطال الأمر بينهم إلى أن جاء الأمر السلطاني بولاية محمد علي باشا وإقرار ما فعله العلماء وأهل مصر في شهر ربيع الثاني فتم الأمر لمحمد علي باشا حتى كان من أمره ما كان وأكثر ما تقدم ذكره من القيام على الباشوات الذين تولوا مدة هذه الفتنة كان بتدبير محمد علي باشا وترتيبه ولم يزل في ترق وعلا وارتفاع حتى حارب السلطان محمود وملك عكا والشام فلما توفي السلطان محمود انعقد الصلح بينه وبين السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين وألف وترك الشام والحجاز وأعطوه ولاية الأقطار المصرية مؤيدة له ولأولاده ، وجملوا عليه خراجا معلوم يدفعه كل سنة واستمر إلى سنة أربع وستين فأصابه مرض اختل به عقله فولى ابنه إبراهيم باشا في حياة أبيه فكانت مدة ولاية محمد علي باشا نحو خمس وأربعين سنة واستمر ابنه إبراهيم باشا نحو سنة ثم توفي فولى عباس باشا ابن طوسون باشا بن محمد علي باشا واستمر إلى سنة سبعين فتوفي مقتولا ثم ولي سعيد باشا ابن محمد علي باشا وتوفي سنة تسع وسبعين ثم ولي إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا وخلع سنة ست وتسعين وولى ابنه محمد توفيق باشا وهو الموجود الآن ، وإنما ذكرنا هذا كله استطراداً تكميلاً للفائدة ليتصل الكلام ببعضه ببعض .

### ذكر استيلاء الفرنسيين على مصر

كانت مصر قبل أن تملكها الدولة العثمانية بيد ملوك الجراكسة وكان لهم كثير من الممالك الذين هم أيضاً من الجراكسة ومن غيرهم من الترك ، فلما تملك الدولة العثمانية مصر لم تنزل الممالك باقية وفي كل وقت يزدادون حتى بلغوا غاية الكثرة وكان منهم أمراء ورؤساء فصارت لهم عصبية قوية فتغلبوا على الأملاك والأراضي والأطيان والمحصولات والخراجات والجمارك ، وكانوا إذا جاء الباشا المتولى على مصر من الدولة العلية ينقادون في الظاهر وفي الباطن هم متغابون ، فكانوا يبقونه إذا أرادوا ويعزلونه إذا أرادوا ولا يصل إلى الدولة العلية من محصولات مصر إلا القليل والباقي بأيديهم ، وكان لهم رؤساء وعليهم أمير كبير تحت أمر الوزير المتولى من السلطنة صورة وظاهراً



فقط ، فلما تغلبوا هذا التغلب كثر منهم الظلم والعدوان على المسلمين وغيرهم من طوائف  
النصارى واليهود فيتعبدون كثيراً عليهم لاسيما على تجارهم فكانت الدولة العلية مشتغلة  
عنهم بكثرة الحرب مع النصارى فطمع الفرنسيين في تملك مصر وإبعاد هؤلاء المماليك  
المتغلبين وأوهوا على المسلمين أنهم يريدون تخليص مصر منهم وبقاء الحكم فيها للدولة  
العلية فجهز الفرنسيين عليها جيوشه بالسرا والسكمان من غير اطلاع أحد على ذلك وجاءهم  
بغفلة فتملكها على الوجه الآتي ذكره وكان ذلك في شهر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين  
وألف ، وكان الوزير المتولى على مصر من السلطنة العلية في تلك السنة هو أبو بكر باشا  
الطرابلسي كانت ولايته من سنة إحدى عشرة ومائتين وألف وكان للمماليك المتغلبين  
على مصر أميران رئيسان على جميعهم وهما إبراهيم بك ومراد بك كان تحت طوعهما جميع  
الصناجق والعساكر ، فلما شاعت الأخبار بقدم الفرنسيين للاستيلاء على مصر خرج من  
مصر الوزير المتولى من السلطنة العلية وهو أبو بكر باشا المتقدم ذكره وتوجه إلى غزة ،  
ثم منها إلى دار السلطنة وتوجه من مصر يوم السبت سابع شهر صفر من السنة المذكورة  
وبقيت مصر بيد إبراهيم بك ومراد بك وصنماجقهما والأمراء والعساكر التي تحت أيديهما  
وكان أهل مصر عند خروج أبي بكر باشا من مصر وقبل خروجه بأيام يسمعون إشاعات  
عن مسير الفرنسيين إلى تملك مصر ولم يثقوا على حقيقتها ، فلما كان العشرون من المحرم  
من سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وصلت مراكب للفرنسيين مشحونة بالعساكر  
وآلات الحرب وتقاتل من كان فيها من العساكر مع أهل الاسكندرية ولم يكن أهل  
الاسكندرية مستعدين لقتالهم فلم يقدروا على دفعهم لاسيما وقد جاءوهم بغفلة فقاتلهم قليلا  
ثم طلبوا الأمان منهم فأمنوهم ودخلوا الاسكندرية وملكوها ، فلما جاء الخبر إلى مصر  
أخذ إبراهيم بك ومراد بك في الاستعداد لهم وأبرزوا جيشاً من العسكر إلى موضع يقال  
له الجسر الأسود وأخرجوا المدافع وآلات الحرب واضطربت الناس بمصر وكثر الهرج  
والمرج وتقطعت الطرق وارتفع السعر وكثر السراق ثم جاءهم مكتوب من الفرنسيين فيه  
بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه وبعد ذلك كلام

كثير من جملة أنى أعبد الله واحترم نبيه والقرآن العظيم وأنهم مسلمون (يعنون أنفسهم)  
مخلصون وإثبات ذلك أنهم نزلوا فى رومية الكبرى وخرّبوا فيها كرسي البابا الذى كان  
دائما يحث النصارى على محاربة أهل الإسلام ثم قصدوا مدينة مالطة وطرّدوا منها الذين  
كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة أهل الإسلام وكل ذلك من الكلام الذى  
كانوا يوهمون به على أهل الإسلام أنهم موحدون لله تعالى وأنهم يحبون أهل الإسلام  
ويحبون سلطانهم وأنهم إنما جاؤا لنصرة سلطان الإسلام وإبعاد الممالك المتغلبين على  
ممالكهم ودفع ظلمهم عن الرعية ومن جملة ما فى ذلك الكتاب خطابا للمسلمين وما جثتكم  
لإزالة دينكم وإنما قدمت إليكم لأخلص حقكم من يد الظالمين الصناجق الممالك الذين  
يتسلطون فى البلاد المصرية ويعاملون الملة الفرنساوية بالذل والصفار ويظلمون تجارهم  
ويؤذونهم بأنواع الإيذاء والتعدى ويأخذون أموالهم ويفسدون فى الإقليم الحسن الأحسن  
الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها مثله فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد  
حكم بانقضاء دولتهم وإنى أعبد الله سبحانه أكثر من الممالك واحترم نبيه والقرآن العظيم  
وقولوا لهم أن جميع الناس متساوون عند الله تعالى وأن الشيء الذى يفرقهم عن بعضهم هو  
العقل والفضائل والعلوم فقط وبين الممالك والعقل والفضائل تضارب فإذا يميزهم عن غيرهم  
حتى يستوجبوا أن يملكوا مصر وخدم ويختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجوارى  
الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة فإن كانت الأرض المصرية إلزاما للمالك فليرونا  
الحجة التى كتبها الله لهم ، ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى  
من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن  
اكتساب المراتب العلية فالعلماء والفضلاء والعقلاء منهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح  
حال الأمة كلها وسابقا كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتاجر  
المتكاثرة وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من الممالك أيها المشايخ والقضاة والأئمة  
وأعيان البلد قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ومع ذلك  
فالفرنساويون فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني

وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك إن المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير  
ممثلين لأمره فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون  
معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلوا مراتبهم طوبى أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير  
مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب لكن  
الويل ، ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقاً  
للخلاص ولا يبقى منهم أثر وأن جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع  
التي يمر بها عسكر فرنساوية فواجب عليها أن ترسل للسراي عسكر من عندها وكلاء  
كما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم فرنساوية الذي هو أبيض وأكحل  
وأحمر وأن كل قرية تقوم على العسكر فرنساوي تحرق بالنار وأن كل قرية تطيع العسكر  
الفرنساوي أيضاً تنصب صنابق السلطان العثماني محبنا دام بقاءه والواجب على المشايخ  
والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم وعلى كل أحد من أهالي البلد أن يبقى  
في مسكنه مطمئناً وتكون الصلاة تامة في الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم ينبغي  
أن يشكروا الله تعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله إجلال  
السلطان العثماني أدام الله إجلال العسكر فرنساوي لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة  
المصرية وعلى المشايخ في كل بلد أن ينجسوا حالاً على جميع الأرزاق والبيوت والأماكن  
التي للمماليك وعليهم الاجتهاد التام أن لا يضيع أدنى شيء منها . وفي التاسع والعشرين  
من محرم قدموا إلى مصر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا إلى الجيزة والتفوا  
عند بشتيل وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله أن المسلمين هزموا ففر مراد بيك ومن معه  
إلى الصعيد وفر إبراهيم بيك ومن معه في البر الشرقي إلى الشام وقيل لم يقع قتال كثير  
وإنما هي مناوشة من طلائع العسكر بحيث لم يقتل إلى القليل من الفريقين وكانت مراكب  
في البحر لمراد بيك فاحترقت بما فيها من الجبخانه والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس  
الطبجية واحترق ما فيها من المحاربين ، فلما عاين ذلك مراد بيك دخله الرعب وولى منهزماً  
وترك الأثقال والمدافع التي في البر وتبعته العساكر ، وركب إبراهيم بيك إلى ساحل

بولاق طرف البر الشرقى ورجع الناس منهزمين طالبين مصر فاجتمع الباشا والعلماء  
ورؤوس الناس يتشاورون في هذا الحادث العظيم ، فاتفق رأيهم على عمل متاريس من  
بولاق إلى شبرا ويتولى الإقامة ببولاق إبراهيم بيك وكشافته ومماليكه وقد كانت العلماء  
عند ابتداء هذا الحادث يجتمعون بالأزهر كل يوم ويقرأون البخارى وغيره من الدعوات ،  
وكذلك مشايخ الطرائق وأتباعهم وكذلك أطفال المكاتب ، ويدكرون اسم اللطيف  
وغيره من الأسماء ويوم الاثنين حضر مراد بيك إلى بر انبابه وشرع في عمل متاريس  
هناك ممتدة إلى بشتيل ، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمرأوه وكان معه في ذلك على باشا  
الطرابلسى ونصوح باشا وأحضروا للراكب الكبار والفلايين التى أنشأها بالجيزة وأوقفها  
على ساحل انبابه وشحنها بالصاكر والمدافع ، فصار البر الغربى والشرقى مملوءين بالصاكر  
والمدافع والمتاريس والخيالة والمشاة ، ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك فإنهم من  
وصول الخبر الأول لهم من الاسكندرية شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار  
المشهوره المعروفة إلى البيوت الصغار التى لا يعرفها أحد واستمروا طول الليالى ينقلون  
الأمته ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا  
أيضاً في تشييل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأسباب الارتحال ، فلما رأى أهل  
البلد منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفرع واستعد الأغنياء وأولوا المقدره للهرب  
ولولا أن الأمراء منعوم من ذلك لما بقى بمصر منهم أحد وفى يوم الثلاثاء نادوا بالنفير  
العام وخروج الناس للمتاريس فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبولاق  
فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لها  
خياماً أو يجلسون فى مكان خراب أو مسجد ويرتبون أمرهم فيمن بصرف لهم ما يحتاجون  
إليه من الدراهم التى جمعوها ويجعلون قبا عليهم يباشرون ذلك وبعض الناس يتطوع على  
بعض فى الانفاق ومن الناس من يجهز جماعة من المفاربه والشوام بالسلاح والأكل وغير  
ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم  
بانفاق أموالهم فلم يشح أحد فى ذلك الوقت بشيء يملكه ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت  
الفقراء وأرباب الأشرار بالطبول والزمور والأعلام والكلمات وهم يضحون ويضحون

بأذكار مختلفة ، وصعد السيد عمر مكرم نقيب الأشراف إلى القلعة ، فأخرج بيرقا كبيراً  
سمته العامة بيرق النبي صلى الله عليه وسلم فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه  
وحوله ألوف من العامة بالنبايت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم  
الطبول والزمور وغير ذلك ، وأما مصر فإنها صارت خالية الطرق لا تجد بها سوى النساء  
في البيوت وضعفاء الرجال الذين لا يقدرّون على الحركة وغلا سعر البارود والرصاص جداً  
بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفاً والرصاص بتسعين نصفاً ، وغلا جنس أنواع السلاح  
وقل وجوده وخزج معظم الرعايا بالنبايت والعصى ولمساوق وجلس مشايخ العلماء بزواوية  
على بيك ببولاق يدعون ويدهلون إلى الله تعالى بالنصر وأقام غيرهم من الرعايا بالبيوت  
والزوايا والخيام ، ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول إلى بولاق وأقام  
بها من حين أن نصب إبراهيم بيك العرضى هناك إلى وقت الهزيمة سوى القليل من الذين  
لا يجدون لهم مكاناً ولا مأوى فيرجعون إلى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون إلى بولاق  
وأرسل إبراهيم بيك إلى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا من المقدمة بنواح  
شبرا وما والاها وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة  
والصعيد والخيرية والقيمان وأولاد على والقناوية وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم  
الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقاتهم يوماً فيوماً لتعطال الأسباب واجتماع  
الناس كلهم في صعيد واحد وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات  
الحكام واشتغالهم بما دهمهم وكذلك العرب أغارت على الأطراف والنواحي ، وقامت  
الأرباب على ساق يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم بعضاً ، وصار قطر مصر من أوله  
إلى آخره في قتل ونهب وإخافة طريق وقيام شر وإغارة على الأموال وإفساد المزارع  
وغير ذلك من أنواع الفساد التي لا تحصى وطلب أمراء مصر تجار الإفرنج الذين بمصر  
وحبسوهم في القلعة وفي بعض أماكن غير القلعة من بيوت الأمراء وساروا يفتشون في  
محلات الإفرنج على الأسلحة وغيرها وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأروام  
والأقباط وانكناث على الأسلحة والعامة لا يرضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم

الحكام عنهم ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة وقت هذه الفتنة ، ثم في كل يوم تكثر  
الإشاعة بقرب الفرنسيين إلى مصر وتختلف الناس في الجهة التي يجيئون منها فمنهم من  
يقول أنهم واصلون من البر الغربي ومنهم من يقول أنهم واصلون من الشرق ومنهم  
من يقول بل يأتون من الجهتين وليس لأحد من الأمراء همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة  
تناوشهم القتال قبل قربهم ووصولهم إلى فناء مصر بل كل من إبراهيم بيك ومراد بيك  
جمع عساكره ومكث في مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم وليس هناك قلعة ولا حصن  
ولا معقل وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدو ، ولما كان يوم الجمعة سادس شهر  
صفر وصل الفرنسيين إلى الجسر الأسود وأصبح يوم السبت فوصل أم دينار فعندها اجتمع  
العالم العظيم من الجنود والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ولكن الأجناد متنافرة  
قلوبهم منجدة عزائمهم مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون في  
ريشهم مغترون بجمعهم محترون شأن عدوهم مرتوكون في رؤيتهم مغمورين في غفلتهم  
وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم وقد كان الظن بالفرنسيين أن  
يأتوا من البرين بل أشيع ذلك فلم يأتوا إلا من البر الغربي ولما كان وقت القيلولة ركب  
جماعة من العساكر التي بالبر الغربي وتقدموا إلى ناحية بشقيل بلدة مجاورة لانبابة فتلاقوا  
مع مقدمة الفرنسيين فكروا عليهم بالخيول فضرهم الفرنسيين ببنادقهم المتابعة الرمي  
وأبلى الفريقان وقتل أيوب بيك الدفتردار وكثير من كشاف محمد بيك الألفي ومما ليكمهم  
وتبعهم طابور من الإفرنج نحو الستة آلاف ، وكان رئيسهم الكبير بونابارت لكنه  
لم يشهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير ولما قرب طابور  
الفرنسيين من متاريس مراد بيك ترامي الفريقان بالمدافع وكذلك العسكر المحاربون  
البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الأرنؤوط من دهباط وطلعوا إلى انبابة وانضموا  
إلى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس ، فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ضج العام  
والفوغاء من الرعية واخلط الناس بالصياح ورفعوا الأصوات بقولهم يارب يا لطيف  
ويا رجال الله ونحو ذلك وكأنهم يقاثلون ويحاربون بصياحهم فكان العقلاء من الناصر

يأمر ونهم بترك ذلك ويقولون لهم أن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون  
بالسيف والحرب وضرب الرقاب لا برفع الصوت والصراخ والنياح فلا يستمعون  
ولا يرجعون عما هم فيه ومن يقرأ ومن يسمع وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد  
من العرضى الشرقى ومعهم إبراهيم بيك الوالى وشرعوا فى التعدية إلى البر الغربى فى  
المراكب فتزاحموا على المعادى لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جداً فلم  
يصلوا إلى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة على المحاربين هذا وريح العاصفة قد اشتد هبوبها  
وأما موج البحر فى قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح فى وجوه المصريين  
فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو وذلك من  
أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه ، ثم أن الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك  
انقسم على تراتيب معلومة عندهم فى الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطاً بالمسكر  
من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتابعة والمدافع ترمى واشتد هبوب الريح  
وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح وصمت الأسماع من  
نوالى الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت واستمر  
الحرب والقتال نحو ثلثى ساعة ثم كانت الهزيمة على المسكر الغربى ففرق الكثير  
من الخيالة فى البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع أسيراً فى يد  
الفرنسيس وملكوا المتاريس وفر مراد بيك ومن معه إلى الجزيرة فصعد إلى قصره وقضى  
بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب إلى الجهة القبلىة وبقيت القتلى والنياب  
والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر إنبابه تحت الأرض وألقى كثير نفسه  
فى البحر ولما انهزم المسكر الغربى حول الفرنسيس والمدافع والبنادق على البر الشرقى  
وضربوها وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وركب فى الحال إبراهيم  
بيك والأمراء والمسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئاً  
فأما إبراهيم بيك والأمراء فساروا إلى جهة المعادلىة وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين إلى  
جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا وهم جميعاً فى غاية الخوف والفرع وترقب الهلاك وهم

يضجون بالموبل والنحيب ويتهلون إلى الله تعالى من شر هذا اليوم المصيب والنساء  
يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب فلما استقر إبراهيم بيك  
بالمداية أرسل يأخذ حريمه وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء على الخيول  
والبغال والحمير والجمال والبعض ماش كالجوارى والخدم واستمر معظم الناس طول الليل  
خارجين من مصر البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد بل كل  
واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد  
والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتلا  
للقضاء متوقفاً للمكروه وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله  
ويصرفه عليهم في الغربة فاستسلم للمقدور والله عاقبة الأمور والذي أزعج قلوب الناس  
بالأكثر أن في عشاء تلك الليلة شاع في الناس أن الإفرنج عدوا إلى بولاق وأحرقوها  
وكذلك الجيزة وأن أولهم وصل إلى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء  
وكان السبب في هذه الإشاعة أن بعض عسكر مراد بيك الذين كانوا في الغليون لم يسي انبابه  
لما تحقق الكسرة أضرم النار في الغليون الذي هو فيه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من  
الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصعبه معه إلى الجهة القبليّة فمشوا به  
قليلاً فوق في الطين لقلة الماء ، وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة فأمر  
بحرقه أيضاً فلما صعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظلوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا  
البلدين فاجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من القزع والروع والجزع وخرج أعيان الناس  
وأفندية الوجاقات وأكبرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين ، فلما عين العامة  
والرعية ذلك واشتد ضجرهم وخوفهم وتحركات عزائمهم للهرب واللاحاق بهم والحال أن  
الجميع لا يدرون أي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأي محل يستقرون فتلاحقوا  
وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف  
ثمنه وخرج أكثرهم ماشياً أو حاملاً متاعه على رأسه وزوجته حاملاً طفلها ومن قدر على  
مركوب أركب زوجته وابنته ومشى هو على أقدامه وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات



وأطفالهن على أكتافهن يبكين في ظلمة الليل واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد  
وصبحها وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله من مال ومتاع فلما خرجوا من أبواب البلد  
وتوسطوا الفلاة تلقىهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم  
يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته فكان ما أخذته العرب شيئاً كثيراً  
يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر التي خرجت من مصر في تلك الليلة أضعاف  
ما بقي فيها بلاشك لأن معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحریمهم وقد أخذوه صحبتهم  
وغالب مساتير الناس وأهل المقدره أخرجوا أيضاً ما عندهم والذي أتعده العجز ، وكان  
عنده ما يعجز عليه حمله من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل ومثل ذلك  
أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه وربما قتلوا من قدروا  
على قتله أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم  
الخوندات والأعيان فمنهم من رجع عن قريب وهم الذين تأخروا في الخروج وبلغهم  
ما حصل للسابقين ومنهم من جاز متكلاً على كثرته وغزوته وخفارتة فسلم أو عطب ،  
وكانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ولا سمعنا بما شابه  
بعضه في تواريخ المتقدمين قال الشاهد فما راء كمن سمعا ، ولما أصبح يوم الأحد المذكور  
والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ورجع  
الكثير من الفارين وهم في أسوأ حال من العرى والفرع فتبين أن الفرنج لم يعدوا إلى  
البر الشرقى وأن الحريق كان في المركب المتقدم ذكرها فاجتمع في الأزهر بعض العلماء  
والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الفرنج وينتظروا ما يكون  
من جوابهم ففعلوا ذلك وأرسلوه صحبة شخص مغربي يعرف لغتهم وآخر صحبته فبابا  
وعادا وأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه وأفهم أن  
مضمونها الاستفهام عن قصدهم فقال على لسان الترجمان وأين عظاماؤكم ومشايخكم لم  
تأخروا عن الحضور إلينا لترتب لهم ما يكون فيه الراحة وطمنهم وبش في وجوههم فقالوا  
نريد أمانا منكم فقال قد أرسلناه لكم سابقا يعنون الكتاب المذكور فيما تقدم فقالوا

أيضاً نريد أماناً لأجل اطمئنان الناس فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها أننا أرسلنا  
لكم في السابق كتاباً فيه الكفاية وذكرنا لكم أننا ما حضرنا إلا بقصد إزالة الممالك  
الذين يستعملون الفرنسية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا  
إلى البر الغربي خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسروا البعض ونحن في  
طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصري وأما العلماء والمشايخ وأصحاب المرتبات والرعية  
فيكونون مطمئنين في مساكنهم مرتاحين ونحو ذلك من الكلام ، ثم قال لهم لا بد  
أن المشايخ والشريحية يأتون إلينا لترتب لهم ديواناً نفتح به من سبعة أشخاص عقلاء  
يدبرون الأمور ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوي  
والشيخ سليمان الفيومي وآخرون إلى الجزيرة فلقاهم وضحك لهم ، وقال لهم أنتم المشايخ  
الكبار فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا فقال لأي شيء يهربون اكتبوا لهم  
بالحضور ونعمل لكم ديواناً لأجل راحتكم وراحة الرعية وإجراء الشريعة فكتبوا منه عدة  
مكاتيب بالحضور والأمان ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا إلى مصر واطمأن  
برجوعهم الناس ، وكانوا في وجل وخوف على غيابهم ، وأصبحوا فأرسلوا الأمان إلى  
المشايخ فحضر شيخ السادات ، والشيخ الشرفاوي والمشايخ ومن انضم إليهم من الناس الفارين  
من ناحية المطرية ، وأما عمر أفندي نقيب الأشراف فإنه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك  
الروزنامجي والأفندية وفي ذلك اليوم اجتمعت الجعدية وأوباش الناس ونهبوا بيت إبراهيم  
بيك ومراد بيك وأحرقوها ونهبوا أيضاً عدة من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش  
ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوا بأبخس الأثمان .

## ذكر دخول الفرنسيين مصر

وفي يوم الثلاثاء عدت الفرنسية إلى مصر وسكن بونا بارتته بيت محمد بيك الألفي  
بالأزبكية الذي أنشاه الأمير المذكور في السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه أموالاً  
عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة وعند تمامه وسكنه حصلت هذه الحادثة فما دخلوه  
تركوه بما فيه فكانه إنما كان يبنيه للأمير الفرنسي ، وكذلك حصل في بيت حسـ

كاشف بالناصرية ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل بالمدينة إلا القليل منهم ومشوا في الأسواق من غير سلاح ولا تعديل صاروا بضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون إليه بأعلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها في ثمنها ريالاً فرنسي ويأخذ البيضة بنصف فضة قياساً على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا إليهم بالكحك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك من السكر والصابون والدخان والبن وصاروا يبيعون لهم بما أحبوا من الأسعار وفتح غالب السوق والحوانيت والقهاوى واطمأن الناس .

### ذكر ترتيب ديوان لفصل الخصومات

وفي يوم الخميس ثالث عشر شهر صفر أرسلوا يطلبون المشايخ والوجاقلية عند قائم مقام سر عسكر ، فلما حضروا تشاور معهم في تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الخصومات فوق الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسى والشيخ مصطفى الدمهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى وحضر ذلك المجلس أيضاً مصطفى كتخدنا والقاضى ، وقلدوا محمد أغا السلمانى أغات مستحفظان وعلى أغا الشعراوى والى الشرط وحسن أغا أمين احتساب وذلك بإشارة أرباب الديوان فإنهم كانوا ممنوعين من تقليد المناصب لجنس الماليك فعرفهم أن سوق مصر لا يخافون إلا من الأتراك ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء المذكورين من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم وقلدوا ذو الفقار كتخدنا بيك كتخدنا بونابارته وسأل أرباب الديوان المذكورين عما وقع من النهب للبيوت فقالوا هذا فعل الجمعية وأوباش الناس فقالوا لأى شىء يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها فقالوا هذا أمر لا قدرة لنا على منعه وإنما ذلك وظيفة الحكام ، ثم أمروا بالنداء بالأملق وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب فلم يسمعوا ولم يفتهاوا واستمر غالب الأسواق

والدكاكين مهطلة والناس غير مطمئنين وفتح الفرنسيين بعض البيوت المغلقة التي  
للأمرء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وخرجوا منها وتركوها مفتوحة فعند ما يخرجون  
منها يدخلها طائفة الجعيدية يستأصلون ما فيها ، ثم إن عسكرهم صارت تدخل المدينة  
شيئاً شيئاً حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا في البيوت ولم يشوشوا على الناس ،  
ويأخذون المشتريات بزيادة عن ثمنها ، وبعد أيام طلبوا سلفة خمسمائة ألف ريال من التجار ،  
فأخذوا في تحصيلها بعد مراجعتها في تخفيفها فلم يفعلوا ، ونادوا بالأمان انساء الأمرء ،  
وأمرؤا كل من عندها شيء من متاع زوجها تأتي به ، وصالحت زوجة مراد بيك عن  
نفسها وأتباعها من نساء الأمرء بمائة وعشرين ألف ريال ، واستخرجوا من الخبايا شيئاً  
كثيراً ثم طلبوا من أهل الحرف والأسواق مبلغاً من المال يعجزون عنه فاستغاثوا بالمشايخ  
فدشغفوا عندهم فلطفوها لهم ، ولما جاء وقت مولد النبي صلى الله عليه وسلم أمرؤا بصنعه على  
المعتاد وأعطوا من عندهم إعانة على ذلك ثلاثمائة ريال وصنعوا شنكا ليلة الولد وجاءت  
مراكب الانكليز وحاربت مراكب الفرنسيين وأحرقوا له مركبا كبيرا واستمر  
أياماً ثم ذهبوا ، وأما إبراهيم بيك ومراد بيك فذهبوا إلى غزة ثم رجعوا إلى جهة القيوم  
وفي شهر ربيع الثاني طلبوا من الناس حجج أملاكهم وقيدوها عندهم ووضعوا عليهم  
قدراً معلوماً من الدراهم وأمرؤا المشايخ أن يكتبوا للسلطان كتاباً مضمونه الثناء عليهم  
وحسن سيرتهم وأنهم من المحبين للسلطان وأنهم محترمون للقرآن والإسلام ففعلوا ، وفي  
عاشر جمادى الأولى جمعوا الناس وقرروا على الأملاك أموالاً زيادة عما كان قبل ذلك  
وهاج عامة الناس ونادوا بالجهاد ووقع قتال قتل فيه خلق كثير ثم صار النداء بالأمان ثم  
تقبعوا كثيراً ممن كان قائماً في تلك الفتنة ، فقتلوه وأما كيفية مجالسهم وبقية الترتيب في  
نظامات دولتهم فهو طويل لا حاجة لذكره وكذا ما كان يجري من الحوادث ولما جاءت  
أخبار دخول الفرنسيين مصر إلى الحجاز قام شيخ عالم مغربي بمكة يقال محمد الجيلاني  
واستنصر الناس للجهاد فاجتمع معه خلق كثير ووصلوا إلى الصعيد وقاتلوا من وجدوه  
من الفرنسيين ولم يقدرؤا على استخلاص الأفطار المصرية منهم فقاتلوا حتى قتل أكثرهم

ورجع القليل منهم ، ثم جهز الفرنسيس جيشا لمحاربة أحمد باشا الجزائر في عكا فلكو كثيرا من قرى الشام وحاصروا أحمد باشا في عكا ثم عجزوا عن أخذها فارتحلوا عنها وأجروا عمل ما يعتاده أهل مصر من مولد السيد أحمد البدوي وغيره على حسب المعتاد وكذا إخراج الحمل والحج وحصل بينهم وبين أهل الأرياف محاربات كثيرة حتى ملكوهم كلهم وصاروا يتبعون الأمراء من المماليك ويقتلون من ظفروا به وحضرت مراكب إلى السويس فيها أموال وبضائع للشريف غالب فسمحوا عن عبورها وحصل بينه وبينهم مكاتبات ومهادتات بهدايا عندهم ووضعوا الشيخ العريشي قاضيا للمسلمين يحكم بالشرع وتوجه بونايرته إلى بلاد الفرنسيس سنة أربعة عشرة وجعل ساري عسكرهم نائبا عنه بمصر ، ثم ترقى بونايرته حتى صار ملكا على كافة الفرنسيس ، وفي شهر رجب من سنة ١٤ جاء جيش من السلطان سليم بقوده يوسف باشا ومعه نصوح باشا جعلوه واليا على مصر وهو الذي يقال له أيضا ناصف باشا وساروا من جهة الشام حتى وصلوا إلى العريش فاستعد الفرنسيس بقتالهم وخرج بجنوده إلى الضاحية ثم توسط الانكليز في الصالح على شروط كثيرة منها أن الفرنسيس يتنحى عن الديار المصرية بعد ثلاثة أشهر ففي تلك المدة صار الناس يحقرونهم ويسخرون بهم ويقول بعضهم لبعض سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس وهم يحقدون ذلك عليهم وكشف همج الناس نقاب الحياء معهم بالكلية وتناولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا في عواقب الأمور حتى أن فقهاء الأطفال كانوا يجمعون الأطفال ويمشون فرقا وطوائف وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم يلعن النصاري وأعوانهم وأفراد رؤسائهم كقولهم ينصر الله السلطان ويهلك فرط الزمان ولم يملكوا لأنفسهم صبرا حتى تنقضي الأيام المشروطة على أن ذلك لم يشر إلا الحقد والعداوة التي تأسست في قلوب الفرنسيس وأخذ الفرنسيس في أهبة الرحيل وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب القصور والقلاع كالصاحية وبليس ودمياط والسويس ، ثم أن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار كل يوم يدخل منهم

جماعة بعد جماعة ووصل الوزير يوسف باشا إلى بلبليس والتقى بالأمرء المصريين . وأخلى  
الفرنساوية إلى قلعة الجبل وبقي من العلماء القلاع التي أحدثوها ونزلوا منها فلم يطلع إليها  
أحد من العثمانيين ، وطلع كثير من العلماء والتجار للسلام على الوزير في مدينة بلبليس  
في رمضان فقابلوه وقابلوا والى مصر نصوح باشا وخلع عليهم خلعاً وانصرفوا ، ثم  
في شهر شوال وقعت حادثة كانت سبباً للنقض وذلك أن جماعة من عسكر العثمانيين  
تساجروا مع جماعة من عسكر الفرنسيين فقتل بينهم شخص فرنساوي ، فثار من ذلك  
فتنة ، ثم قتلوا ستة أنفار كانوا سبب الفتنة فسكنت لكن لم تطلب نفوس الفرنسيين ،  
ثم أن فرنساوية طلبوا ثمانية أيام مهلة زيادة على المهلة السابقة لما قرب تمامها ، فأعطوهم  
مهلة الثمانية أيام ونصبوا وجاق عسكرهم وخيامهم بساحل البحر متصلاً بأطراف مصر  
ممتداً إلى شبر وترددوا إلى القلاع لم يكن بها أحد ، وشرعوا باجتهد في رد الجببخانة والذخيرة  
وآلات الحرب والبارود والقلل والمدافع ، واجتهدوا في ذلك ليلاً ونهاراً والناس يتعجبون من  
ذلك وأشيع أن الوزير اتفق مع الانكليز على الاحاطة بالفرنساويين إذا صاروا بظاهر البحر وكان  
الفرنساوية عندما ترأسوا وترددوا جهة العرضى تفرسوا في عرض العثمانيين وعسكرهم وأوضاعهم  
وتحققوا حالهم فعلموا ضعفهم عن مقاومتهم ، فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة ونقض  
الصلح والمخاربة وردوا آلاتهم إلى القلاع ، فلما تمموا أمر ذلك وأحصنوا الجهات وأبقوا  
من أبقوه من عساكرهم خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر وانتشروا في تلك  
النواحي ولم يبق منهم بالمدينة إلا من كان بداخل القلاع وأشخاص بيت الألفى وبعض  
بيوت الأذربكية وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل . فلما كان اليوم الثالث والعشرين  
من شوال ركب صارى عسكرهم قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات  
الحرب وقسم عساكره طواير فمنهم من توجه إلى عرضى الوزير ومنهم من مال على جهة  
المطرية فضر بواعليهم بالمدافع فلم يسعهم إلا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب  
نصوح باشا ومن كان معه وطمعوا جهة مصر فتركهم فرنساوية ولحقوا بالذاهبين إلى  
جهة العرضى بعد أن نهبوا ما في عرضى ناصف باشا من المتاع والأغنام وسمروا أفواه المدافع التي

لنصوح باشا وناصف باشا وتركوها وصاروا إلى جهة العرضى ، فلما قاربوه أرسلوا للوزير  
بأمر ونه بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسمعه إلا الارتحال والفرنساوية في أثره وعساكره  
متفرقون ومنشرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال وظلم الفقراء وأما أهل  
مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللفظ والقييل والقال ولم يدركوا حقيقة  
الحال فهاجوا ورمحوا إلى أطراف البلد وخرج نقيب الأشراف وتبعه كثير من  
العامّة وتجمعوا على التلول خارج باب النصر وبأبدي الكثير منهم للنبايت والعصى  
والقليل معه السلاح ونحزب كثير من طوائف العامّة والأوباش والحشرات وجعلوا  
يطوفون بالأزقة ولهم صياح بكلمات بقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق  
ثم خرج الكثير منهم إلى خارج البلد بتلك الصورة فلما تضحى النهار حضر بعض  
الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجارح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم لجهلهم  
أيضاً حقيقة الحال ، ثم لم يزل الحال كذلك إلى العصر فوصل جمع عظيم من العامّة ممن  
كان خارج البلد ولهم صياح وخلفهم إبراهيم بيك ثم بقية الأمراء ثم نصوح باشا ومعه  
عدة وافرة من العساكر والسبد عمر نقيب الأشراف وصار نصوح باشا يقول للعامّة  
اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعندما سمعوا قوله هاجوا وماجوا ورفعوا أصواتهم ومروا  
مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم وساروا إلى حارات  
النصارى يقتلون ويأسرون وينهبون فتحزبت النصارى واحترسوا وجمعوا كل ما قدروا  
عليه من فرنساوية والأروام ، فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى ترمى من  
طاقات البيوت على المجتمعين بالأزقة من العامّة والعسكر يحامون على أنفسهم والآخرين  
يرمون من أسفل ويكبسون البيوت ويتسورون عليها فلما أصبح الصباح أرسلوا  
إلى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة فعالجوها حتى فتحوها وأمر  
الباشا بجر المدافع إلى الأزبكية وضربوا منها على بيت الألفى وكان به أشخاص مرابطون  
من عساكر فرنساوية فضربوهم أيضاً بالمدافع والبنادق واستمر الحرب بين الفريقين  
إلى آخر النهار فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهرة ، وفي هذا اليوم وضع أهل مصر

والعسكر متاريس بالأطراف كلها وشرعوا في بناء جهات السور واجتهدوا في تحصين  
البلد بقدر الطاقة وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس ، فلما أظلم الليل أطلق  
الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع وولوا الضرب فأجمع رأى الكبراء  
والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب  
وعزة الأوقات لأن غالب قوت أهلها يجلب من قراها كل يوم بيوم وربما امتنع وصول  
ذلك إذا تجسمت الفتنة فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس بذلك فتجهز معظم  
للخروج وغصت الطرق بالازدحام عند الخروج وازدحم الناس بالحير والبغال والخيول  
والمجن والجمال وركب الناس بعضهم بعضاً ، ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب  
والمشقة والخوف ما لا يوصف وأناس من أهل خان الخليلي جاؤا إلى الجمالية وشنعوا على  
من يريد الخروج وأغلقوا باب العصر وبات في تلك الليلة معظم الناس على مصاطب  
الحوانيت وأزقة الحارات ، فلما أصبح يوم السبت تهباً كبراء العساكر والعساكر ومعظم  
أهل مصر ماعدا الضعيف الذي لا قوة له على الحرب وذهب معظم الناس إلى جهة الأزبكية  
وسكن الكثير في البيوت الخالية والبعض خلف المتاريس وأخذوا عدة مدافع زيادة عن  
الثلاثة المتقدمة وأحضروا من حوانيت العطارين من المتقلات التي يزنون بها البضائع من  
حديد وأحجار استعملوها عوضاً عن القلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر  
بالأزبكية ثم فرقوا الناس في أطراف البلد والمتاريس للاحتراس وكان كل من قبض على  
نصرانى أو يهودى أو فرنسوى ذهب به إلى كتبخدا وأخذ البقشش فيحبس البعض  
ويقتل البعض وأحضروا الحدادين لإنشاء مدافع وجعلوا معمل البارود والقلل وغير ذلك  
من المهمات واهتموا لذلك اهتماماً زائداً وأنفقوا أموالاً جمة ، وأما فرنساوية فإنهم تحصنوا  
بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاها وأما الوزير فإنه لما ارتحل بالعرضى ووصل  
إلى الصالحية تكلموا معه في الرجوع فاعتذر بعدم الاستعداد ثم ساروا إلى الشام فرجع  
طائفة من عسكر فرنساوية الذين ساروا خلف الوزير إلى أصحابهم الذين بمصر نجدة لهم  
فقويت بهم نفوسهم ووقف جملة منهم بباب العصر ومنعوا الداخل والخارج وفلك كله



بعد مضي ثمانية أيام من ابتداء الحركة وقطعوا الجلب إلى البلاد وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم فمظم الكرب وأكثروا من الرمي بالمدافع على البيوت من القلاع وهدمت الأقوات وارتفعت الأسعار وهاكت البهائم وتهدمت البيوت وكثر صرخ النساء والصغار وفي كل ساعة تهجم الفرنسيون الذين هم خارج البلد على جهة من جهات مصر ويملكون بعض المتاريس واستمر الحال إلى عشرة أيام فرددوا الرسل للصلح فقال الفرنسيون لا بد من خروج العثمانيين من مصر ونعطيهم ما يحتاجون من المؤونة حتى يصلوا إلى جماعتهم وخرج إليهم الشيخ الشرقاوي والمهدي والسرسى والفيومي وغيرهم وتمموا الصلح على ذلك فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه عساكر الانكشارية العثمانية وسائر الناس قاموا على المشايخ وسبوا الشيخ الشرقاوي والسرسى ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيين وتكلم السفلة والفوغاء بكثير من الفضول فأرسلوا للفرنسيس أن الباشا والعساكر والناس لم يرضوا بالصلح ، تم جاء مطر شديد وتوحدت جميع السكك فاشتغل الناس بتخفيف المياه والأحوال فاغتنم الفرصة الفرنسيين ، وهجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ، وعملوا قتائل بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوية معمولة بالنفط ملوية على أعناقها مشربة بمقطرات تشعل وتقوى لها وتابوا رمي المدافع والبنبات من القلاع وصاروا يهجمون وأمامهم المدافع وخلفهم بواردية يرمون بالبندق المتتابع وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يابسون بها السقائف والحوائت وشبابيك الدور ويحفظون على هذه الصورة شيئاً فشيئاً والمسلمون بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة وزلزلوا زلزالاً شديداً وصرخت النساء والصبيان ونظوا من الحيطان والنار تأخذهم من كل جهة والأمطار متوالية بالليل والنهار ومثل ذلك كان في بولاق بل زيادة عن ذلك لأنهم في آخر الأمر قتلوهم وحرقوا بلادهم وأخذوا أموالهم وسبوا حريمهم وذراريهم ، والحاصل أن هذه الفتنة قد شاهد الناس فيها من المول ما يشيب منه النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والأزقة واحترقت الأبنية

والدور والقصور وهرب كثير من الناس عند ما أيقنوا بالخذلان فنجوا بأنفسهم إلى الجهة  
القبيلية ، ثم أحاطوا بالبلد واستولوا على الخانات والوكالات والحواصل والبضائع والودائع  
وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخاوندات والصبيان والبنات  
ومخازن الغلال ومالا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور وكان جماعة من  
المسلمين في هذه الفتنة يداهنون الفرنسيس وأخذوا منهم أمانا وهم مع المساميين فأطلع  
المسلمون عليهم فأذوهم وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا بعضهم واتهموا الشيخ البكري  
بموالاته الفرنسيس وأنه يرسل إليهم الأطعمة فهجم عليه طائفة من العسكر وبعض أوباش  
العامية فهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه إلى الجمالية وهو ماش على  
أقدامه ورأسه مكشوفة وحصلت له إهانة بالغة ، وسمع من العامة كلاما مؤلماً وشتا فلما  
مثلوه بين يدي الكتبخدا أهاله ذلك وانغم غمًا شديدًا ووعدته بخير وطيب خاطره وأخذه  
أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى  
انقضت الفتنة وكان جماعة من الأمراء والرؤساء يذهبون ويحيثون من الفرنسيس إلى  
المسلمين ومن المسلمين إليهم يسعون في الصلح بين الفريقين واستمر الحال إلى السادس  
والعشرين من الشهر حتى هلكت الناس وتمنوا دخول الفرنسيس وخروج العثمانيين ،  
ثم تم الصلح على وقف الحرب وخروج العثمانيين بعد مهلة ثلاثة أيام ، ثم خرجوا وارتحلوا  
وزودهم الفرنسيس وأعطوهم دراهم وجمالًا وغير ذلك وخرج أيضًا إبراهيم بيك وأمرأؤه  
ومماليكه وخرج معهم الرؤساء منهم نقيب الأشراف والمحروقي رئيس التجار سنة  
١٢١٥ وأما مراد بيك فكان بالصعيد وكان قد انعقد بينه وبين الفرنسيس صلح ومهادنة  
وكانت مدة الحرب والحصر بالثلاثة الأيام الهدنة سبعة وثلاثين يوما وقع فيها من الحروب  
والكروب وعظائم الأمور مالا يحيط به إلا الله تعالى ودخل الفرنسيس مصر وضبطوها  
في أوائل ذي الحجة سنة ١٥ وأمنوا الناس واستولوا على ما كان اصطفاه العثمانيون  
وأعدوه من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب وركب المشايخ في عصر ذلك اليوم  
وذهبوا إلى كبير الفرنسيس فلما جلسوا أبرز لهم ورقة مكتوب فيها النصر لله الذي

يريد أن للنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس وبناء على ذلك يريد سر عسكر أن ينعم  
بالعفو العام على أهل مصر ولو كانوا يخالطون العثمانيين في الحروب ويأمرهم أن يشتغلون  
بمعاتهم وصنائعهم ثم نبه عليهم بالحضور إلى قبة النصر بكرة تاريخه ثم قاموا من عنده  
وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالأطمئنان والأمان فلما كان  
الغد ذهبوا إلى قبة النصر وصنع لهم سماطا عظيما ضيافة وزينت البلاد ثلاثة أيام ، ثم بعد  
أيام أمرهم بالحضور بدار الأزبكية ، فلما وصلوا جلسوا حصة طويلة في الديوان الخارج  
ثم أدخلوا وجلسوا حصة فخرج إليهم سر عسكر وصحبته ترجمانه وجماعة من أعيانهم  
فوضع له كرسي في وسط المجلس وجلس عليه ووقف الترجمان فكلمه السر عسكر بكلام  
طويل بإسنانهم فالتفت الترجمان وأخبرهم بما قاله سر عسكر وملخص ذلك القول أن سر  
عسكر يقول إننا لما حضرنا إلى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس والناس بهم  
يقتدون ولأمرهم يمثلون ثم أنكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم  
فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور فرتبنا لكم  
لديوان وغمرناكم بالإحسان وخففنا لكم جناح الطاعة وجعلناكم مسموعى القول مقبولى  
الشفاعة وأوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون فلما حضر العثملى  
فرحتم تقدمهم وقيم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا ، فقالوا له نحن ماقمنا مع العثملى  
إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أنكم ونحن في حكم العثملى وأن البلاد والأموال  
صارت له وخصوصاً وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين وماشعرنا إلا بحدوث هذا  
الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ووجدنا أنفسنا في وسطهم فلم يمكن التخاف عنهم  
فقال لهم لآى شىء لم تمنعوا الرعية عما فعلوا من قيامهم ومحاربتهم فقال لا يمكننا ذلك خصوصاً  
وقد وثقوا علينا بغيرنا وسمعتهم ما فعلوه معنا من ضربنا وإهانتنا عندما أشرنا عليهم بالصالح  
فقال لهم وإذا كنتم لا يمكنكم تسكين الفتنة فما فائدة رياستكم وأى شىء يكون نفعكم  
وحينئذ لا يأتينا منكم إلا الضرر لأنكم إذا حضراً خصامنا قتم معهم وكنتم وإياهم علينا  
وإذا ذهبوا رجعت إلينا معتدريين فكان جزاؤكم القتل وحرق البلاد وسبى الحریم والأولاد

كما فعلنا بأهل بولاق ولسكن حيث أعطيناكم الأمان فلا نقض أماننا ولا نقتلكم وإنما  
نأخذ منكم الأموال فالملطوب منكم عشرة آلاف ألف فرنك عن كل فرنك ثمانية  
وعشرون فضة يكون فيها ألف ألف فرانسة عنها خمس عشرة خزنة رومي بثلاث عشرة  
خزنة مصرى منها خمسمائة ألف فرانسة على مائتين على شيخ السادات خاصة من ذلك  
خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفاً وعلى الشيخ الجوسرى خمسون ألفاً وعلى أخيه الشيخ فتوح  
خمسون ألفاً وعلى الشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفاً وعلى الشيخ العنانى مائتان وخمسون  
ألفاً جعلوا ذلك عليه وعلى الفارين مع العنملى مثل السيد عمر مكرم نقيب الأشراف  
والمحروقى وما بقى من المبلغ المطلوب تقررونه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا  
منكم خمسة عشر شخصاً انظروا من يكون منكم عندنا رهينة حتى توفوا ذلك المبلغ ،  
وقام من كرسية من فوره ودخل مع أصحابه وأغلق بينه وبينهم الباب ووقفت الحرسية  
على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وامتقمت وجوههم ونظروا  
إلى بعضهم وتحيرت أفكارهم ولم يخرج عن هذا الأمر إلا البكرى والمهدى لكون  
البكرى حصل له ما حصل فى صحائفهم والمهدى كان يداهنه وحرق بيته بمرأى منهم  
ولم يكن فيه إلا الحصر لأنه كان قد نقل ما فيه بداره التى فى الخرنفش ولم تزل الجماعة فى  
حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل واحد منهم أنه لم يكن شيئاً مذكوراً ولم يزالوا على ذلك  
الحال إلى قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه وبعضهم شرشربيه من شباك المكان  
وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون فى عرضهم فالذى كان معهم ولم يكن معدوداً  
من الرؤساء أخرجوه فخرجوا مسرعين حتى أن بعضهم ترك مداسه وخرج حافياً وماصدة  
بخلاص نفسه هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدييره وترتيب  
فى قوائم حتى وزعوها على أصحاب الحرف وأهل البيع والشراء وجميع الناس حتى القرادات  
جعلوا على كل طائفة مبلغاً له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسة وأربعين ألفاً وجعلوا على أجر  
الأموال والعقار أجرة سنة كاملة ثم استأذنوا للشايخ الخالص منهم الذى ليس عليه شئ  
يتوجه حيث أرادوا المشبوك يلازمه جماعة من المسكر حتى يؤدى المطلوب منه وأما الصاوى

وفتوح والجوهري فحبسوا بمقام ، والعناني هرب فلم يجدوه وداره أحرقت فأضافوا غرامته على غرامة شيخ السادات وانفض المجلس على ذلك وركب صاري عسكر من يومه ذلك وذهب إلى الجزيرة ووكل يعقوب القبطي بفعل بالمسلمين ما يشاء ونزل شيخ السادات وركب إلى داره فذهب معه عشرة من العسكر وأركبوه وجلسوا على باب داره ، فلما كان حصته من الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه في مكان ، ثم تشفع له أناس وكفلوه لينزل إلى داره ويحصل له المطلوب منه فتحصل عنده من الدراهم ستة آلاف ريال وقاموا ما وجدوه من المصاغ والفراوى والملابس فبلغ خمسة عشر ألف ريال فكان الجميع إحدى وعشرين ألف ريال ، ثم صاروا يفتشون داره ويحفرون الأرض والحبايا حتى فتحوا الكنيف فلم يجدوا شيئاً ثم نقلوه إلى بيت قائم مقام وضربوه وأهانوه وأودعوا زوجته وابنه عند أغاة الانكشارية ثم أن المشايخ وهم الشيخ الشرفاوى والأمير والمهدى وغيرهم تشفعوا في نقل الزوجة إلى بيت الفيومي ثم وقعت للمراجعة والشفاعة في غرامة الشيخ فتوح والصاوى فجعلوا على كل واحد خمسة عشر ألف ريال وردوا الباقي على الفردة العامة وأما الجوهري فاختموا فلم يجدوه فنهبوا داره ، ثم وكفوا بالفردة العامة يعقوب القبطي ، وأعطوه عسكراً لتحصيلها ، ودهى الناس بهذه المنازلة التي لا يصابون بمثلها ، وفرغت الدراهم من عند الناس ، وباعوا أمتعتهم وجميع ما عندهم ، ولم يجدوا من يشتري الأثاث والفرش والملبوس بأخس الأثمان ودفعوا لهم أيضاً جميع ما يملكون من البغال والخيول والحير ومنعوا المسلمين من ركوبها سوى خمسة أنفار وهم الشرفاوى والمهدى والأمير والفيومي وابن محرم وتناولت النصارى من الشوام والقبط على المسلمين بالضرب والسب وفي كل وقت يشتد الطلب وتلبث المعينون والعسكر في طلب الناس ، وهجم الدور ، وجر جرة الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلهم وحبسهم وضربهم والذي لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره فإن لم يجدوا شيئاً ردوا غرامته على أبناء جنسه ، وأهل حرفته ، ونالوا من الناس أغراضهم ، وأظهروا حقدهم وصاروا يصرخون بانقضاء ملة

الإسلام وأيام الموحدين هذا والكتبة والمهندسون والبنائون يطوفون ويحرون أجرة  
الأموال والعقارات والوكائل والحمامات ، ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها ، وخرج كثير  
من الناس من المدينة وأجلوا عنها وهربوا إلى القرى والأرياف واستمرت الحوانيت مقفولة  
والعقول مخبولة والمصائب عميقة والأمر عظيم والخطب جسيم ولا حول ولا قوة إلى بالله  
العلي العظيم ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾  
واستمر شيخ السادات محبوسا إلى غاية شهر صفر من سنة خمسة عشر فأفرجوا عنه ونزل  
إلى بيته بعد أن غلق الذي عليه واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك  
جهات حريمه والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه ، وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ،  
وأن لا يركب بدون إذن منهم ويقتصد في أموره ومعاشه ويقلل أتباعه ، وفي شهر ربيع  
الأول من السنة المذكورة نادوا على الناس الفارين من مصر من خوف الفردة وغيرها  
بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة نهبت داره وأحيل بوجوده  
وكان من المذنبين واشتد الأمر بالناس وضاعت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة  
ولاشفيع تقبل شفاعته أو متكلم تسمع كلمته ونزل بالمسلمين الذل والهوان وتناولت عليهم  
الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد والأقباط والشوام والأروام حتى صاروا  
يأمرونهم بالقيام لهم عند مرورهم ثم شددوا في ذلك حتى كانوا إذا مر بعض عظمائهم  
بالشارع ولم يقيم إليه بعض الناس على أقدامه رجعت إليه الأعوان وقبضوا عليه وأصعدوه  
إلى الحبس بالقلعة وضربوه واستمر عدة أيام في الحبس ثم يطلق بشفاعة بعض  
الأعيان وأما الأموال المطلوبة فأخذوها وما بقي شيء للناس إلا واستولوا عليه  
وما بقي جعلوه على الأطيان والفدادين ومشايخ القرى والبلدان وتفصيل ذلك كله  
طويل ولم يزل الناس معهم في شدة وكرب إلى أن قضى الله ما قدره وأذن بخروجهم  
وإنقضاء دولتهم .

## ذكر خروج الفرنسيين من مصر

في أواخر شوال سنة خمسة عشر برز الأمر من مولانا السلطان سليم بالتجهيز إلى مصر براً وبحراً أما العساكر التي من البر فهي بمعية يوسف باشا وأما البحر فتعهدت به الإنكليز ، ثم في أوائل ذي القعدة ورد جماعة من الإنكليز بمراكب إلى ثغر الأسكندرية وطلع جماعة منهم إلى البر وتحاربوا مع أمير الأسكندرية ومن معه من الفرنسيين ، ثم في أول ذي القعدة جاءت الأخبار إلى الفرنسيين بمصر بأن يوسف باشا وعساكره وصلوا إلى العريش فجمعوا المشايخ والأعيان بمصر وقالوا لهم إنه يجب المسلمين ويميل إليهم بالطبع وخصوصاً العلماء أهل الفضائل ويفرح لفرحهم ويفتم لغمهم ولا يجب لهم إلا الخير ولكن سياسة الأحكام تقتضي بعض الأمور المخالفة للمزاج والآل بلغنا أن يوسف باشا وعساكر العثمانية تحركوا إلى هذا الطرف فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان وذلك من قوانين الحرب عندنا بل وعندكم ولا يكون عندكم تكدير ولا هم بسبب ذلك فليس إلا الإعزاز والإكرام أيما كنتم ثم انفض المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرفاوي والشيخ المهدي والشيخ الصاوي والشيخ الفيومي فأصعدوهم إلى القلعة وفي الساعة الزابعة من الليل مكرمين وكان هؤلاء الأربعة من أهل الديوان المرتب في مصر لفصل القضايا وكان معهم في الديوان الشيخ الأمير والبكري والشرييني فأبقوهم في الديوان على حالهم السابق ثم وقع حرب أيضاً بالأسكندرية في البر بين الإنكليز والفرنسيين في الرابع عشر من ذي القعدة وكانت الهزيمة على الفرنسيين وقتل منهم كثير وانحازوا إلى داخل الأسكندرية وأرسل الفرنسيين من كشف عن متاريس الإنكليز فوجدوها في غاية الوضع والإتقان ، ثم وقع قتال آخر فقتل فيه من الفرنسيين خمسة عشر ألفاً ثم طلبوا عساكر من مصر نجدة لهم فأطلق الإنكليز حبوس المياه المالحة حتى أغرقت طرق الأسكندرية وصارت جميعاً لجة ماء ولم يبق لهم طريق مسلك إلا من جهة العجمي إلى البرية وتترس الإنكليز قباهم من جهة الباب الغربي ووقع في مصر في هذه السنة طاعون مات فيه خلق كثير منهم مراد بيك مات في الصعيد رابع ذي الحجة من السنة المذكورة

وكان قد اصطلح مع الفرنسيين وأعطوه أمانة الصعيد وهو من مماليك محمد بيك أبي الذهب ومحمد بيك مملوك على بيك وعلى بيك مملوك إبراهيم بيك كتنخدا إشتري مراد بيك سنة ١١٨٢ ثم عتقه وترقى عنده وأكرمه وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه ولما انفرد سيده محمد بيك بإمارة مصر كان مراد بيك وإبراهيم بيك أكبر الأمراء المشار إليهما دون غيرها واتسعت لها الأموال والأموال والضياع ، ثم لما مات محمد بيك سنة ١١٨٢ صارت الرئاسة في ملك مصر لها ولكن كان إبراهيم بيك مقدما وكان مراد بيك منمكفا على اللذات والملاهي وكان لكل منهما مماليك وهم الصناجق والأمراء وكانت وفاة إبراهيم بيك بدنة سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف .

### ذكر ما كان من استعداد الفرنسيين

في خامس المحرم من سنة ست عشرة ومائتين وألف أكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إلى القلعة بمصر وكذلك البارود والكبريت والقلل والقنابر والبنب ونقلوا الأسوار والبيوت من الفرش والأمتعة والأسرة إلى القلعة ولم يبقوا بالقلاع الصفار الأمهات الحرب وطلبوا الرياتين وألزمهم بمائتي قنطار زيت وسمروا جملة من حوانيتهم لتحصيل ذلك واجتهدوا في وضع متاريس خارج البلد وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونه للعمل وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابه لتمنع المراكب من العبور ، وهدموا جانبا من الجزيرة من الجهة البحرية ، وبلغهم أن عساكر الإنكليز القادمة من البر الغربي قريب ووصلت ترعة الفرعونية وأن العساكر الشرقية وصلت إلى بنها وأن طائفة من الإنكليز في جهة الإسكندرية وأن الحرب قائم بها وأن الفرنسيين محاصرون بداخل الإسكندرية ويحاربهم الإنكليز ومن معه من العثمانيين من الخارج وأن جماعة من الإنكليز قعدوا في الأماكن التي يمكن الفرنسيين النفوذ إليها وقطعوا عليهم الطرق من كل ناحية وأطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه إلا الجسر المقطوع حتى سالت المياه وردغت الأراضي المحيط بالأسكندرية وخرج عن طاعة الفرنسيين الأمراء الذين بالصعيد وردوا مكاتبهم التي



ارسلوها لهم بعد مراد بيك وحضرت لهم الأخبار المتواترة بوصول القادمين من الإنكليز  
والعثمانية إلى الرحمانية وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون وجاءتهم الأخبار  
أيضاً بأنهم تملكوا رشيد ودمياط ، وفي العشرين من المحرم يوم الإثنين جاءتهم الأخبار  
بأن الوزير وصل ديجوة فطلبوا مشايخ الديوان عند قائم مقام فقال لهم أن الخضم قد قرب  
منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنسيين وأن تنصحوا أهل البلد والرعية أن  
يكونوا مستقرين على سكوتهم وهدوئهم ولا يتدخلون في الشر والشغب فإن الرعية بمنزلة  
الولد وأنتم بمنزلة الوالد الواجب على الوالد نصيح ولده وتأديبه على الطريق المستقيم ، حتى  
يكون فيه الخير والصلاح ، فإنهم إن داموا على الهدوء حصل لهم الخير ونجوا من كل  
شر ، وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم  
ومتاعهم وسبيت نسائهم وتيتمت أولادهم وألزموا بالأموال والفردة التي لا طاقة لهم بها  
فقد رأيتم ما حصل في الوقائع السابقة فاحذروا من ذلك فإنكم لا تدرسون العاقبة ولا تكلفكم  
المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا وإنما نطلب منكم السكون والهدوء لا غير فأجابوا  
بالسمع والطاعة وقرأ عليهم ورقة بمعنى ذلك وأمروا بالمنادة على الناس بذلك وأنهم ربما  
سمعوا ضرب مدافع جهة الجزيرة فلا ينزعجوا من ذلك فإنه شئك وعيد لبعض أكابرهم  
وأمروا أن يجتمع بالديوان في الغد الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات  
ويتلى عليهم ذلك فكان كذلك وفي غاية شهر محرم جاءتهم الأخبار بأن الوزير وصل  
إلى الشلقان وكذلك عساكر الإنكليز فجمعوا المشايخ بالديوان وأعلموهم أن أرض  
مصر استقر ملكها للفرنساوية فيلزم اعتقادكم ذلك وأركزوه في أذهانكم كما تعتقدون  
وحدانية الله تعالى ولا يفرنكم هؤلاء القادمون وقربهم فإنهم لا يخرج من أيديهم شيء  
أبدأً وهؤلاء الإنكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم إلقاء العداوة والفتن والعثمانلي  
مفتربهم فإن فرنساوية كانت من الأحباب الخالص للعثمانلي فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه  
وبينهم العداوة والشورور وأن بلادهم ضيقة وجزيرتهم ضيقة ولو كان بينه وبين فرنساوية  
طريق مسبوكة من البر لا نمنحى أثرهم وانمحي ذكرهم من مكان مديد وتاملوا في شأنهم

وأى شيء خرج من أيديهم فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر وإلى الآن لم يصلوا إلينا والفرنسيس عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يوماً ، فلو كان فيهم همة شجاعة لو صلوا مثل وصولنا وكلام كثير من هذا النمط . وفي ثالث صفر وصلت عساكر العثمانيين وانتصبوا إلى العادلية في الجهة الشرقية وإلى انبابة في الجهة الغربية وجرى القتال بينهم وبين الفرنسيين وكان النصر لعسكر السلطنة العلية ثم عقد الصلح على خروج الفرنسيين من مصر وتسليمها للدولة العلية فتجهزوا وخرجوا آمنين في أواخر صفر ولما انعقد الصلح أطلقوا المشايخ الذين كانوا بالقلعة رهائن وهم الشيخ الشرقاوى والمهدى والساوى والفيومى وكانت مدة حبسهم فى القلعة نحو مائة يوم وسافرت عساكر الفرنسيين على رشيد وأبى قير ودخل الوزير يوسف باشا مصر فى التاسع والعشرين من شهر صفر بموكب حافل وكانت مدة تملك الفرنسيين لمصر ثلاث سنين وشهراً . قال الشيخ الشرقاوى فى تاريخه وحقيقة حال الفرنسيين الذين حضروا إلى مصر أنهم فرقة من الفلاسفة إباحية طبائعية يقال لهم نصارى كاثوليكية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهراً وبنـكرون البعث والدار الآخرة وبعته الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويقولون أن الله واحد ولكن يقولون بالتعليل ويحكمون العقل ويجمعون منهم مدبرين يدبرون الأحكام ويضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون أن الرسل محمد وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وأن الشرائع المنسوبة إليهم هى قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان فى ذلك رحمة الله تعالى بأهل مصر فإنهم جعلوا من جملة ذلك ديوانا فيه جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم فى بعض أشياء لا تليق بالشرع والسبب الذى أوجب لأهل مصر وقراها بعض الانقياد إليهم وعجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وأنهم عند قدومهم كتبوا كتباً وفرقوها فى البلاد وذكروا فيها أنهم ليسوا نصارى لأنهم يقولون أن الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وأنهم يعظمون محمداً ويحترمون القرآن وإنهم يحبون العثملى ولم يأتوا

إلا اطرد المالك الظالم لأنهم نهبوا أموالهم وأموال تجارهم ولا يتعرضون للرعايا في شيء  
لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المالك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من  
الناس لما قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم تفريده غرامة على البيوت وقتل منهم  
ما يقرب عن الألف وهتكوا بعض الأعراس في مصر وقراها فإن كل قرية حاربتهم  
نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالماً  
ودخلوا بجيوشهم الجامع الأزهر ومكثوا فيه يوماً وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض  
علماء ونهبوا منه أموالاً كثيرة وسبب وجودها فيه أن أهل البلد ظنوا أن العسكر  
لأنه دخله فحولوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التي حول الجامع ونشروا  
الكتب التي في الخزانة يعتقدون أن بها أموالاً وأخذ من كان معهم من اليهود الذين  
بترجمون لهم كتباً ومصاحف نفيسة وكان خروجهم مهمة مولانا سلطان سلاطين أهل الأرض  
مولانا السلطان سليم خان لازال محفوقاً برعاية الحنان المنان وبتدبير وزيره الأعظم وكان  
مكث بونا برته أمير الجيوش الفرنسية في مصر سبعة أشهر ثم ذهب لقتال أحمد باشا  
الجزار بعكا ثم توجه إلى بلاد الفرنسيين وجعل له نائباً منهم بمصر ولما وصل بونا برته  
إلى الفرنسيين ويقال له نابليون استعانوا به في إصلاح خلل كان حاصلًا ثم ساق جيوشاً  
لمحاربة إيطاليا والنمسا وانتصر عليهم، وفي سنة ١٢١٩ أقاموه إمبراطوراً على فرنسا كافة  
وشن الغارات على دول أوروبا وحارب الروسية والنمسا والانكليز والبروسية وقائه  
طويلة أفردت بالتأليف ثم تجمعت جميع ملوك أوروبا وانفقوا على حرب فرنسا فأصاب  
فرنسا من ذلك شذائد عظيمة وسموا من كثرة الحرب فاتفقوا على خلع بونا برته ودعوا  
الوزير الثامن عشر ليملكوه عليهم فاما علم ذلك بونا برته استعفى وذلك سنة ١٢٣٠ فملكوا  
الوزير الثامن عشر وأعطوا بونا برته جزيرة الألب ليملك عليها ثم بعد سنة أتى باريس  
فهرب الوزير الثامن عشر وعاد إلى انكلترا فنهضت الدول لمحاربة بونا برته وإعادة  
الوزير إلى ملك فرنسا وجرت أمور يطول ذكرها وآخر الأمر تنازل عن الملك إلى ابنه  
فلم تقبل الدول المتعدة أن يتبوا الملك أحد من سلالة فذهب بونا برته إلى رشغورت

وطلب من حكومة الانكليز أن تقبله ضيفاً في بلاده فأجابته أولاً إلى ذلك فركب إلى أحد الموانى الانكليزية ، وقبل أن ينزل إلى البر أرسلت إليه الحكومة الانكليزية تخبره أنه أسير الدول المتحدة ثم شيعوه إلى جزيرة هيلانة فبقي أسيراً إلى أن هلك سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف وعمره أربعة وخمسون سنة وانرجع إلى إتمام الكلام على ما كان في بقية زمن السلطان سليم .

## ذكر خلع السلطان سليم

سبب ذلك أن السلطان سليم كان يرغب أن يلاشى وجاه الانكشارية ويقيم مكانه عسكراً جديداً على الطريقة الافرنكية لأن الانكشارية كانوا قد زعزعوا أركان السلطنة بمصيانهم وعدم انقيادهم ، وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد ، فهاج الانكشارية من ذلك وأثاروا في القسطنطينية شغباً عظيماً بطول الكلام بذكره ، واعتصبوا عصبية واحدة وكان موافقاً لهم على منع النظام الجديد عطاء الله افندي شيخ الإسلام وقائم مقام صدر أعظم فقوى أمرهم به وقال لهم أنه لا يجوز أن تكون عساكر الإسلام متشبهة بالكفار ، وحيث أحدثوا النظام الجديد كانوا متشبهين بالكفار ، فقويت هذه الحجة في صدورهم ، وقالوا سيروا بنا لنلاشى النظام الجديد وننتقم من الوزراء الذين أفسدوا طهارة الإيمان بأفعالهم الشنيعة ، وتحالفوا على ملاشاة وجاهات المساكر الانكشارية الذين هم أعمدة مملكة الدولة العلية وبعد هذا الحديث أخرجوا ورقة فيها أسماء بعض أشخاص من رجال الدولة يريدون قتلهم أرسلها إليهم المفتي عطاء الله افندي فأخذوا يتلونها ويسمعون الأشخاص الذين يريدون قتلهم ، ثم ساروا يفتشون على أولئك الأشخاص فوجدوا بعضاً منهم فقتلهم واختنق كثير من أولئك الأشخاص في بيوت النصراني واليهود وقتلوا خلقاً كثيراً وأحضروا ١٧ رأساً من أعظم رجال الدولة وظل الدم جارياً في القسطنطينية ٣ أيام ثم صمموا على طلب السلطان سليم والقبض عليه ليخلعوه وصاروا يقولون يا أيها السلطان المشوش بهذه التعاليم نسيت أنك أمير المؤمنين وعوضاً عن اتكالك على الله القادر العظيم الذي يبدد بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد

وأردت أن تشبه الإسلام بالكفار وأغضبت الله فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ومحامياً عن الدين فالعساكر المحافظة على كرسيتك لم يبق لهم ثقة بك، والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفضل على كل شيء شرف الإيمان وسلامة الإسلام وبعد كلام كثير صارت قراءة الفتوى التي مضمونها أن السلطان الذي يخالف القرآن الشريف هل يترك على تخت السلطنة؟ الجواب كلا: ثم قال القارىء قد صار معلوماً عندكم أنه تحتم عزل السلطان فما قولكم الآن هل تسلمون له أن يفعل ما يخل بالإسلام فصرخت العساكر كلا ثم كلا لا نقبله سلطاناً علينا فليعزل وصرحوا باسم السلطان عبد الحميد وقالوا ليعيش السلطان مصطفى، وأرسلوا المفتى للسلطان سليم ليتنازل عن السلطنة من دون مقاومة، فدخل عليه متذلاً منخفض الرأس قائلاً يا مولانا إني قد حضرت بين يديك برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان، وإيس خافياً على مسامعكم الشريفة بأن العساكر الانكشارية قد نادوا باسم السلطان مصطفى ابن عمك سلطاناً عليهم فالآن لا سبيل إلى المقاومة فالتسليم لأمر الله أوفق من كل شيء، فلم تظهر على السلطان سليم كآبة من هذا الحديث وقبل كلام المفتى ونزل عن السلطنة وكان ذلك في ٢١ من ربيع الأول سنة ١٧٢٢ مدة سلطنة السلطان سليم ثمانى عشرة سنة وثمانية أشهر وإذا كان ذاهباً يمتلئ في مكان منفرد عن سرايا التقي بالسلطان مصطفى قادماً ليجلس مكانه على تخت السلطنة فقال له يا أخى اهبطنى الله من العرش العتيد لأن تجلس عليه أنت لأننى أردت وضع تفضيحات لتقوية المملكة والدين وصلاح حال العسكر الذين جهلوا تعاليمهم وتركوا قوانينهم، فهاجت على العساكر مع بعض رجال الدولة وأرسلوا يطلبون منى التنازل عن تخت السلطنة ونادوا باسمك وها أنا ماض بكل رضا أعيش منفرداً وأما أنت فإنك سعيد أكثر منى فأرغب إليك أن تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى فلم يصنع السلطان مصطفى لكلام السلطان سليم وأراد السلطان سليم أن يعانقه فلم يمكنه من معانقته فلما وصل السلطان سليم إلى المكان الذى يريدون وضعه فيه وجد السلطان محمود أخا السلطان مصطفى ما كثنا فى ذلك الموضع عليه آثار الرقة والنباهة وعندما شاهد السلطان سليم التفاهة قبل يده ذار فادموعاً غزيرة فحرك السلطان

سليم إلى البكاء وجلسا في ذلك الموضع وطالما كانا يتحدثان دائماً بالأمر المشيدة أركان الدولة والدين هذا ما كان من أمر السلطان سليم والسلطان محمود .

## ذكر ولاية السلطان مصطفى بن عبد الحميد

وأما السلطان مصطفى فإنه بوصوله إلى إمام أولئك العساكر فرحوا به فرحاً عظيماً وأجلسوه على تخت السلطنة وبسبب هذه الحادثة العظمى والفتنة الظلماء حصل الخوف لجميع أهل القسطنطينية وقفلت الحوانيت ووقع الرعب في قلوب الجميع ، ثم أطلقت المدافع علامة على جلوس السلطان مصطفى ونودي في المنابر بإسمه وتقدم المفتي شيخ الإسلام قائمقام موسى باشا إلى الجميع التي كانت مجتمعة في فسحة آت ميدان وأخبرهم أن السلطان مصطفى قد وعد بإبطال ما كان مهتماً به السلطان سليم من موضع النظام الحديد وبارجاع العوائد القديمة ، فلما سمع الجميع هذا الحديث تفرقوا وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تخت السلطنة سلم زمام الأحكام بيد القائمقام كوسج موسى باشا وإلى المفتي شيخ الإسلام عطاء الله أفندي ، ولما بلغت هذه الأخبار الصدر الأعظم حلي مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش التي خرجت لقتال الروسية كما تقدم حزن لذلك وغضب غضباً شديداً هو ومن معه من العساكر وكان من جملتهم مصطفى باشا البيرقدار فعدوا صلحاً مع الروسية ورجعوا بالعساكر ليتداركوا هذا الأمر وأرسلوا للعساكر الانكشارية الذين بالقسطنطينية يقولون لهم أنهم قادمون لنجدتهم وإمام رغبتهم ليطمئنوا بذلك ، وما دخلوا القسطنطينية إلا بعد مشاق وأراد البيرقدار مصطفى باشا إرجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى وطلب من الصدر الأعظم المساعدة على ذلك فأنكر عليه ذلك مبيناً سوء عواقب الأمور فغضب البيرقدار غضباً شديداً وأمر بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناساً يقتلون السلطان سليم فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر فلم يمهله إلى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه إلى الأرض فنهض حالاً عليهم كالأسد وصرعهم وكان قوياً جداً ثم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات ورجعوا به إلى السلطان مصطفى ( ١٨ - الفتوحات الإسلامية ٢ )

مسرعين و طرحوه ميتا امامه وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف وعمر  
السلطان سليم ثمان وأربعون سنة ، ثم أرسل أناسا وأمرهم بخنق أخيه السلطان محمود  
وكان البيرقدار هجم بجماعة مسرعين لإنقاذ السلطان سليم فوجدوه قد مات فاهتموا بأمر  
السلطان محمود وقال لهم البيرقدار عليكم بنجاة السلطان محمود لأنه هو الوارث الوحيد  
لتخت السلطنة الباقى من سلالة آل عثمان ، فأخذت العساكر تطلب السلطان مصطفى  
وتبحث عن السلطان محمود لأن السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين  
يريدون قتله أراد الفرار فرشقه أحدهم بخنجر أصاب يده فهرب وصعد على سطوح  
السرايا فلما نظرتة جماعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل إلى صحن الدار حيث كان  
البيرقدار وعندما نظر إليه البيرقدار فرح فرحاً عظيماً وحمد الله تعالى على خلاصه من  
أخيه وصار يقبل قدميه .

### ذكر ولاية السلطان محمود بن عبد الحميد

ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة وأرسل جنداً قبضوا على السلطان  
مصطفى وأمر بحبسه فلما ، تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً  
أعظم وسلمه زمام الأحكام فأخذ يجتهد في أخذ الثار من الذين قتلوا السلطان سليمان ثم  
شرع في تنظيم العسكر الجديد وأرسل وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة ،  
فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وإنفاذ أوامر  
السلطان طائناً رأيهم في ذلك فصادقوه مبدعين لأمر السلطان وتعهدوا بالمساعدة في كل  
ما يؤول انجاح الملكة وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في موضع ترتيبات جديدة  
أوجبت الملام عليه من كثيرين وأضربوا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهاراً ويدعونه  
بالكافر وعلقوا أوراقاً في الأسواق وعلى باب داره مكتوباً فيها قد قرب موت الصدر  
الأعظم وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد فأخذوهم  
بقننة وشتتوهم وأحاطوا بمنزله و طرحوا فيه النار ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها

وانقسم الناس فريقين فريقاً يريد التعليم الجديد وفريقاً يكرهه وقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثيرة وأحرقت دور كثيرة وحاصروا الصدر الأعظم في الدار التي كان فيها وأطلق عليهم الرصاص وقتل كثيراً منهم ، ثم ثار عليه صناديق بارود وكانت في داره فمات بسبب ذلك وكان قد أخرج جواربه ونسائه من الدار قبل ذلك فأحيلت الصدارة إلى يوسف باشا ، وكان ذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف وعزل شيخ الإسلام عطاء الله أفندي وأحيلت المشيخة إلى عرب زاده محمد عارف أفندي ، وكتب السلطان مصطفى وهو محبوس كتاباً لعمساكر الانكشارية يحرضهم على الغيرة وإرجاعه إلى السلطنة فوق ذلك الكتاب في يد بعض العلماء فذهب إلى شيخ الإسلام فجمع كثيراً من العلماء وأخذوا يتحدثون في عواقب هذه الأمور ويتشاورون في إطفاء هذه الفتنة وأرادوا أنه إذا بقي السلطان مصطفى في قيد الحياة لا تنطفى الفتنة فاختروا رجلاً من بينهم يقال له منيب أفندي كان قاضي اسلامبول ليعرض على السلطان محمود رأي العلماء ويلتمس منه قتل السلطان مصطفى فسار منيب أفندي إلى السلطان محمود وعرض عليه ذلك فأجابه السلطان محمود أن هذا أمر محال وكيف يتصور أن يصدر أمرى بقتل أخى مع كونى قادراً على منعه من هذه الأعمال ، وصار بينه وبين السلطان محمود محاورة كثيرة في ذلك وقال له منيب أفندي في غضون تلك المحاورة قد جاء في الحديث الشريف إذا اجتمع خليفتان فاقتلوا أحدهما فسق ذلك على السلطان محمود وحول وجهه إلى شباك هناك ولم يجبه بشيء لشدة أسفه على أخيه فقال منيب أفندي أن السكوت إقرار ، ففى الحال أرسل منيب أفندي إلى كبير البستانجية وقال أن مولانا السلطان قد صدر أمره الشريف بقتل أخيه السلطان مصطفى فاذهب وأتم أمره فذهب البستانجي باشا ومعه جماعة من أعوانه إلى الموضع الذي كان فيه السلطان مصطفى فأحس بهم السلطان مصطفى وعرف مقصدهم فاخترى بين فرش كانت هناك فدخلوا فلم يجدوه ورواوا أمام تلك الفرش خفية فقبلوا تلك الفرش إلى الأرض فوجدوا السلطان مصطفى تحباً فيه فقتلوه خنقاً وكان العلماء الذين اجتمعوا عند شيخ الإسلام وأرسلوا منيب أفندي للسلطان محمود ينتظرون رجوعه إليهم



بالجواب فلما أبطأ عليهم ظنوا أن السلطان محمود لم يقبل ما رأوه فتوجهوا جميعاً للسلطان محمود تقوية لمنيب أفندي وتصديقاله فدخلوا على السلطان محمود يلتمسون منه تمام ما عرضه عليه منيب أفندي فاتفق أنهم حين دخولهم قبل أن يبتدئوا بالحديث نظر السلطان محمود من الشباك فرأى إخراج جثة أخيه ميتاً فتألم من ذلك جداً ، والتفت إليهم وعيناه ممتلئتان بالدموع وقال لهم اسرعوا واهتموا بتكثير الجيوش وإحضار المهمات وإرسال العساكر لأننى أنا اليوم بحزن عظيم على موت أخى فحينئذ علم العلماء موت السلطان مصطفى فتوقفوا عما كانوا يريدون عرضه عليه وأخذوا يدعون له بطول العمر ويعزون له ويسلون له على فقد أخيه ، وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف فدة سلطنة السلطان مصطفى سنة واحدة وشهران وعمره ثلاثون سنة ولما استقرت السلطنة للسلطان محمود كانت أمور الدولة فى غاية الارتباك والاضطراب فمن ذلك أن عساكر الروسية كانت تتقدم إلى جهة تطونة مسرعة فبعث السلطان جيشاً عظيماً لمصادمتهم فلم يقدر أن يوقف سيرهم فطلبت دولة فرانساً أن تتوسط فى الصلح ، فرفض السلطان محمود مداخلتها لأنه أثر جداً من الشروط السرية التى عقدها نابليون ملك فرانساً مع اسكندر ملك الروسية فى نيليست التى من شأنها اقتسام دول أوروبا فيما بينهم حتى بلاد للدولة العلية واستمر فى مقاومة الروسية ومحاربتهم ولكن كانت الغلبة لهم فاستولوا على مدينة شملة وقلعة إسماعيل وعلى عدة مراكز حسنة وضابقوا العساكر العثمانية أشد مضايقة وبينما كانت المصائب محيطة بالدولة وإذا بطالع سعيد بزغ فى أفقها وذلك أن نابليون الأول ملك فرانساً أشهر الحرب على الروسية سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين ، وسار إليها بجيوشه الجرارة فالزم ذلك الروسية أن تخرج جيوشها من حدود الدولة العلية وعقدت صلحاً مع الباب العالى موافقاً جداً للدولة العثمانية فاغتم السلطان فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات فى ولايتى بغداد وأيدى وغيرهما فإنه فى سنة ألف ومائتين وست وعشرين أظهر سليمان باشا وإلى بغداد العصيان فأرسل إليه السلطان محمود من قتله .

## ذكر حرب المورة

في سنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين تحرك اليونان في المورة وجاهاروا بالمصيان على الدولة وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويرمون الفتن في جميع الأطراف فشق ذلك على الدولة العلية وأرسلت العساكر لدعوتهم وإدخالهم في الطاعة فشببت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم وبعث الباب العالي إلى محمد علي باشا والي ولاية مصر بأمره أن يرسل جيشاً لمحاربتهم فأرسل ولده إبراهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين ألف مقاتل مع عمارة بحرية ، ولما وصل إلى المورة انضم بجيشه إلى جيش الدولة العثمانية ودارت نيران الحرب ولما أيس الأروام من النجاة ونوال الاستقلال استنجدوا بالدول الأوروبية فبادرت دولتا فرنسا وانكلترا إلى التوسط في الأمر والسعي بالصلح فلم يجب السلطان محمود سؤالها فانضمت إليهما العمارة الروسية وبعثوا إلى إبراهيم باشا أن يوقف الحرب فأجاب أنه لا يقدر على ذلك إلا بأمر من السلطان فعند ذلك أطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فأحرقوها وكان ذلك سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين ، ولما بلغ الخبر السلطان محمود اضطر إلى إجابة سؤال الدول المتحدة وأمضى الصلح بشروط مخصوصة فيها إبطال الحرب واستقلال الأروام .

## ذكر قتل العساكر الإنكشارية

وفي سنة إحدى وأربعين أيضاً شرع السلطان محمود في تعليم بعض العساكر التعليم الجديد وشرع في تدمير الأمر في تدمير الإنكشارية وإبطال وجاقهم فأبرز أمراً سلطانياً يتضمن القدح في وجاق الإنكشارية وبيان الخلل الواقع منهم وتقلبهم على الدولة وقتلهم بعض السلاطين وأمر سليم باشا الصدر الأعظم أن يجمع العلماء في بيت شيخ الإسلام ويتلو عليهم الأمر الشاهاني ففعل ذلك فأجابوا بالامتثال بما يصدر به الأمر السلطاني وتمهدوا بإتفاده وكان مع الحاضرين جماعة يميلون إلى الإنكشارية فتعصبوا لهم سرّاً وأخبروهم بما صار عليه الاتفاق فهجموا على بيت الصدر الأعظم وبعض العظماء من رجال

الدولة وأخذوا ينادون في شوارع اسلامبول ويقولون اليوم قتل العلماء ورجال الدولة وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد ويقتلون كل من صادفوه منهم وينهبون البيوت ويطرحون فيها النار ففر الصدر الأعظم منهم وجاء إلى السلطان محمود وأخبره بتلك الحوادث فأمره أن يجمع الطوبجية وسائر أهل الإسلام أمام باب السرايا فاجتمع في ذلك النهار جم غفير من العلماء ورجال الدولة ينتظرون خروج السلطان إليهم ، فلما خرج إليهم أخذ يحدتهم بكلام يهيج به نخوتهم ، فأقسموا جميعهم على أنهم يريقون دمائهم في صيانة أوامره وتنفيذها والتمسوا منه إخراج الصنجق الشريف النبوي ليتهجموا على العصاة. فأراد السلطان أن يكون معهم فتوسلوا إليه أن لا يتنازل إلى ذلك وأرسلوا ينادون في شوارع المدينة ويدعون أهل الإسلام للاجتماع تحت الصنجق الشريف ، فلما علم بعض الإنكشارية بذلك أرسلوا أناساً من جماعتهم ينادون لاجتماع الإنكشارية ، فلما قرعت أصوات المنادين آذان أهل الإسلام وأسرعوا إلى فسحة السرايا أفواجا أفواجا ففرقوا عليهم السلاح وسلم السلطان الصنجق الشريف لشيخ الإسلام قاضي زاده طاهر أفندي ، وعاد إلى كرسيه الموكني ، وكان يشرف على الجميع أمام السرايا ، وسار سليم باشا الصدر الأعظم أمام تلك الجموع التي كانت أكثر من خمسين ألفاً وشنوا الغارة على الإنكشارية صارخين الله أكبر على الأشقياء وهجموا عليهم وأطلقوا المدافع والرصاص ، وكان يوماً مهولاً عظيماً ، فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف والباقيون فروا إلى قشاهم وتحصنوا فيها فهجم عليهم العساكر والأهالي ، وطرخوا فيها النار فاحترق كثير منهم ومن بقي ولوا الأدبار ثم قبضوا على كثير منهم فقتلهم وطرخواهم في فسحة آت ميدان ، وبعد ذلك دعا السلطان إليه العلماء ووكلاء الدولة وأخذ يريهم أثواب السلاطين العظام المطلخة بالدماء الذين قتلهم العصاة الإنكشارية طالباً ثمن دم السلاطين ، فأجاب العلماء أن ثمن دم كل سلطان خمسة وعشرون ألف نفس ، فصدرت الأوامر بتدمير الإنكشارية في الاستانة العلية وفي جميع الجهات فقتل منهم عدد كثير وارتاحت الدولة والناس من مظالمهم ، وألحق بهم بعض الدراويش من البكطاشية لكونهم يميلون إليهم ، ويساعدونهم ويفعلون في

تسكياتهم أفعالا شنيعة محرمة ، وبدعا مسترذلة ، فأمر السلطان بقتل أكثرهم ، وهدم تسكياتهم ، وأخذت الدولة في تكثير العساكر النظامية والجد في تعليمهم وأبطلت وجاهق الانكشارية وفي أثناء تلك المدة غير السلطان محمود لبسه ونزع العمامة والجببة ، وتزيا بزى العسكر الجديد على هيئة الأوروبيين وبالطربوش الصغير ولم يبال بأقوال المعترضين .

## ذكر القتال مع الروسية

في سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند نهر الطونة وسار جيش إلى جهة الأناضول فأرسلت الدولة عساكر لمصادمتهم تحت قيادة الصدر الأعظم سليم باشا فوقع بين الفريقين حرب شديد وتغلقت عساكر الروسية وهزموا عساكر الدولة ، واستولوا على جملة أماكن وتقدمت عساكرهم إلى شوملة وأقاموا الحصار على سليسترة واستولوا على مدينة وارنة ، فعزل السلطان الصدر الأعظم سليم باشا ، وأمر بنفيه وأقيم في الصدارة محمد عزت باشا وسارت بعض عساكر الدولة إلى جبل البلقان فتركت الروسية محاصرة شوملة ، وكانوا قد استولوا على سليسترة وكانت عساكر الروسية التي في الأناضول تتقدم ، فملكوا القرص وبايزيد وطبراق وأرض روم واستأسروا صالح باشا وجاء جيش الروسية فيه مائة وستون ألف مقاتل وحاصروا أدرنة حصاراً شديداً إلى أن استولوا عليها ، ولما اشتد الأمر على رجال الدولة وعلى السلطان محمود اضطربت الأمور اضطراباً كثيراً إلا أن السلطان محمود أظهر الثبات وقوة الجنان في وسط تلك الأخطار المحدقة به وبدولته ، ثم تداخلت دول أوروبا في الصلح وأتموه بشروط سنة خمس وأربعين ومائتين وألف ومآل تلك الشروط استقلال الأروام وتنازل الدولة عن إقليم الصرب والأفلاق والبغدان لملوك من أهل تلك البلاد تحت نظارة ملك الروسية وعن بعض جزائر عند فم نهر الطونة وعن بعض أراض في الأناضول مع غرامة حربية قدرها مائة وعشرة ملايين فرنك قال بعض مؤرخي الفرنج وربما استغرب القاريء كيف أن الدولة التي سادت على أغلب ممالك العالم وأوقعت الرعب في قلوب

جميعهم لم تستمر في نموها وتقدمها حتى التزم سلاطينها إلى أن يرتضوا هذه الشروط فإذا نظرنا إلى هذا الأمر بعين خالية عن الغرض بحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف أمكن هذه الدولة أن تحمل هذه الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من أعدائها مع وجود الخلل في داخليتها بسبب أصحاب البغى والفساد وقلة الأموال ولم تتزعزع أركانها بل استمرت في سلك النبات العجيب ولم تستطع توة أو سبب آخر أن يثنيها وإذا ضمنا إلى هذه الأسباب الخلل الذي أوقعه وجاق الإنكشارية وعدم تمام انتظام الترتيب للمسكر الجديد وعدم تمرن الجيوش بفنون الحرب وملاقات الأهوال لربما حق العجب كيف لم تنقرض هذه الدولة أصلاً واستطاعت أن تناضل إلى هذه الدرجة مستهينة بكل الموانع التي تعرضت لها فهذا أعظم برهان على عظمها وسطوتها انتهى كلامه ، وأقول إن هاهنا سرأ إلهياً لتأييدها وهو سر بركة الإسلام وسر بركة النبي صلى الله عليه وسلم وسريان روحانيته لتأييد ملته وأهل دينه والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ذكر استيلاء الفرنسيين على الجزائر

وفي سنة خمس وأربعين وألف ومائتين استولت الفرنسيين بقوة جبرية على جزائر الغرب مدعين أن أهلها كانوا يقبضون على مرا كبهم التجارية ويربطون عليهم البحر في تلك الجهات ويفتكون بهم ، فلما بلغ الباب العالي ذلك أرسل طاهر باشا قبودان إلى الجزائر يتعاطى الصلح بينهم وبين أحمد باشا وإلى الجزائر فلما وصل وأراد النزول إلى البر منغته الفرنسية فعاد راجعاً إلى القسطنطينية ، والجزائر المذكورة كانت في حكم الدولة العلية من حين تملكها السلطان سليمان ، فلما طالت المدة صار الولاية الذين فيها يتوارثون الولاية بالتغلب ويدفعون خراجاً للدولة ويكون تحت أمر الدولة ظاهراً ومتغلبين باطناً فلما حدثت الدولة العساكر السلطانية بالتعليم الجديد امتنع والى الجزائر من تعاليم عساكرها ولم يمثل أمر السلطان في ذلك فقيل أن السلطان محمود هو الذي ساط عليه الفرنسيين لتأديبه فجاؤا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر إلى أن قبضوا على الباشا المتولى عليها وذهبوا به إلى بلادهم وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر ، فلما تملكها الفرنسيين لم ترجع تلك الجزائر

لحكم الدولة بل استولى عليها وبقى على ذلك إلى عصرنا هذا .

## ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان محمود

في سنة سبع وأربعين ومائتين وألف وجه محمد علي باشا والي مصر جيوشه برأ وبحراً  
لتملك الشام وجعل قيادتها لولده إبراهيم باشا فحاصر عكا وافتتحها مظهرأ الانتقام من  
عبد الله باشا والي عكا لأسباب كانت بينهما وفتح في طريقه غزة ويافا وحيفا ، فلما بلغ  
الدولة ذلك غضبت وأرسلت تأمر محمد علي باشا برجوع العساكر وإانه إذا كان بينهما  
دعوى يقدمان إلى الباب العالي فيحكم بينهما فلم يمثل لأوامر الدولة فأبرزت الدولة فرمانا  
بمصيان محمد علي باشا وتنزيله عن ولاية مصر وصدر الأمر السلطاني لوالي حلب بجمع  
العساكر لمحاربة إبراهيم باشا وخرج حسين باشا بعساكر من الأسقانة وحصل القتال بين  
الفرقتين خارج طرابلس فهزموهم إبراهيم باشا واستولى على الأقطار الشامية وقبض على  
عبد الله باشا والي عكا وأرسله إلى الأسكندرية لأبيه محمد علي باشا ولما وصل إبراهيم باشا  
إلى دارايا قرب دمشق خرج إليه على باشا وزير دمشق واشتبك الحرب بينهما فهزموهم  
إبراهيم باشا وخرج أهل دمشق يسألونه الأمان فأمانهم ودخلها وتقدم إلى حمص واشتبك  
القتل بينه وبين والي حلب ، وكان يوماً عظيماً وحرباً شديداً من أشهر الوقائع قتل فيه خلق  
كثير واستولوا على المهمات جميعها وانهزم والي حلب ورجع إليها فقفلت في وجوههم  
الأبواب فساروا إلى أنطاكية ولما وصل إبراهيم باشا إلى حلب خرج أهالي حلب  
لاستقباله فدخلها وتسلم ما كان فيها من الذخائر والمهمات وأمن أهلها ثم سار إلى أنطاكية  
وحاربهم فيها ثم إلى بوزاز ببلان ولما بلغ الباب العالي تقدم العساكر المصرية سير رشيد  
باشا الصدر الأعظم بالجيوش لحربهم فتقدم إلى قونية والتقى الجيشان واشتبك القتال  
وانهزمت عساكر الدولة وقبض على رشيد باشا الصدر الأعظم وآتى به إلى إبراهيم  
باشا فقبله بكل إكرام ثم خلى سبيله وامتدت هذه الفتنة والحروب إلى سنة خمس وخمسين  
ومائتين وألف ، ثم صدرت الأوامر السلطانية إلى حافظ باشا ليسير لمحاربة إبراهيم باشا  
فالتقى الجيشان بالقرب من مرعش واقتتلا ووقعت الهزيمة أولاً على عساكر إبراهيم باشا

وكان في وادي عسر ، فجمع العساكر وخرج بهم من ذلك الوادي وصعد إلى تل كان تجاه  
معسكر حافظ باشا وأخذ يطلق عليهم المدافع فمطل أ كثر مدافعهم وفرق صفوفهم ثم  
هجم عليهم بمسالكه هائلة فانهمزموا أمامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عائدين إلى  
مرعش وقتل من الفريقين خلق كثير ، وهذه الواقعة من أشهر تلك الوقائع التي وقعت في  
تلك الحروب وأعقبها إبراهيم باشا بفتح أكثر الجهات في تلك البلاد ، ولم تصل  
أخبارها إلى القسطنطينية إلا بعد وفاة السلطان محمود بثمانية أيام ، ومن فتوحاته إخراج  
الخوارج الوهابية من مكة والمدينة وتطهير الحرمين منهم ، وقد تقدم ذلك عند ذكر  
السلطان سليم بن مصطفى لكون ابتداء القتال مع الوهابية كان في مدة سلطنته لكن  
اتمام الأمر ما كان إلا في زمن مولانا السلطان محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد ، فذلك  
من فتوحاته ، ومن فتوحاته المعنوية اعتناؤه بأهل الحرمين كمال الاعتناء ، فإنه صدرت  
الإرادة الشاهانية من دولته بتحرير ما كان يصرف لهم من قمح الجراية ، فوجدوا  
أكثر ذلك بيد الأغنياء ، والتجار كانوا يأخذونه من الفقراء بالفراغ بعوض حقير ،  
فصار الفقراء ليس لهم شيء ، فصدر الأمر الشاهاني بنقض ذلك وإبطاله وتجديد كتابة  
دفتر بأسماء المستحقين فحصل تجديد ذلك في المدة التي كان فيها محمد علي باشا بمكة حين  
جاء لقتال الوهابية وكتب الله ذلك صدقة جارية في صحيفة مولانا السلطان محمود وصحيفة  
كل من كان له إعانة ، وتسبب في ذلك ، ومن حسنات السلطان المذكور وفتوحاته  
أنه كان في مدة سلطنته بجديد قبعة مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة خديجة  
زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وقبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم وقبة سيدنا  
عبد الله بن عباس بالطائف فإن القباب المذكورة هدمها الوهابي وجدها مولانا السلطان  
محمود ، وهدم الوهابي أيضا قبباً كثيرة بالمدينة على قبور الصحابة وبعض الأولياء فجدها  
مولانا السلطان المذكور ، ومن خيراته وفتوحاته المعنوية أنه جدد لأهل الحرمين خيرات  
ومرتبات زيادة على الذي كان مرتباً لهم من أسلافه وذلك أنه في سنة إحدى وخمسين  
بعد المائتين والألف رتب مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين وللقائمين بخدمة

المسجدين الشريفين مثل المؤذنين والقراشين والكناسين والبوابين ، وجعل للجميع  
أمرتبات جزيلة من النقود الجليلة بعضها شهريات وبعضها سنويات ، واشترى لذلك  
عقارات كثيرة وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة فصارت حسنة  
جارية إلى هذا الوقت يحصل منها كمال النفع والإعانة للمذكورين على معاشهم  
ومن وقت هذا الترتيب كان ابتداء وضع المدير والمديرة بمكة والمدينة ولم  
يكن ذلك موجوداً قبل ذلك ، ثم أن ولده مولانا السلطان عبد المجيد ضم إلى ذلك  
الترتيب مثله في مدة سلطنته كما سيأتي ذكر ذلك عند ذكره وكانت مدة سلطنة السلطان  
محمود ٣٢ سنة وعمره خمس وخمسون سنة وكانت وفاته ١٩ ربيع الأول سنة خمس وخمسين  
ومائتين وألف .

### ذكر ولاية السلطان عبد المجيد

وجلس على تخت السلطنة بعده ولده السلطان عبد المجيد فجهز الجيوش لقتال  
عساكر محمد علي باشا وإخراجها من الشام وأعانه على ذلك دولة انكلترا وكانوا عرضوا  
على السلطان محمود الإعانة ، فأبى فلما توفى وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد قبل أعانتهم  
فأعانوه وسير جيوشه إلى الشام فهزموا عساكر إبراهيم باشا وأخرجوهم من الأراضي  
الشامية وأرادوا التوجه إلى مصر والأسكندرية لإخراج محمد علي باشا فتوسطت دولة  
انكلترا بالصلح إلى أن آمنوه بشرط أن تكون الاسكندرية ومصر وأقطارها لمحمد  
علي باشا ولأولاده من بعده وضربوا عليه خراجاً معلوماً يدفعه في كل سنة ويرجع إلى الدولة  
الشام والحجاز ، وتم الأمر على ذلك وكانت مدة تملكه الأقطار الشامية قريباً من مدة  
تسع سنين وفي مدة السلطان عبد المجيد قوى الإنجاد مع دواتي فرانسوا وانكلترا فحسنوا  
له أحدث القوانين المسماة بالتنظيمات الخيرية فصدر منه فرمان السلطاني بذلك سنة خمس  
ومائتين وألف وهي سنة جلوسه على تخت السلطنة .



## ذكر الحرب مع الروسية

في سنة تسع وستين ومائتين وألف كانت الحروب العظيمة بين السلطان عبد المجيد  
والروسية المسماة بحرب القرم وسببها أنه وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس  
من عدة سنين بسبب كنيسة القيامة وبعض الأماكن المقدسة فكانت كل طائفة منهما تدعى  
لنفسها حق الرياسة والتقدم على الأخرى باستيلاء مفاتيحها ، ثم أخذت هذه المسألة تتعاضم  
بينهما وتمتد يوماً بعد يوم إلى أن آل الأمر إلى النزاع والجدال في سنة ثمان وستين ومائتين  
وألف فوق الباب العالي في ارتباك وحيرة من جهة تسكينها وإخماد نارها لأن الروسية  
كانت تحامى عن حقوق الروم وفرانسوا تحتشد لطرف اللاتين فتدخل سفير انكلترا في  
صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً لاكتلاف الملتين المتخالفين فقبلته فرانسوا ولم تقبله الروسية  
لأن مقصدها التوحيد ولم يكن مقتصرأ على المحاماة عن حقوق الروم بل كان لها غايات  
أخرى طالما كانت تجتهد على نواها وتترقب الفرص لاستحصالها وهو إبعاد الدولة العثمانية  
من قارة أوروبا والاستيلاء على أقاليمها وولاياتها فاتهمز أمبراطورها نقولا تلك المفازة فرصة  
مناسبة لتوال بغيته وبلوغ أربه فبعث سفيراً إلى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبد المجيد بعد  
أن كان بعث جيشاً يبلغ مائة وأربعة وأربعين ألفاً إلى نهر الطونة ليكون مستعداً لوقت  
الزوم والحاجة ، فلما وصل السفير المذكور إلى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا  
وزير الخارجية ودخل رأساً على الحضرة الشاهانية وعرض عليه مطالب الأمبراطور نقولا  
في المسألة المتعلقة بالأماكن المقدسة وأن جميع الروم الذين هم من تبعه الدواة العالية تتكون  
تحت حمايته من الآن فصاعداً وأن بطرق الروم القسطنطيني وبقا أساقفة الطائفة يكون  
انتخابهم وتغييرهم منوطاً به وأن الشكاوى والدعاوى التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم  
تعرض عليه لينظر فيها ، فاستعظم السلطان هذه المطالب ورفضها لأنها مخلة بعاموس السلطنة  
ومغايرة للأصول وقوانين الدول ، فانثنى السفير راجعاً من حيث أتى . وأعلم الأمبراطور  
نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضباً ، ثم أصدر أمراً إلى العساكر التي أرسلها إلى أطراف  
الطونة أن تعبر النهر وتستولي على تلك الأطراف فاجتازت النهر وشتت الغارات على

إمارات الأفلاق والبغدان واستولت عليها ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش إلى أطراف بلاده علم أن مقاصد الروسية في تطلباتها لم تكن إلا وسيلة لإشهار الحرب فجهز جيشاً وأرسله إلى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين ولما تأكدت الدول الأوروبية بغية الروسية ومقاصدها بادرت انكلترا والروسية والنمسا إلى عقد جمعية للنظر في إجراء الرفاق بين الدولتين وأرسلت كل دولة منهما معتمداً من طرفها إلى مدينة أينا حيث وافاهم سفير من طرف الروسية وآخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلساً في سنة ألف ومائتين وسبعين لم يأت بالمرغوب فلما لم يكن سبيل للصلح أشهر الباب العالي الحرب وصدّم سليم باشا العساكر الروسية في الأناضول وانتصر عليهم في عدة مواقع وهاجمهم عمر باشا في الروم إلى وانتصر عليهم أيضاً، وأما العمارة التي للروسية بالبحر الأسود فصدمت العمارة العثمانية واستظهرت عليها بعد حرب شديد فأتلفتها، وكانت مؤلفة من سبعة فركات وبخرتين وثلاثة مراكب حربية ثم أن انكلترا وفرنسا لما تيقنتا سوء نتائج هذه الحرب احتشدتا لمعونة السلطان وأعلنتا الحرب على الروسية وفي سنة إحدى وسبعين ابتدأتا في نقل رجالهما ومهماتهما إلى ساحة الحرب واشتبكتا في القتال وأما باقي دول أوروبا فكانت محافظة على الحياد وكانت دولة انكلترا قد أرسلت عمارة بحرية إلى بحر بلتيك، فاستولت على قلعة بومارستورد ثم على جزيرة الاندولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظراً لخصاتها وإذا كانت سيواسطبول أعظم قوات الروسية التي يعولون عليها في البحر الأسود وجهت انكلترا وفرنسا قواهما لافتتاحها والاستيلاء عليها فأرسلتا فرقاً من عساكرهما عددها ستون ألفاً، وكان أكثرها فرنساويين فنزلوا في بوياسرايا وفيما كانوا يتقدمون إلى سيواسطبول صادفهم العساكر الروسية فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً إلى أن دارت الدائرة على الروسيين فانهمزموا عند نهر الماء وكان جيش عساكر الروسية يحاصر مدينة سلسرة ولم تقدر على أخذها فخرجت عليهم العساكر العثمانية من المدينة وانتحمتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا إلى آخرين وقصدوا القرم لاجدة حصار قلعة سيواسطبول التي إليها وجهت الروسية كل قوتها من

المهمات والعساكر والذخائر وصادم جيش من الانكليز جيشا للروسين عند بالا كلا فانتصروا عليهم بعد ما فقد منهم خلق كثير وكان جيش للروسية محاصراً في أق كرمان وعدادهم ستون ألفاً فخرجوا من مكان حصارهم واقتحموا العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة الحسرة على الفريقين وانجحت بانهزام الروسية وألزمهم حصن المدينة ولم يكن حينئذ في قوة الدول المتحدة الاستيلاء على سيواسطبول مع أنهم كانوا يزيدون في قوتهم الحربية وبيكثرون هجماتهم وقنابهم ولم يقدرُوا على استخلاص تلك القلعة أو أن يمنعوا المساعدات التي كانت تأتيها من داخل البلاد ولقد قاست العساكر المتحدة لاسباب الانكليز في شتاء سنة إحدى وسبعين وشتاء اثنتين وسبعين أهوالاً وشدائد بكل اللسان عن وصفها وتعدادها فإن الأمراض والأوجاع قد أخذت في العساكر كل مأخذ وأهلكت كثيراً منهم فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والأبحر للفتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات ، أما إيطاليا فقد هيات جنودها للحرب وانضمت إلى الدول للتحدة فأرسلت خمس عشر ألف مقاتل بعد ما تعهدت لها انكلترا بدفع مبلغ مليون ليرة على سبيل الإعانة واشتهرت رجالها في تلك المجامع بالشجاعة والثبات وفي خلال ذلك هلك الامبراطور نقولاسنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه ، وفي خلال ذلك وقعت واقعة هائلة بين الروسية والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على الروسية واستولت جيوش فرانساً على قلعة ملاكوف وإذا ببق للروسية استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سيواسطبول في مساء ذلك النهار وعولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة القلعة وامتلكها فانفتحت حينئذ محادثات الصلح وعقدت جمعية في باريس سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحاربة وهي انكلترا وفرنسا والعمانية والنيمسا وبروسيا وسردانيا وأمضت شروط الصلح متضمنة أربعة وثلاثين بنداً أخصها أن الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول أوروبا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية ، وأنها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول وأن البحر

الأسود يكون بمعزل عن جولان مراكب حربية فيه من أى جنس كان ماعدا الدولة العثمانية والروسية فإن لها حقاً في إدخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لأجل محافظة أساطيلها وأن لا يكون للدولة العثمانية ولا للروسية ترسانات بحرية حربية على شواطئ البحر الأسود إلى غير ذلك من الشروط ، ثم انسحبت العساكر إلى مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لها داع سوى المطامع ، وفي سنة اثنتين وسبعين كانت فتنة عظيمة بمكة المشرفة بين أهالي مكة وعساكر الدولة بسبب ورود أمر يمنع بيع الرقيق وانتهت في رمضان بالقبض على الشريف عبد المطلب ابن غالب أمير مكة وتولية الشريف محمد بن عون والكلام عليها طويل . وفي سنة أربع وسبعين وقعت فتنة في جدة بين أهالي جدة والنصارى الذين بهما بسبب اختلاف بعض أهل المراكب في وضع بنديرة الإسلام أو الإنكليز على بعض المراكب والكلام عليها أيضا طويل . وفي سنة ست وسبعين كانت فتنة بالشام بين النصارى وأهل الشام والكلام عليها أيضا طويل ، وفي سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين حدثت فتنة عظمى بين الدروز والنصارى في جبل لبنان آل الأمر إلى وقوع حرب بين الفريقين وكانت النتيجة رديئة على النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمام بعضهم لبعض وعدم انقيادهم لبعضهم فتكت بهم الدروز فأرسل الباب العالي فؤاد باشا ليمهد الأمور وينتقم من المذنبين ، وأرسلت فرانسوا عشرة آلاف جندي للمحافظة ومنع التعدي وكذلك باقى الدول الإفرنجية منها من أرسل مراكب حربية ومنها من أرسل نوابا لإصلاح الحال وتمهيد الأمور وأبعد جرادما يازم لإجراؤه استحسنست الدولة العلية باتفاق الدول وضع نظمات جديدة لأهل هذا الجبل وأن تتحول أحكامه لمشير من الطائفة النصرانية من غير أهالي الجبل ليكون متصرفا بها ويخبر الرؤساء الباب العالي فتوجهت المتصرفية لداود باشا الأرمنى ومن خيرات السلطان عبد الحميد وفتوحاته المعنوية تجديد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فإنه كان على بناء السلطان قايت باي وكان مسقفا بالخشب فطالت مدته وحصل فيه خراب فصدرت لإرادة مولانا السلطان عبد الحميد بهدمه وتجديده سنة ١٢٧٠ فهدم وجدد وجعل سقفه قيبا وطواجن كالمسجد الحرام وتم

عمارة بعد مضي أربع سنين فجاء على صفة لم يرا الراؤن أحسن منها وله عمارات كثيرة في الأماكن المأثورة بالحرمين الشريفين له تجديد ميزاب للكعبة المشرفة سنة خمس وسبعين ومائتين ألف ، وتوفي السلطان عبد الحميد في سبع عشر ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة أشهر .

## ذكر ولاية السلطان عبد العزيز

وأقيم في السلطنة بعده أخوه السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني ، وفي سنة ٧٨ أظهر العصيان أهل الجبل الأسود فسير السلطان عبد العزيز إليهم جيشاً فقاتلهم وهزمهم ثم رجعوا إلى الطاعة ، وفي سنة ١٢٨٣ أظهر العصيان كثير من الأروام بجزيرة كريد وكثير من البندقية فجهزت الدولة عليهم جيوشاً برأ وبحراً وكذلك جهز صاحب مصر عساكر كثيرة برأ وبحراً فكانت مع عساكر الدولة ووقع بينهم وبين العصاة حرب شديدة كان النصر فيها لعساكر الإسلام وأذاقوا العصاة الوبال وأرجعوا إلى الطاعة . وفي سنة ٧٩ توجه السلطان عبد العزيز إلى الديار المصرية للتنزه والتفرج وكان ذلك في ولاية إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا . وفي سنة أربع وثمانين توجه السلطان المذكور إلى باريس تحت ملك الفرنسيين للتنزه والتفرج أيضاً ثم منها توجه إلى بلاد الانكليز للتفرج والتنزه أيضاً وكان في رحلته هذه مر على أدرنة وعلى قلعة بلغراد وكان الصرب قد طلبها منه وقيل النيمسا فأعطاه إياهم فحين عاين تحصينها غضب لذلك وكانوا أخبروه أنها مهدومة وأنها مدينة كاسدة فأعطاهم قبل أن يراها فلما رآها ندم حيث لا ينفع الندم . وفي سنة ٨٨ كانت فتنة عظيمة ببلاد عسير فجهزت الدولة جيشاً تحت قيادة رديف باشا فسار حتى صعّد جبال عسير وقاتلهم وهزمهم وقتل أميرهم محمد ابن عائض بن مرعي وقتل معه جماعة من عشيرته وأسرى كثيراً وأرسلهم إلى الأستانة وصارت بلاد عسير في حكم الدولة العلية منضمة إلى ولاية صنعاء اليمن . وفي هذه السنة أيضاً كانت فتنة عظيمة بين دولة البروسية وفرنسا آل الأمر

فيها إلى هزيمة الفرنسيين وأسر ملكهم نابليون الثاني والكلام عليها طويل مفرد  
بالتأليف ، وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف في السابع من شهر جمادى الأولى خلع  
السلطان عبد العزيز ومات رحمه الله تعالى بعد خمسة أيام وعمره ٤٨ سنة ومدة سلطنته  
ست عشرة سنة وأربعة أشهر .

## ذكر ولاية السلطان مراد الخامس

وأقيم في السلطنة بعده السلطان مراد الخامس ابن السلطان عبد الحميد ابن السلطان  
محمود الثاني ثم خلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام في ثالث شعبان من السنة المذكورة أعنى سنة  
١٢٩٣ ( والسبب ) في خلعه أنه وقع له خلل في عقله وبعد أيام مضت بعد بيعته فلما تحققوا  
خلل في عقله استفتوا فيه شيخ الإسلام خير الله أفندي فأفتى بخلعه لأن شرط الخليفة أن  
يكون متصفاً بالعقل فخلعوه وبايعوا أخاه سلطان العصر مولانا السلطان عبد الحميد الثاني وبقي  
السلطان مراد المخلوع في داره وأما السلطان عبد العزيز فإنه بعد خلعه بأيام قلائل أقل من  
الأسبوع توفي فأشيع أنه قتل نفسه بمقص قص به عرقاً في ذراعه فمات من ذلك . وفي سنة  
ثمان وتسعين ومائتين وألف نفي جماعة من الوزراء إلى الحجاز فحبسهم في قلعة الطائف  
منهم مدحت باشا ومحمود باشا داماد مولانا السلطان عبد الحميد ونوري باشا داماد مولانا  
السلطان عبد الحميد أيضاً ومعهم جماعة آخرون غير هؤلاء منهم شيخ الإسلام خير الله  
أفندي وفي سنة ثلاثمائة توفي مدحت باشا ومحمود باشا داماد في القلعة المذكورة وكان  
خام السلطان عبد العزيز سبباً لاضطراب كثير وحوادث شتى ، وكان القائم أكمل القيام  
في خلعه حسن عوني باشا وكان السلطان عبد العزيز هو الذي رقاها وأعلى قدره إلى أن  
جعله رئيساً على العساكر كلها بل صار مقدماً على جميع أهل الرتب والمناصب فرتب الأمور  
مع الوزراء وغيرهم وزعم أن السلطان عبد العزيز تداخل مع الروسية وأنه يريد أن يملكهم  
دار السلطنة فما زال حسين عوني باشا وغيره يسعون في ذلك حتى تم لهم خلعه فقدر الله  
أن رجلاً يقال له حسن جر كس قتل حسين عوني باشا وذلك أن السلطان عبد العزيز  
وكان متزوجاً بأخته فأخذته حمية حين خلع السلطان عبد العزيز فصمم على قتل حسين عوني

باشا فدخل عليه في دار الصدر الأعظم محمد رشدي باشا فوجدوه مع جماعة من الوزراء مجتمعين للمشاورة في بعض الأمور وكان مع حسن جر كس زوج من الطنج ذوات الأرواح المتعددة فضرب به ضرباً متعدداً وقتل جماعة من الحاضرين منهم حسين عوني باشا الساعى في خلع السلطان عبد العزيز ولم يتم لحسين عوني باشا شيء من مراده والله غالب على أمره ثم قبضوا على حسن جر كس فقتلوه .

## ذكر ولاية سلطان العصر أطال الله عمره

هو السلطان المعظم الفخيم سلطان سلاطين العرب والعجم حائز العلم والصلاح والكرم المشرف بخدمة طيبة والحرم ، صاحب السيف والقلم ، ظل الله في العالم غياث بني آدم ، نعمة الله على العباد وفضله على الحاضر والباد ، ناصر الحق والذين ، ومؤيد شريعة سيد المرسلين ، المحفوف بالسبع المثاني ، أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي عبد الحميد الثاني ، أعز اللهم سرير الملك والخلافة بوجوده ، وأعد على القريب والبعير آثار فضله وجوده وأنفذ في جميع البلاد أوامره وأحكامه ، وأنشر على البرايا ألوية عدله وأعلامه ، وأيده بتأييدك واجعل سلالة تلك السلطنة العلية سلسلة إلى منتهى الدوران ، مستمرة على مرور الليالي والأيام باقية إلى آخر الزمان آمين يارب العالمين ، يوبع أطال الله عمره لما خلعوا أخاه السلطان مراد في ثالث شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف فكانت سلطنته زينة وبهجة وسروراً وامتد بها في مشارق الأرض ومغاربها ما ملأها نوراً ، ومما كان من الحوادث في أول ولايته أنه وقع عصيان من بعض النصارى الداخلين في رعية الدولة العلية في بلاد الروم ابلى وهم طائفة يقال لهم الهرسك فجهز عليهم مولانا السلطان المذكور جيشاً فقاتلهم وكانوا قوماً ضعافاً لا يحتاج الاستيلاء عليهم وقهرهم إلى كلفة ولا إلى كثرة عساكر إلا أن الروسية تداخلت معهم وصارت تقويهم بأشياء كثيرة حتى اتسعت فنتهم وانشرت وأعانهم طوائف من النصارى الذين كانوا قريباً منهم إلى أن صارت المحاربة بين الدولة الروسية وصارت تلك الطوائف من النصارى مع الروسية وسأقت الدولة بهذه الفتنة العساكر الكثيرون وأنفقت الخزائن الوفيرة فقدر الله بانهزام جيوش

الإسلام وأسر كثير منهم في بلونة ، وذلك بسبب محاصرة عساكر الروسية لهم في ذلك البلد وعدم إمكان وصول الميرة إليهم لشدة البرد وكثرة الثلج ومن أسر من كبار عساكر الإسلام الوزير عثمان باشا الغازي قوماندا ذلك الجيش في بلونة ، ثم أطلق مع كثير من أسروا وكان إطلاقهم بعد انعقاد الصلح وتملك الروسية كثيراً من المدائن العظام إلى أن وصلوا إلى قريب أدرنة والكلام على هذه الفتنة طويل قد أفرد بالتأليف ، وختم الأمر أن بقية الدول توسطت في الصلح بين الدولة العلية ودولة الروسية وانعقد الصلح سنة خمس وتسعين على أن يبقى تحت يد الروسية ما تملكوه من البلاد وأن الدولة العلية تدفع لهم غرامة الحرب وكان شيئاً كثيراً وتبقى للدولة أدرنة وما يليها إلى دار سلطنة الدولة العلية وكان هذا الخلل إنما دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبدالعزير فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف أعطت الدولة العلية جزيرة قبرص للانكليز على أن تكون بأيديهم سنين مؤقتة بشروط أن يدفعوا للدولة العلية قدر الخراج الذي كان يحصل منها وقد تقدم في هذا الكتاب تكرر وضع اليد على قبرص من المسلمين والنصارى مراراً كثيرة أولها من زمن الصحابة حين افتتحها معاوية رضي الله عنه ، وبعد ذلك صار المسلمون والنصارى يتداولونها قارة تكون بيد هؤلاء وتارة بيد هؤلاء ، ، وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف خلع والي مصر اسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا وقد كان محمد علي باشا لما انعقد الصلح بينه وبين مولانا السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين وألف جعلت له مصر ولأولاده من بعده ، فلما صارت ولايتها لاسماعيل باشا أراد حصر الولاية في أولاده ومنع إخواته وأولاد إخواته منها فتوجه إلى دار السلطنة في مدة السلطان عبد العزيز سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف فتم له مراده وجعلوا ولاية مصر له ولأولاده الأكبر فالأكبر وكان الصدر الأعظم في ذلك الوقت في دار السلطنة هو محمد رشدي باشا الشرواني ثم إن الله قضى وقدر أن عاقبة هذا الأمر الذي فعله اسماعيل باشا أول ما ظهر سوؤه عليه فإنه في سنة ٩٦ ظهرت عليه كثرة ديون أخذها من الدول الأجنبية وأنفقها في غير حقها فتشاور أهل الديون على أنهم يضبطون خراج مصر ومحصولاتها لأجل استيفاء ديونهم فلما أحس بذلك أراد أن يجعل



له عصبية يمنعون بها فتداخل مع العلماء وأهل مصر وعقد بينه وبينهم عهداً ومواثيق على أن الأمور كلها تكون بيد العلماء والأهالي وبمشاورتهم، فلما أحس الإنكليز والفرنسيس وغيرهما بانعقاد هذه العصبية سعوا في خلعه ووافقهم على ذلك مولانا السلطان عبد الحميد فخلعوه في سنة ست وتسعين وجعلوا ولاية مصر لولده الأكبر محمد توفيق باشا عملاً بما تقرر قبل ذلك حين نفى إخوته وبنينهم من دخولهم في الولاية من بعده وأن الولاية من بعده تكون لأكثر أولاده فأقاموا عليها ولده الأكبر وهو محمد توفيق باشا وتوجه والده اسماعيل باشا بعائلته وبقية أولاده إلى نابولي من بلاد إيطاليا وجعل له مرتب من محصولات مصر وخزینتها، وفي سنة سبع وتسعين ومائتين وألف استولت دولة الفرنسيين على تونس وأعمالها بالمر والحدیعة والحیلة فجهزت دولة الفرنسيين عساكر كثيرة وأظهرت أنها تريد تأديب بعض قبائل العرب العصاة منهم قبيلة يقال لهم الحمير في أعمال تونس فوصلوا بعساكرهم إليهم وقتلوهم وقهروهم ثم زحفوا بعساكرهم إلى تونس ولم يستطع أحد أن يدفعهم إلى أن قاربوا دخولها فاضطرب أهلها اضطراباً كثيراً، ثم عقدوا معهم صلحاً وأدخلوا طائفة من عساكرهم تونس وأبقوا الوالی علی ولايته بحسب الظاهر واستولوا الباطن علی الأحكام والمحصولات والخراجات واستقبلوا الديون التي كانت علی والی تونس وصارت الأمور كلها بأيديهم فلا حول ولا قوة إلا بالله، وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف كانت فتنة بمصر بين والی مصر محمد توفيق باشا وبين عرابی باشا وكان عرابی باشا من رؤساء عساكره محمد توفيق باشا، واتسع الأمر في ذلك فجاء الإنكليز بعساكرهم البحرية نجدة ل محمد توفيق باشا إلى الإسكندرية و ضربوا مدافعهم علی الإسكندرية وقتلوا الذين مع عرابی باشا، وكان ذلك في شعبان ورمضان سنة تسع وتسعين واتسع الأمر بما يطول الكلام بذكره، وكانت الغلبة لتوفيق باشا ومن معه من الإنكليز وتملكوا الإسكندرية وذهبوا عرابی باشا ومن معه إلى مصر، ثم سارت الإنكليز بعساكرهم لقتاله بمصر والكلام علی ذلك طویل، وفي آخر الأمر انهزم عزم عرابی باشا ومن معه، ثم دخلوا مصر وقبضوا علی عرابی باشا وعلی كثير من كانوا معه فقتلوا

جماعة منهم ونفوا جماعة نفيًا مؤقتًا وجماعة نفيًا مؤبدًا وصار العفو عن قتل عرابي باشا  
رنفوه مع بعض من كانوا معه إلى جزيرة سيلان من أعمال مليبار من بلاد الهند وجعلوا  
إقامته ومن معه هناك ورتبوا لهم مرتبا يكفيهم واستولى الإنكليز على القطر المصري ،  
ووضعوا عساكرهم في القلعة على صورة أنهم إنما فعلوا ذلك إغاثة لمحمد توفيق باشا وأبقوه  
على ولايته ، والإنكليز مع ذلك كله يقولون ليس مرادنا الاستيلاء على مصر وإنما  
مرادنا الإصلاحات والتأييد لمحمد توفيق باشا وإذا استقامت الأمور وانتظمت أحوال  
مصر نخرج منها ونخرج عساكرنا ، وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان اسمه محمد  
أحمد يقال أنه المهدي أو قائم طالب لإظهار الحق ولم يدع أنه المهدي ، ويقال أنه شريف حسني  
وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصلاح ومن مشايخ الطرائق ، قيل أنه على طريقة الشيخ السمان  
وأول ظهوره أنه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين  
للسودان عمالا لصاحب مصر محمد توفيق باشا ، ثم اتسع الأمر بينهم وبينه إلى القتال ، وقتلهم  
صراراً وكانت الغلبة لمحمد أحمد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها  
فلما دخل الإنكليز مصر صار الإنكليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر  
الإنكليز ومعهم عساكر مصر ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة بطول الكلام بذكرها  
والغلبة في تلك الوقائع كلها عليهم فتملك كردفان وكسلة والخراطوم وبربرة ودنقلة وغير  
ذلك وقتل منهم خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم وكان أمره معهم عجيباً يأتون إليه بالعساكر  
الكثيرة والمدافع والآلات الشهيرة التي لا يطيق أحد مقابلتها فقابلهم بجيوشه السودانيين  
وليس معهم إلا السيف والرمح والسكاكين فيهمجمون على تلك العساكر في موضعهم  
ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثر من قرب طعنًا  
بالرمح وضرباً بالسيوف والسكاكين ويشتتون شملهم ومنهم جماعة في براري سواكن  
قد ولي محمد أحمد عليهم رجلا يسمى عثمان دقنة فجاء بمن معه من السودان لمحاصرة  
سواكن وإخراج الإنكليز والعساكر المصرية منها فخرجوا إليه بجيوشهم الكثيرة  
وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة فهزمتهم عثمان دقنة ومن معه من السودان هزيمة بعد هزيمة

وقتل الكثير منهم حتى أنهم جاءوه في سنة اثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركبا مشحونة بالمساركر الكثيرة والآلات والاستعدادات الوفيرة وخرجوا لقتاله في البرقربيا من سواكن فهزموهم وقتل أكثرهم وشنت عليهم وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم وإلى هذا الوقت وهو شهر ذى الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان ذقنة ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لها وفيها عساكر الإنكليز وصاحب مصر قيل أن جيوش محمد أحمد تبلغ ثلاثمائة ألف أو يزيدون ، وأما دعوى أنه المهدي فمختلف فيها فمن الفاس من يقول أنه يدعى أنه المهدي ومنهم من يقول لم يدع أنه المهدي بل يقول أنه قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة وإخراج الإنكليز من مصر والله أعلم بحقيقة الحال والأكثر من الناس يقولون أنه رجل صالح على غاية من الاستقامة ومنهم من يقدح فيه وينسب إليه خلاف ذلك ويقول أن جيوشه يقع منهم فساد كثير وليس لهم غرض إلا القتل والنهب وأنهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرها قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين فيهم العلماء والصلحاء والنساء والأطفال ، وقيل أن وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد أحمد ولم يأمر به والله أعلم بحقيقة الحال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بأن انتصار آخر هذه الأمة في آخر الزمان بالسودان فيحتمل أنهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم وانتصار المسلمين بهم في آخر الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن في تفسيره عند تفسير قوله تعالى ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من سورة الواقعة فإنه قال ما نصه ثلثة من الأولين يعني من المؤمنين الذين قبل هذه الأمة وثلثة من الآخرين يعني من مؤمنى هذه الأمة وبدل على ما رواه البغوى بإسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يا رسول الله آمنة برسول الله وصدقناه ومن ينجو منها قليل فأنزل الله عز وجل ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وقال له قد أنزل الله فيما قلت فقال عمر رضى الله عنه رضينا عن ربنا وصدقنا نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلينا

ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله اه  
ومثل ذلك في تفسير الخطيب السرييني وفي التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطي  
أن عروة بن رويم يروي هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما عن  
النبي صلى الله عليه وسلم وأن الحديث المذكور أيضاً رواه ابن مردويه وابن عساكر  
لكن اللفظ الذي ذكره في الدر المنثور قال في آخره وأمتي ثلة ولن تستكمل ثلثنا حتى  
نستعين بسودان من رعايا الإبل ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اه فيحتمل  
أن المراد من السودان أن هؤلاء القائمون مع محمد أحمد وعثمان ذقنة ويحتمل أن يكون  
غيرهم والله أعلم بغيبه وكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لا بد من وقوعه وروى  
ابن مكرم الأفریقی في كتاب له سماه لسان العرب حديثاً لم يذكر من حرجه وقال فيه أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير الفضب أصحابه محسرون  
محقرون مقصون عن أبواب السلطان ومجالس الملوك يأتونه من كل أوب كفزع الخريف  
يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها اه فيمكن أنهم هؤلاء السودان القائمون مع محمد أحمد  
أو غيرهم وقد ذكر كثير من العلماء الدين الفوارسائل في ظهور المهدي وعلاماته أن من  
علامات ظهوره وخروج السودان منهم الحلال السيوطي والعلامة بن حجر والعلامة المتقي  
والعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في كتابه المسمى بالاشاعة في أشراط الساعة ففي  
رسالة الجلال السيوطي المسماة بالعرف اوردى في علامات المهدي حديث عن النبي صلى الله  
عليه وسلم فيه إذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأردن  
أو ببطن الأرض فبيناهم كذلك إذ خرج السفيناني في ٣٦٠ ركباً حتى يأتوا دمشق فلا  
يأتي عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً والأحاديث التي جاء فيها ذكر السفيناني  
كثيرة شهيرة والكلام عليها طويل وهو يريد قتال المهدي عند ظهوره ثم يخسف بجيش  
السفيناني ويهلكه الله تعالى وفي رسالة ابن حجر المسماة بالقول المختصر في أخبار المهدي  
المنتظر أن من علامات ظهور المهدي ألوية تقبل من المغرب وأن خروج أهل المغرب إلى  
مصر من أمارات خروج السفيناني وذلك إنما يكون عند ظهور المهدي وجهة السودان

بالنسبة إلى مصر مغرب فيحتمل أنهم هؤلاء القائمون مع محمد أحمد ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وكذا قوله خروج أهل المغرب إلى مصر يحتمل أن يكونوا هؤلاء لأنه يصدق على الجهة التي ظهروا منها أنهم من المغرب بالنسبة لمصر ويحتمل أن يكونوا غيرهم والله أعلم بأسرار غيبه وأسرار أحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ومن علامات ظهور المهدي الرايات السود التي تخرج من خراسان وجاء فيها أحاديث كثيرة قال في الإشاعة يمكن أنها هي التي خرجت في زمن المهدي العباسي بن المنصور ويحتمل أنها أيضاً تخرج عند ظهور المهدي المنتظر، وفي شرح الشجرة النعمانية للشيخ صلاح الدين الصفدي عبارات تفيد أن الدولة العلية العثمانية تبقى قوتها وسلطنتها إلى ظهور المهدي وأنهم يكونون من أعوانه وأنصاره بأنفسهم وأموالهم وخزائنها وعساكرهم وآلاتهم وعددهم فيجب الدعاء للدولة العثمانية على كل مسلم والذي يقاتلهم يكون باغياً خارجاً عليهم فالواجب على كل مسلم السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها وإعانتهم في إظهار الشريعة وإحياء السنن وإماتة البدع والدعاء لهم بالتوفيق فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير وأن يلبهم كمال الرشاد والصلاح وكذا سائر وزرائهم وقضاتهم وعما لهم، ثم أن القائم بالسودان وهو المسمى محمد أحمد إما أن يكون باغياً خارجاً على السلطان فيجب قتاله وإن لم يدع أنه المهدي، ويمكن أن الله أقامه لإخراج الإنكليز من مصر إعانة للدولة العثمانية ولا يريد الخروج على السلطان وإنما يريد أن يكون من جملة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون لإعانة المهدي ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته التي ألفها في علامات المهدي فإنه ذكر فيها حديثاً، أخرجه نعيم بن حماد عن أبي قبيل قال يكون أميراً بقرية اثنى عشر سنة ويكون بعده فتنة فيملك رجل يملؤها عدلاً ثم يسير إلى المهدي فيؤدى إليه الطاعة ويقاوم عنه فيمكن أنه هو هذا الرجل المسمى محمد أحمد ويمكن أنه غيره والله أعلم بأسرار غيبه، وقيل أن الذين يشيعون أنه هو المهدي إنما هم بعض أتباعه ليرغبوا عامة الناس في أتباعه والدخول في طاعته، وأما هو فإنه لم يدع أنه المهدي بل قال بعض من اجتمع به أنه سمع منه بلا واسطة أنه يقول إني لست أنا المهدي المنتظر وإنما أنا قائم

لإظهار الحق وإقامة الشريعة وأما إن ثبت أنه يدعى أنه هو المهدي المنتظر فالأمر مشكل لأن المهدي المنتظر لا يدعى أنه المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبائع إلا وهو مكروه بل لا يبائع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك أن الله يطالع بعض من اختصه من صالحى عباده عليه وعلى علاماته فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مراراً ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل ولا يكون ظهوره والبيعة له إلا والناس بلا خليفة أخذاً من حديث يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روى في هذا الباب وأما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد ابن الرحوم مولانا السلطان عبد المجيد وبيعته في أعناق المسلمين وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الإسلامية مقيمى للشريعة السنية محبين للصحابة وأهل البيت ناصرين أهل السنة المحمدية قامعين أهل البدعة الردية فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته ثبت الله دولته وأيد سلطنته فمن خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو باغ معتد وأيضاً من علامات المهدي المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضى الله عنها وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة قال الجلال السيوطى فى آخر العرف الوردى فى علامات المهدي وأما قول القرطبى أن ظهور المهدي يكون من المغرب هو باطل وقد تابع السيوطى ذلك العلامة العلقمى والعلامة الصبان فى رسالته التى ألفها فى علامات المهدي فكل منهما قال كما قال السيوطى إن قول القرطبى أن ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبى على غير المهدي المنتظر فإن كثيراً ممن ادعى كل منهم أنه المهدي كان ظهورهم بالمغرب كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدى جد ملوك أفريقيا ومصر وخلق كثير غير هذين ادعى كل منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره وذلك لأن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد وهو يكون الذى من ولد فاطمة يكون ظهوره بمكة والناس بلا خليفة ويبائع مكرهاً ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقامى لتحصيلها ويكون فى زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجمع به ، ومما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي

المنتظر واحد ما ذكره العلامة ابن حجر في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة حيث قال حاكياً لقول من قال أن المهدي من ولد العباس وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي ابن عبد الله المنصور بناء على الأحاديث المذكورة فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال إنه من أحسن خلفاء بني العباس وهو فيهم كعمر ابن عبدالعزيز في بني أمية ثم قال ابن حجر موجهاً لقول هذا القائل ويمكن أنه مهدي من ولد العباس وهو غير المهدي المنتظر فإن المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها ويكون في زمنه خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجمع به هذه العبارة صريحة في تعدد المهديين وجمع بعضهم بين الأحاديث التي فيها أنه من ولد فاطمة والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال أن المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه ومن ولد العباس من جهة أمه بأن تكون أمه أو أم بعض آباءه من ولد العباس وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي أيضاً تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها والذي يتعين اعتقاد مادلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في زمنه وهو المراد حيث أطلق المهدي وأما من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر ويكون بعد المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا مثله فهو الأخير في الحقيقة وكذلك غير ابن حجر من الفوارسائل في علامات المهدي كلهم يقتضي كلامهم تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد وإنما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل في محمد ابن الحنفية إنه المهدي وقيل في عمر بن عبد العزيز أنه المهدي وقيل في محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط أنه المهدي فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم أنه المهدي فثبت بذلك تعدد المهديين قطعاً لكن ليس واحد من هؤلاء هو المهدي المنتظر فالمهدي المنتظر واحد وهو لم يظهر إلى الآن فيمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر ممن كان خروجهم بالمغرب ولا يمكن حمل كلامه على المهدي المنتظر لأنه إنما يظهر بمكة والناس بلا خيفة كما تقدم إيضاحه وكذلك لا يصح قول من قال إنما يكون ظهور المهدي المنتظر من ماسة بالمغرب فهو قول باطل

لا أصل له كما نبه على ذلك العلامة ابن خلدون في تاريخه فإنه قال أن القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له وإنما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد إلى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمي المنتظر تليسياً على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحدثنان بانتظاره هنالك وأفهمهم أن من ذلك المسجد تكون أصل دعوته فتهافت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فسدوا إليه من قتله في فراشه وانطقت الفتنة .

(والحاصل) أن الذي تقتضيه الأحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدي المنتظر إلى هذا الوقت لم يظهر وذكروا له علامات كثيرة بعضها مضي وانقضى وبعضها باق لم يظهر ومن أعظم إلاماته أنه يصلحه الله في ليلته وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها وأنه يبائع مكرهاً لا أنه يطلب البيعة لنفسه وبقاتل الناس لتحصيلها بل لا يبائع حتى يتهدد بالقتل وأن ظهور البيعة له إنما يكون بمكة بين الركنين وأن ظهوره إنما يكون عند وجود اختلاف بموت خليفة فلا يظهر ولا يبائع إلا والناس بلا خليفة فهذه الأشياء هي أقوى العلامات عليه وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل في تحقيق أمره لكن تلك الأشياء ظنية ومختلف في كثير منها وذلك مثل اسمه واسم أبيه وموضع ولادته ومقدار عمره ووقت ظهوره ومدة مكثه في الأرض بعد ظهوره فكل هذه الأشياء مختلف فيها . فما قيل في مقدار عمره وقت ظهوره أنه ابن أربعين وقيل أنه ابن عشرين وقيل أنه ابن ثمانية عشر وقيل غير ذلك وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره أنها سبع أو تسع سنين وقيل أنها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك وقيل في اسمه أنه محمد وقيل أحمد وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس وجمع بعضهم بأنه من ولد أحد الحسنين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه وفي بعض أمهاته من هي من ولد العباس والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر لكنها لكثرتها وكثرة رواياتها وكثرة مخرجها يقوى بعضهم بعضاً حتى صارت تفيد القطع لكن المقطوع به أنه لا بد من ظهوره وأنه من ولد فاطمة



وأنه عملاً الأرض عدلان به على ذلك العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في آخر الإضاءة  
وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله ولم يقص من  
الشارع بالتحديد وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد ظهوره في سنين عينوها  
بالظن والتخمين فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم ويؤخذ من قوله صلى الله عليه  
وسلم في المهدي أنه يصلحه الله في ليلته أن المهدي لا يعلم بنفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت  
إرادة الله إظهاره ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم  
برسالته إلا وقت ظهور جبريل له بفار حراء حين قال له : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي  
خلق ﴾ وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيساً لرسالته وتقوية لقلبه لكنه لم  
يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة حتى أنه كان كلما رأى مناماً من تلك المنامات يخبر زوجته  
خديجة رضي الله عنها ويشكوها إليها حاله فكانت تثبته وتقول له كلاماً يقوى به قلبه  
كما هو موضح بكتب الحديث فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه رسول الله  
إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام وقوله له : ﴿ إقرأ باسم ربك ﴾ فبالأولى أن المهدي  
المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة إظهاره ولذلك يمتنع من البيعة حتى يتهدد  
بالقتل ويباع مكرها ، فهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم يصلحه الله في ليلته ليعلم من  
ذلك أنه لم يعلم أنه المهدي المنتظر إلا وقت إرادة الله فكل من ادعى أنه المهدي المنتظر  
ويطالب البيعة لنفسه أو يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما عرحت به أحاديث النبي  
صلى الله عليه وسلم وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ، ولم تثبت  
دعواهم ، وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة في التواريخ ، وقد جمعت أسماءهم  
ووقائعهم باختصار في رسالة مستقلة ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى  
لا تتم له ولا تتم إلا إذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لأنه الصادق  
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ، وقد ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه كلاماً فيه فوائد  
تتعلق بهذا المبحث فأنذركر ملخص ذلك تنبهاً للقائدة ، وحاصل ذلك أن الذين يدعون  
هذه الدعوى إما أن يكونوا موسوسين أو مجانين فلا علاج لهم إلى التنكيل بالقتل أو

الضرب إن أحدثوا فتنة وإلا يسخر بهم وتذاع السخرية بهم والصفع في الطارق أو الأسواق ، وإما أن يكونوا من طالبي الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويفعلون عما ينالهم من الهلكة وإسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند إحدائهم فتنة بهذه الدعوى ، وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد إظهار الحق ويتخيل له أنه هو المهدي فيخطئ ظنه ولا يعرف ما يلزمه وما يحتاج إليه في إقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الله لم يكتب عليه في ذلك إثارة فتنة وإثارة أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وأحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزلزلها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها العصبية بالقبائل والعشائر وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله تعالى بالعشائر والعصائب وهم الثريدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء لكنه سبحانه وتعالى إنما أجرى الأمور على مستقر العادة وأنه حكيم عليم فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان محتماً قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما إن كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لأن أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانتة والإخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وكل أمر يجتمع عليه كافة الخلق لا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح « ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه » وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى من الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق لهم العوائد في الغلبة بغير عصبية والغفلة عن هذا هي أكثر أحوال الثوار القامئين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء ، فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء ، داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى ، فيكثر أتباعهم والمتشبهون بهم من الفوغاء والدعاهاء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك ، وأكثرهم بها يكون

في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين ، وكثير منهم يدعى أنه المهدي المنتظر ولم تصح  
دعواهم ، ويتبعهم كثير من العامة والأغمار ممن لا يرجعون إلى عقل يهديهم ، ولا علم  
يفيدهم يستجيبون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهور فاطمي ، ولا يعلمون  
حقيقة الأمر وأكثر ما يكون ذلك في الممالك القاصية ، وأطراف العمران بإفريقية ،  
والسوس من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر بقصدون رباطا بما سمعوا لما كان بذلك  
الرباط بالمغرب من الملتزمين من كدالة واعتقادهم هو أنهم قائلون بدعوة الفاطمي ، يزعمون  
ذلك زعما لا مستند له إلا البعد عن القاصية عن مشار الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى  
عندهم الأوهام في ظهور الفاطمي من ذلك الموضوع لخروجه عن رتبة الدولة ومشار الأحكام  
والقهر ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا الوهم وقد يقصد ذلك الموضوع كثير من ضعفاء  
العقول للتلبس بدعوة تنشأ عن وسواس وحمق وقد قتل الملوك والرؤساء كثيرا منهم  
ثم قال أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأيلي قال خرج برباط مائة لأول المائة الثامنة  
وعصر السلطان يوسف بن يعقوب المريني رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوزيري  
وادعى أنه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من أهل السوس من كدالة وكزولة وعظم أمره  
وخافه رؤساء المصادمة وعلماؤهم فدمس عليه الكسوي من قتله بيانا وأحل أمره وكذلك  
ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة في عشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى أنه  
الفاطمي المنتظر وتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرقت أسواقها وارتحل  
إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا النمط ، وأخبرني شيخنا المذكور  
بفرسية عن مثل هذا وهو أنه سجد في حجة رجلا من أهل البيت من سكان كربلاء  
كان متبوعا معظما كثير التلامذة ، وكان يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان وتناكدت  
الصحبة بيننا في الطريق ، ثم كشف لي عن أمرهم وأنها إنما جاؤا من مواطنهم بكربلاء  
قاصدين أرض المغرب لإظهار دعوى أنه الفاطمي المنتظر ، فلما وصل المغرب وعين دولة  
بنى مرين وكان أمير المسلمين يوسف بن يعقوب في ذلك الوقت منازل لا تلمسان فلما رأوا  
قوة ملكه قال ذلك الرجل لأصحابه ارجعوا بنا فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت

وقتنا وهذا يدل على أن ذلك الرجل استبصر بأن الأمر لا يتم إلا بالعصبة الكافية لأهل  
الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك الموطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين في ذلك  
الوقت لا يقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع إلى الحق واقتصر عن مطامعه  
وبقى عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لاسيما في المغرب إلا أن  
التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وأتم لاتعلمون ، وقد كانت بالمغرب لهذه  
العصور القريبة نزعة من الدعوة إلى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره  
وإنما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني  
بذلك ويكثر تابعوه وأكثر ما يعتنون بإصلاح السابلة لما أن أكثر فساد الأعراب فيها  
لما فيها من طيب معاشهم فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية  
فيهم لم تستحكم لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين إنما يقصدون به الإفصار عن  
الغارة والنهب ولا يعقلون في توبتهم وإقبالهم إلى مناحي الديانة غير ذلك لأنها المعصية  
التي كانوا عليها ومنها توبتهم ، وتجد ذلك المتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة وغير  
متعمق في فروع الاقتداء والاتباع وإنما دينهم الأعراض عن النهب والبغى وإفساد السابلة  
ثم الإقبال على طلب الدنيا والمعاش أقصى قصدهم وشتان بين هذا الطالب للدنيا وبين من  
أراد إصلاح الخلق لكل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم فانفاقهما ممتنع لاستحكام للأول  
صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن الباطل ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام  
دينه وولايته في نفسه دون تابعيته ، فإذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع  
ذلك فأفريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرة في المائة السابعة ثم مر بعده  
لرجل من بادية رباح كان أشد ديناً من الأول وأقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب  
أمرها وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها وينتحلون  
اسم السنة وليسوا عليها إلا الأقل فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من أمرهم وأول ابتداء  
هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون ابني الرشيد وقتل الأمين  
وكان المأمون بخرسان فأبطأ عن مقدم العراق وأراد انتزاع الخلافة من بني العباس ونقلها

للعلميين فجعل ولي عمه عليا الرازي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق فهاج من ذلك  
فمن كثيرة ببغداد واجتمع بنو العباس وكشفوا وجه النكير على المأمون وتداعو للقيام  
وخلعوه وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي فوق الهرج وكثر القتل والنهب ببغداد وانطلقت  
يدي الذعار بها من الشطار والحربية على أهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلات  
أيديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الأسواق ورفع أهلها أمرهم إلى الحكام  
وقد ضعف أمرهم فلم ينصفوهم فتوافر أهل الدين والصلاح وتعاقدوا على منع الفساد  
وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدربوس، ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر فأجابه خلق وقاتل بهم أهل الذعارة فغلبهم وأطلق يده فيهم بالضرب  
والتنكيل ثم قام من بعده رجل آخر يعرف بسهل بن سلامة الأنصاري وعلق مصحفا  
في عنقه ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه  
صلى الله عليه وسلم فاتبه كافة الناس من بين شريف ووضع من بني هاشم فمن دونهم  
ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع الخفارة  
لأولئك الشطار فقال له القائم الأول وهو خالد الدربوس أنا لا أعيب على السلطان فقال  
له سهل لكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كأننا من كان وذلك سنة إحدى  
ومائتين فجهز إبراهيم بن المهدي بعد أن بايعه بنو العباس جيشاً لقتال سهل بن سلامة  
فغلبه وأسره وانحل أمره سريعاً وذهب ونجا بنفسه ، ثم اقتدى بهذا العمل بعده كثير  
من الموسوسين يأخذون أنفسهم بإقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من  
العصبية ولا يشعرون بمغبة أمرهم ومآل أحوالهم ثم ذكر كثيراً من الأحاديث التي جاءت  
في المهدي وضعف كثيراً منها ثم قال والحق الذي يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين  
والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه وقررنا  
لك ذلك من قبل بالبراهين القطعية وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من  
جميع الآفاق ووجد أمم آخرون وقد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش إلا ما بقي بالحجاز  
في مكة وينبع والمدينة من الطالبين من حسين وحسين بن جعفر منتشرون في تلك البلاد

وغالبن عليها وهم عصائب متفرقة فإن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا يكون منهم ويؤلف الله قلوبهم في اتباعه حتى يتم له شوكة وعصبية وافية لإظهار كلمته وحمل الناس عليها وأما على غير هذا الوجه فلا يتم ذلك لما أسلفناه من البراهين الصحيحة إنتهى ما أردت نقله من كلام ابن خلدون . ورأيت في كثير من الرسائل المؤلفة في شأن المهدي أنه لا يتم أمره إلا بالقيام بالشرعية الغراء وأنه يكون على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ويفيض الله على الخلق نوراً ببركته فيتبعونه ويقتدون به في جميع شؤونهم وأفعاله وأقواله وأحواله حتى يكون حالهم كحالهم ووصفهم كحال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووصفتهم لأن الناس على دين ملوكهم فإذا استقام خليفة المسلمين وصار كالخلفاء الراشدين فإنهم كانوا يستقيمون وإذا زهد في الدنيا يزهدون وملاك الأمر كله هو الزهد في الدنيا وعدم التبسط فيها ومن الأمثال القديمة الناس على دين ملوكهم ، وذكروا أن السبب في هذا المثل أن الوليد بن عبد الملك بن مروان كان مشغولاً بتشديد البنيان فكان الناس في زمانه ليس لهم هممة إلا تشييد البنيان والقصور وفي ذلك طول الأمل والغرور ، ثم ولى بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان فكان مشغولاً بكثرة الأكل وتنويع الأطعمة وتكثير الألوان فكان الناس في زمانه يتفاخرون بالتوسعة في تنويع المأكولات وبينهم كون في التلذذ بالشهوات وفي ذلك أعظم البليات ، ثم ولى بعد سليمان بن عمه عمر ابن عبد العزيز بن مروان الملحق بالخلفاء الراشدين فكانت همته في الاشتغال بالطاعات والعدل وإقامة الدين فكان الناس في زمنه راغبين في فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات فقالوا الناس على دين ملوكهم فالخليفة الأعظم هو القدوة لجميع المسلمين وأعظم شيء يقتدون به هو فيه فيكون به صلاحهم وانتظام أمرهم واتفاق كلمتهم والزهد في الدنيا والتناول منها بقدر الضرورة والحاجة وترك الفضول الذي لا يحصل إلا بتمبوج الحاجة فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وبلية والزهد فيها أصل كل خصلة سنية ولا يكون الزهد من العامة إلا بعد زهد الخاصة فإن الخاصة هم العمدة في ذلك والمراد من الخاصة الملوك والسلاطين والأمراء والقضاة والعلماء وأولى من يطلب

الزهد في الدنيا الخليفة الأعظم الذي أقامه الله لإصلاح الدنيا والدين وإحياء الشريعة وقاتل الكفار ودفع المفسدين قال الإمام الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك أن الخليفة إذا عدل في بيت المال وساوى نفسه بالمسلمين في الأخذ من بيت المال بقدر الحاجة كان المسلمون كلهم عسكرياً للإسلام اهـ .

والحاصل أنه إذا زهد في الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة في جميع الأحوال يتبعه على ذلك الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والأغنياء والفقراء فإذا حصل ذلك يسهل حينئذ إقامة الشريعة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصير همه الجميع متوجهة لاتحاد الكلمة والاجتماع على منهج الشرع المتطهر فتحيا بذلك السنن التي أميتت وتزول تلك البدع التي أذيعت وتقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات فإن الكفار إنما تغلبوا على المسلمين بسبب رغبة المسلمين في الدنيا واقتحامهم المعاصي لتحصيلها فلا يزيلون منكرها لأن أكثر المنكرات يتوصلون بها إلى تحصيلها وإزالتها مخالفة لأغراضهم الذين هم بصددها فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما داموا لم يكونوا كذلك لا يستقيم لهم أمر وقد صح عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان كثيراً ما يقول في خطبه ومجالسه أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه فهذه العبارة نص صريح في أنه لا يستقيم أمر المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضي الله عنهم وما دام الخليفة الأعظم يتبسط في الدنيا ويأخذ من بيت المال ما أراد مما زاد عن حاجته الضرورية ويتكرم في العطاء بما شاء على من شاء ولا يراعى في ذلك القواعد المشروعة ولا يسلك مسلك الخلفاء الراشدين فإن الناس يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ولا تتخذ كلمتهم ولا ينتظم أمرهم ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر بل يصبرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ويرتكبون لتحصيلها أنواع الخطيئات لأن الله تعالى أجرى عادته بين العباد أن يكون الناس على دين ملوكهم فهذا هو السبب في عدم إتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم وأما في زمن المهدي فإنه

يسلك هو مسلك الخلفاء الراشدين ويزهّد في الدنيا ولا يأخذ من بيت المال إلا بقدر  
الضرورة والناس يكونون في زمنه على طريقته يفعلون كما يفعل فظهر بهذا أنه إذا زهد  
الخليفة الأعظم في الدنيا وعدل في بيت المال وأخذ منه بقدر حاجته الضرورية من غير  
زيادة له وخدمه وأتباعه واتخذ له من الخدم الذين يقومون بخدمته بقدر الحاجة الضرورية  
أيضا من غير زيادة يتبعمه على ذلك كافة الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وجميع الأبرار  
والفجار والخليفة أمين على مال بيت المسلمين لا يتصرف في شيء منه إلا بحسب المصلحة  
العائدة بالنفع على الإسلام والمسلمين فهو مثل قيم مال اليتيم لا يتصرف إلا بالمصلحة  
الظاهرة فإن كان له مال خاص يستعف به عن الأخذ من مال المسلمين فلا يأخذ شيئا  
وإن لم يكن له مال يأخذ بقدر الحاجة والضرورة كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ  
وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فإذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والأمراء والقضاة  
والعلماء وكافة الخلق فتتحد قلوبهم وتجتمع كلمتهم ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون  
عن فعل السيئات ويتركون التلذذ بالشهوات فيتم اجتماعهم على نصرة الدين وبصيرون  
كلهم عسكرياً لنصرة للإسلام ويقوى عزمهم على قتال أعداءهم من القوم الكافرين وأما  
إذا تبسط الخليفة في مال المسلمين وتبعه الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء ، فلا تطيب  
قلوب بقية المسلمين ببذل أموالهم وأنفسهم وأولادهم في قتال الكافرين حيث يرون  
ملوكهم لم يساووه وما كان انتصار الصحابة على القوم الكافرين وفتحهم البلاد الواسعة  
مع الاتحاد واتفاق الكلمة إلا بسبب مساواة أمراءهم لهم في جميع شؤونهم وما حصل  
افتراق الكلمة وعدم ائتلاف القلوب إلا لما استبد الملوك بالأموال وتبسطوا فيها وترفعوا  
على بقية المسلمين وأكثروا من المكوسات والظلم بأخذ أموالهم وصرفوها في غير  
مصارفها ، فشق على المسلمين تمييزهم عنهم وترفعهم عليهم بأموالهم التي أخذوها منهم بغير  
حق ، ولا يظن ظان أن الخلفاء الراشدين إنما فتحوا الأمصار وانتصروا على الكفا  
بكثرة الصلاة والصيام بل إنما كان ذلك بزهده في الدنيا وعدم تبسطهم بما وعدوا  
في بيت المال والحرص على مساواتهم للمسلمين فطابت قلوب بقية المسلمين فبذلوا أموالهم



وأفسدهم وأولادهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد حتى كان الفزاة يتجهزون للغزو  
من أموال أنفسهم ويجهزون منها غيرهم إن قدروا على ذلك ونفوسهم طيبة بذلك  
وتأبى نفوسهم أن يأخذوا من بيت المال شيئاً إذا كان لهم ما بقي بذلك لأنهم يرون  
أمراءهم مساوين لهم في جميع تلك الشئون ، وإذا سلك الخليفة والأمراء والعلماء هذا  
المسلك يرتفع عن المسلمين المكوسات والضرائب وينتفى عنهم جور الحكام لأنهم إنما  
يجورون عليهم ليتبسطوا في أموالهم ويقلدوا بها ، ، وإذا ساوى الحكام رعاياهم وعدلوا  
في بيت المال تستحي نفوس الأغنياء بإعطاء الفقراء ويواسونهم وتقنع نفوس الجميع بأقل  
القليل فلا يبقى من المسلمين فقير وينقاد الناس للحق وينصفون من أنفسهم فتزول  
المخاصمات التي كانت بينهم وتقل مرافعاتهم إلى الحكام ويحصل بينهم كمال المحبة والائتلاف  
ويرتفع كل شقاق واختلاف وإذا عدل الخليفة في بيت المال وسلك في ترك التبسط في  
الدنيا طريق النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كان قدوة للمسلمين ويكون له  
من الأجر مثل أجر من عمل بمثل عمله من المسلمين وكان سبباً في اتحاد المسلمين وائتلاف  
قلوبهم واتفاق كلمتهم وانتصارهم على القوم الكافرين ، ويكون له في ذلك من الله الرضا  
والرضوان في الدنيا وجفات النعيم وتقر بذلك عين النبي صلى الله عليه وسلم فإنه بالثومنين  
رؤف رحيم ويستحيل أن يحصل لهم شيء من ذلك والخليفة لم يكن كذلك لأنهم إنما  
يفعلون وحالهم عن ذلك لا يتحول والتبسط في الدنيا من أعظم أسباب الفسق الموجب  
للهلك قال تعالى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ  
فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا ﴾ وعدم التبسط في الدنيا هو ملاك الأمر وليس على الخليفة في سلوك  
هذا الطريق مشقة ولا ضيق ولا منع من إدراك الحق ولا تعويق وينال بغيته من الأكل  
والشرب والنكاح بغاية الراحة والتلذذ والحاصل أن استقامة الخليفة حتى يكون كالخلفاء  
الراشدين في عدله في بيت المال هو السبب الأعظم في اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم في  
جميع الأحوال وعدم عدله في بيت المال سبب للافتراق في الحال والمآل ولو صام النهار  
وقام الليالي الطوال وبدون استقامة الخليفة وعدله في بيت المال كالخلفاء الراشدين لا يرجى

للمسلمين فلاح ولا يتم لهم اتحاد ولا نجاح ولنذكر لك نبذة مما كان من الزهد وترك  
التبسط في الدنيا مما كان صادراً من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لتعلم أن  
انتظام أمور المسلمين بدون ذلك محال واتحادهم بغير سلوكه مكابرة وجدال .

لما أراد الله بأهل الأرض إحساناً وأفضالاً وقدر ظهور العدل والفضل فيهم  
إكراماً لهم وإجلالاً وقضى بإطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والخن وتأييد  
دين الإسلام وتقوية أهل السنة السنوية المتمسكين بسنن سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل  
الصلاة والسلام وإقامة الشرع الشريف على رغم الملحدة اللثام أطلع في أفق الخلافة  
العظمى شمس الإيالة العثمانية وأسطق من أوج أسماء السلطنة الكبرى كمال المعدلة  
الخاقانية وأجلسهم على سرير الملك وملاكهم أعظم ممالك الإسلام وفتح على أيديهم  
الممالك العظام ونشر بهم جناح الأمن والأمان لا زالت دولتهم باقية إلى آخر الزمان اه .

ثم ذكر في تراجمهم ما يبرهن العقول من محاسن الصفات ومن الزهد والعدل والجهاد وفعل الخيرات وقد تقدم في هذا الكتاب كثير من ذلك ومن تأمل في سيرة الملوك والسلاطين الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين يحصل له كمال اليقين بأن الدولة العثمانية أحسن الدول الإسلامية بين العالمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لأنهم اتصفوا بصفات لم يتصف بها كثير من دول الإسلام وجمعوا فضائل لم تكن لغيرهم على عمر الليالي والأيام فمنها أن لهم كثيراً من الفتوحات الواسعة والفتوحات الشهيرة في الأقطار الشاسعة حتى اتسع بفتوحاتهم الإسلام وانتشر العلم والأمن والأمان بين الأنام ومنها أن عقائدهم صحيحة مطابقة لعقيدة أهل السنة والجماعة ليس فيهم مبتدع ولا خارج عن الطاعة ومنهم أنهم ناصرول مذهب أهل السنة وقائمون بشعائر الدين كافة في مدن الإسلام لا سيما في الحرمين الشريفين الذين هما منبع الدين وأساسه ومطلع نوره ونبراسه فإنهم موظفون لأهل الحرمين والوظائف التي بها قوام الدين ومظهرون شعائر الأئمة الأربعة الذين انحصر فيهم مذهب أهل السنة والجماعة ومرتبون للقائمين بوظائف الدين أعظم المرتبات ومنعمون عليهم بأنواع كثيرة من أصناف البر الذي به تكثر الحسنات ومرتبون أيضاً للأشراف والسادات والعلماء والصلحاء الأبرار ما يقوم بكفائتهم في المعيشة التي عليها المدار فأعانوا الجميع على القيام بالعبادة والاشتغال بالعلم النافع فقاموا بأداء الشكر لله تعالى وبذل الدعوات الخيرية للدولة العلية العثمانية في كل مسجد وجامع ومن محاسنهم الجليلة ومناقبهم الأثيلة أنهم دافعون كيد الكفرة الفجار والمبتدعة الأشرار بعساكرهم وخزائنهم في سائر الأقطار ومؤمنون بالطرقات للحجاج والزوار والتجار والمسافرين باذلون غاية جهدهم في نصرة الإسلام وصيانة الدين فيجب على كافة المسلمين السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعد سلطنتهم والدعاء لهم بدوام التوفيق والنصر الذي يكون به تأييد مملكتهم اللهم وفقهم لكل خير وادفع عنهم كل مكروه وضير ووفق سائر الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء والعمال للعدل ونصرة الدين ، وقد من الله على أهل هذا العصر الحميد بسلطنة واسطة عقد الدولة العثمانية الفريد من تشرفت بذكره في الحرمين الشريفين المنابر والمنائر وعمر مساجدهما فصدق عليه قوله

تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ السلطان الأعظم والخاقان  
الأكرم الأنخم خير خلف خلفاء الرحمن أشرف سلف آل عثمان السلطان ابن السلطان  
ابن السلطان الملك المنصور المظفر المعان (مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان) بن المرحوم  
مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان متع الله المسلمين بوجوده وأفاض عليهم سبحانه فضله  
وجوده وأدام له النصر والتمكين وأيده بروح القدس الأمين فكان له من حين ولايته  
إلى هذا الزمان من محاسن الصفات وفعل الخير ما يعجز عن بيانه اللسان فمن ذلك أنه  
عمر عمارة فائقة في الكعبة المعظمة وفرش باطنها بالرخام على أعجب الأوصاف المنظمة  
وبذل على ذلك كثيراً من الأموال وأنعم على مباشريها بما لا يحظر بالبال، وكان ذلك  
في سنة تسع وتسعين بعد المائتين والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه  
وسلم، ومن مآثره وخيراته الجليلة صدور أمره الكريم بوضع مطبعة في مكة المشرفة  
تطبع فيها كتب العلوم ليكثر انتشار العلم في موضع مهبط الوحي الذي هو مرجع  
الخصوص والعموم ليحصل له بذلك ثواب نشر العلم وتأييد قواعد الدين اللذين هما من  
أقوى أسباب التأييد والتمكين فكان وضع المطبعة المذكورة سنة ثلاثمائة بعد الألف  
من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وقام بوضعها واجتهد  
غاية الاجتهاد وبذل وسعه حتى كملت واشتهرت بين العباد الوزير المعظم والمشير  
المفخم دولتو السيد عثمان نوري باشا والي ولاية الحجاز وشيخ الحرم المحترم لا زال  
فعله مبروراً وسعيه مشكوراً وأقام في المطبعة المذكورة مديراً شويكي زاده السيد  
عبد الغني أفندي الدمشقي فصارت الناس تهرع إليها من جميع الجهات لطبع  
كتب العلوم فيها ويطبع فيها باللسان العربي والتركي والجاوي ففاقت بذلك جميع  
المطابع فنسأل الله تعالى أن يديم هذه السلطنة السنية ويوفقها لكل خصلة مرضية  
ويزيدها توفيقاً على عمر الزمان حتى تكون أهل هذه الملة بهذه الدولة في أعلى  
مقامات الاستقامة والإحسان ويتحقق بها ما تقدم عن سيدنا أبي بكر الصديق  
رضي الله عنه من قوله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ونسأل الله

لجميع التوفيق والإعانة والإخلاص والقبول وحسن الختام بحاج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وكان التمام للفتوحات الإسلامية في أول شهر رمضان المعظم سنة ١٣٠٠ اربع بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم آمين .

خليفة المسلمين خاقان الاعظم سلطان المعظم سلطان ابن السلطان سلطان عبد الحميد خان ثاني :

ولادته في ١٦ شعبان ١٢٥٨ هـ . ٢٢ ايلول ١٨٤٢ م .  
جلوسه في ١١ شعبان ١٢٩٣ هـ . ٣١ اغستوس ١٨٧٦ م .  
خلعه في ١٣٢٧ هـ . ٢٧ نيسان ١٩٠٩ م .  
وفاته ١٣٣٦ هـ . ١٩١٨ م .

سلطان ابن السلطان محمد خامس رشاد خان ابن عبد الحميد خان :

ولادته في ١٢٦٠ هـ . ١٨٤٤ م .  
جلوسه في ١٣٢٧ هـ . ٢٧ نيسان ١٩٠٩ م .  
وفاته في ١٣٣٦ هـ . ١٩١٨ م .

رفعه فتیان الترك الجهال الغافلون على العرش بعد خلع عبد الحميد خان الثاني . على ايامه فقد الدولة بوسنى والهرسك وتحررت بلغاريا واخذت ايطاليا بلاد طرابلس الغرب وابتلت تركيا بحرب البلقان و بالحرب الكونية الاولى .

سلطان محمد سادس وحيد الدين خان توفي في سان ريمو ( ايطاليا ) نقل جثمانه الى دمشق ودفن في جامع صلاح الدين الايوبي رحمهما الله وجعل الجنة شواهما .

مصطفى كمال باشا اتاتورك ولد في سلانيك (يونانستان) في ١٢٩٨ هـ . ١٨٨١ م . الفى دولة العثمانية الاسلامية (١٩٢٢) والخلافة التركية (١٩٢٤) و اسس الجمهورية اللارينية . اجرى انقلابات العظيمة الدينية والاجتماعية وضع استعمال الابجدية اللاتينية عوض العربية الاسلامية في الكتابة التركية تلقب ب( اتاتورك ) اي ابوالاتراك مات في ١٣٥٦ هـ . ١٩٣٨ م . حفرت في انقره

(الجزء الاوّل)

من كتاب غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ الشيخ

خير الدين أبي البركات نعمان افندي آلوسى رآه ابن

السيد الشيخ محمود افندي المفتي ببغداد

فحمدته تعالى على أن جعل سلطانتنا الاعظم والخليفة على الخليقة في هذا العالم عبده الخاضع لسلطانه وامير المؤمنين في زمانه حضرة مولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان ابن الخاقان المرحوم عبد انجيد خان ابن المبرور الخاقان السلطان محمود خان شيد الله تعالى دولته بالشرع الاقوم ونصره على سائر الامم ووقفه للخير الاثم وأذل له الطاغين الباغين وأعلابه كلمة الدين المبين وجعل في حوزته جميع الاقطار وسدد أركان دولته ما تعاقب الليل والنهار كيف لا وهو والحمد لله تعالى بدرسماء السلطنة العثمانية وشمس أوج سلطنتها السنية التي قال فيها الشيخ عبد الغنى النابلسي عليه الرحمة انها المشار اليها في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر أن الارض يرثها عبادى الصالحون

# كِتَابٌ

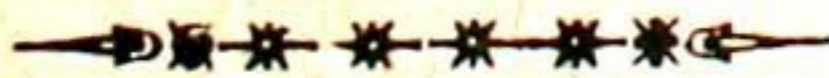
﴿ الفوائد البهية في تراجم الحنفية ﴾

بِإِذْنِ

العلامة ابي الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى الهندى

مع التعليقات السنية على الفوائد البهية

للمؤلف المذكور ضاعف الله له الاجور



الدولة العثمانية من أعظم سلاطين الدنيا جلاله وأشدهم قوة وآثاراً وأول من ملك في ممالك الروم الأمير  
عثمان الغازي بن أرطغرل بن سليمان شاه وله نسب يتصل الى يافث بن نوح وكان سليمان باشا سلطاناً في  
بلاد ماهان قرب بلخ فلما ظهر جنكيز خان وأخرب بلاد بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم  
شاه وتفرقت أهلها في سنة ٦١١ ترك بلاده وقصد بلاد الروم وتبعه خلق كثير وتقاتلوا مع الكفار في  
أذربيجان وغنموا شيئاً كثيراً ثم قصدوا نحو حلب فوصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعبر فعبروا النهر  
فغلب الماء عليهم فغرق سليمان شاه فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وكان معه أولاده الثلاثة سنقور وكون  
طوغدي وأرطغرل ولما وصلوا الى موضع يقال له ياسين أوسى رجع سنقور وكون طوغدي الى بلاد  
العجم وتخلف أرطغرل مع أبنائه الثلاثة وهم كوندزآلب وصادربني وعثمان ومكث هناك يجاهد الكفار  
ثم أرسل ابنه صادربني الى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي يستأذنه في  
الدخول الى بلاده فأذن له وعين لنزولهم جبال طوماينج وجبال هناك فأقبل أرطغرل مع أربع مائة من  
قومه فتوطنوا في قوجه طاغ سنة ٦٨٥ وفوض اليه الأمير علاء الدين أمر قلعة كوتاهية وكانت بيد الكفار  
ففتحها فازداد عنده قرباً ومنزلة ولم يزال أرطغرل يجاهد ويفزو الى ان توفي سنة ٦٨٧ فلما سمع السلطان  
وفاته تأسف وعين مكانه ولده عثمان الغازي وكان مولده سنة ٦٥٦ وأكرمه وكان كثير التردد الى المولى  
ادهبالي القرماني فرأى ليلة في منامه انه خرج من حصن الشيخ ادهبالي قر ودخل في حصنه ثم نبتت من  
سوته شجرة سدت الآفاق وتحتها جبال راسيات وعيون والناس ينتفعون به فلما استيقظ وقص رؤياه على  
الشيخ قال الشيخ له لك البشارة بمنصب السلطنة وإني زوجتك بنتي هذه فقبلها عثمان وولد له منها أولاد  
منهم أورخان ثم ان السلطان علاء الدين عظم بناؤه من التاتار وشاخ وكبر سنه فتسلطن عثمان في البلاد  
التي افتتحها وقيل بل أجازة بذلك علاء الدين وكان هو مجازاً من الخلفاء العباسية وخطب له فيها  
بالسلطنة ختن الشيخ ادهبالي طورسون الفقيه في مدينة قرهجه حصار سنة ٦٩٩ وفي سنة ٧٠٠ توفي  
علاء الدين وتولى مكانه ولده وكثر الهرج والمرج في بلاده فلحق غالب عساكره بالسلطان عثمان وفتح  
سنة ٧٠٧ ناحية مرمره وحصن آق حصار وحصن لفكه وغيرها وفي سنة ٧١٢ افتتح حصن كيوه  
وحصن تكوربيكاري وغيره وفي سنة ٧٢٢ حاصر مدينة بروسا وتوفي سنة ٧٢٦ وجلس بعده على سرير  
السلطنة ابنه أورخان في ابتداء سنة ٧٢٧ وكان مولده سنة ٦٧٨ وفتح مدينة بوسا وكانت في يد الكفار  
وانتقل اليها وجعلها دار السلطنة وبني بها جامعاً وفي سنة ٧٣١ فتح حصون قيون حصارى ومدينة أزنيق  
وارنكميد وكانت بيد الكفار وفي سنة ٧٥٨ بعث ولده سليمان الى طرف روم ايلي للجهاد مع عسكر كثير  
ففتحوا حصن جمني ومدينة كليبولي وهي مدينة جليلة بينها وبين قسطنطينية ست وثمانون ميلاً وتوفي  
سليمان سنة ٧٦٥ وذهب أخوه مراد خان الى روم ايلي ففتح مدينة جورلي بينها وبين قسطنطينية ثلاث  
مراحل ومدينة ويمتوته ثم توفي السلطان أورخان سنة ٧٦١ وتولى موضعه ابنه مراد خان وكان مولده  
سنة ٧٢٧ وفتح مدينة انكورية من بلاد حلب وفتح مدينة أدرنة من يد الكفار بينها وبين قسطنطينية

خمسة وتسعون ميلا وقتل بعد سنة ٧٩١ و جلس بعده ابنه يلدرم بايزيد خان وفتح قره طوه وبلاد  
 اسكوب وقسطموني وقونية وقيصرية وسيواس واماسية وتوقات ونيكسار وسامسون وغيرها ودخل تيمور  
 بلاد الروم سنة ٨٠٤ ووقع بينهما بقرب مدينة انقره حرب عظيم الى ان غلب تيمور وحبس وذهب به  
 معه الى المعجم فتوفي في أثناء الطريق بمدينة آق شهر سنة ٨٠٥ ونقل جسده الى بروسا ثم جلس بعده  
 ابنه محمد خان سنة ٨١٢ ومولده سنة ٧٧٧ وفتح بعض البلاد وتوفي سنة ٨٢٤ و جلس بعده ابنه مراد  
 خان وتوفي سنة ٨٥٥ و جلس بعده ابنه محمد خان ولم يزل يهيء أسباب القتال لفتح قسطنطينية الى ان  
 فتحها في جمادى الآخرة سنة ٨٥٧ بعد المحاصرة احدى وخمسين يوماً وظهر كنيسة فيها مسماة بياصوفية  
 وبنى هناك جامعاً وبنى فيها المدارس الثمان وفتح غيرها من القلاع الواسعة والبلاد الشاحجة منها بلاد حسن  
 الطويل سلطان المعجم وبلاد كنهه وتوفي سنة ٨٨٦ واستقر بعده ابنه بايزيد خان ومولده سنة ٨٥٢ وفتح  
 عدة من البلاد وبنى الجوامع والمدارس وفوض السلطنة في حياته الى ابنه سليم خان وانتقل بالملك بعده  
 وفاة أبيه سنة ٩١٨ وفتح بلاد ماردين والموصل وحسن كفا وجزيرة ابن عمر وغيره وقصد سنة ٩٢٢  
 قتال الفوري ملك مصر والشام وحلب وغيرها والتقى العسكران بقرب حلب الى ان قتل الفوري ودخل  
 هو مدينة حلب وخطب له فيها ثم فتح بيت المقدس وغزة وطبرية وورقة وانطاكية وعينتاب وغيرها  
 وملك مصر سنة ٩٢٣ وتوفي سنة ٩٢٦ وتولى بعده ابنه سليمان خان ومولده سنة ٩٠٠ وفتح عدة من  
 البلاد وسار الى بلاد تبريز ونخجوان ومراعة وغيرها من بلاد الشرق وسافر لفتح قلعة أسكدار سنة ٩٧٤  
 فرض هناك ومات وفتحت بعد موته و جلس بعده ابنه سليم خان ومات سنة ٩٨٢ و جلس بعده ابنه  
 مراد خان ومولده سنة ٩٥٣ وفتح كثيراً من بلاد المعجم وغيرها وتوفي سنة ١٠٠٣ و جلس بعده ابنه  
 محمد خان وتوفي سنة ١٠١٢ و جلس بعده ابنه أحمد خان هذا ما ذكره أحمد بن يوسف الدهشقي في كتابه  
 أخبار الدول وآثار الاول وقد أظن الكلام في ذكر وقائعهم وحوادثهم ومحارباتهم ومحاسنهم فان شئت  
 الاطلاع على ذلك فارجع اليه وذكر أبو الفوز محمد أمين البغدادي في كتابه سبائك الذهب في أنساب  
 العرب ان وفاة أحمد خان كانت سنة ١٠٢٦ و جلس بعده أخوه مصطفى خان ثم خلع نفسه عن السلطنة  
 واختار جلوس ابن أخيه عثمان خان بن أحمد خان فجلس هو سنة ١٠٢٧ ومولده سنة ١٠١٣ ثم ان  
 العسكر قاموا عليه وقلوه في سنة ١٠٣٢ وأعادوا عمه مصطفى ثم خلع هو نفسه و جلس مراد خان بن  
 أحمد خان سنة ١٠٣٢ ومولده سنة ١٠٢١ وتوفي سنة ١٠٨٩ و جلس بعده أخوه ابراهيم خان بن أحمد  
 خان ومولده سنة ١٠٢٤ ولم يزل على السرير الى ان توفي سنة ١٠٥٨ وتولى بعده ابنه محمد خان وولد  
 سنة ١٠٤٩ واستمر على ذلك الى ان خلعوه وذلك في سنة ١٠٩٩ وأجلسوا مكانه أخاه سليمان خان ابن  
 ابراهيم خان وتوفي سنة ١١٠٢ و جلس بعده أخوه أحمد خان بن ابراهيم خان وتوفي سنة ١١٠٧ ثم  
 جلس بعده مصطفى خان بن محمد خان وفي سنة ١١١٥ جلس أحمد خان بن محمد خان وفي سنة ١١٤٣  
 جلس محمود خان بن مصطفى خان بن محمد خان وفي سنة ١١٦٧ جلس عثمان خان بن مصطفى خان بن



محمد خان وفي سنة ۱۱۷۱ جلس مصطفى خان بن أحمد خان بن محمد خان وفي سنة ۱۱۷۸ جلس عيد الحميد خان بن أحمد خان بن محمد خان وفي سنة ۱۲۰۳ جلس سليم خان بن مصطفى خان بن أحمد خان وفي سنة ۱۲۲۲ جلس مصطفى خان بن عبد الحميد خان وفي سنة ۱۲۲۳ جلس محمود خان بن عبد الحميد خان وفي سنة ۱۲۵۵ جلس ابنه عبد الحميد خان وفي سنة ۱۲۷۷ جلس سلطان زماننا عبد العزيز خان ابن محمود خان وولادته سنة ۱۲۴۵ أدام الله دولته وأحيى به سنته انتهى ملتقطاً (قات) ووصل الخبر في جمادى الأولى من هذه السنة ان ارا كين الدولة أجمعوا على عزله فعزلوه وأجلسوا مكانه ابن أخيه مراد خان فأحاطت بعبد العزيز خان الندامة والحسرة فاستشهد رحمه الله تعالى ونعم الرجل كان .

### سلاطين عثمانيه

هجري شمسي	من	الى	سلاطين عثمانيه	هجري قمرى	من	الى	
۶۷۹	۷۰۰	سلطان عثمان خان غازى بن ارطغرل غازى .	۶۹۹	۷۲۶	سلطان اورخان غازى بن عثمان غازى .	۷۲۶	۷۶۱
۷۲۹	۷۰۵	سلطان مراد غازى بن اورخان ( خداوندگار ) .	۷۶۱	۷۹۱	سلطان بايزيد بن خداوندگار ( يلديرم ) .	۷۹۱	۸۰۵
۷۶۸	۷۲۹	چلبى سلطان محمد بن يلديرم بايزيد خان .	۸۰۵	۸۱۶	سلطان غازى مراد خان ثانى بن چلبى سلطان محمد .	۸۱۶	۸۲۱
۷۸۱	۷۶۱	سلطان ابوالفتح محمد خان غازى بن مراد ثانى .	۸۲۱	۸۵۵	سلطان بايزيد خان ثانى بن فاتح محمد خان .	۸۵۵	۸۸۶
		سلطان سليم خان غازى بن بايزيد ثانى ( ياوز ) .	۸۸۶	۹۱۸	سلطان غازى سليمان خان بن سليم اول ( قانونى ) .	۹۱۸	۹۲۶
		سلطان غازى سليم خان ثانى بن سليمان قانونى .	۹۲۶	۹۴۶	سلطان غازى مراد خان ثالث بن سليم ثانى .	۹۴۶	۹۷۲
		سلطان غازى محمد خان ثالث بن مراد ثالث .	۹۷۲	۹۸۲	سلطان احمد خان اول بن محمد خان ثالث .	۹۸۲	۱۰۰۳
		سلطان مصطفى اول بن محمد خان ثالث ( دفعة اولى ) .	۱۰۰۳	۱۰۱۲	سلطان عثمان خان ثانى بن احمد خان اول .	۱۰۱۲	۱۰۲۶
			۱۰۱۲	۱۰۲۶		۱۰۲۶	۱۰۳۱
			۱۰۲۶	۱۰۳۱		۱۰۳۱	۱۰۳۲
			۱۰۳۱	۱۰۳۲		۱۰۳۲	۱۰۳۷
			۱۰۳۲	۱۰۳۷		۱۰۳۷	۱۰۴۱
			۱۰۴۱	۱۰۴۲		۱۰۴۲	۱۰۴۷
			۱۰۴۲	۱۰۴۷		۱۰۴۷	۱۰۵۱

۱۰۰۲	سلطان مصطفیٰ ( دفعۃً ثانیہ )	۱۰۳۲ — ۱۰۰۰
۱۰۱۸ — ۱۰۰۲	سلطان غازی مراد خان رابع بن احمد خان اول .	۱۰۳۲ — ۱۰۲۹
§		
۱۰۲۷ — ۱۰۱۸	سلطان ابراہیم خان بن احمد خان اول .	۱۰۴۹ — ۱۰۵۸
۱۰۶۷ — ۱۰۲۷	سلطان محمد خان رابع بن ابراہیم خان . ( آوجی )	۱۰۵۸ — ۱۰۹۹
۱۰۷۰ — ۱۰۶۷	سلطان سلیمان خان ثانی بن ابراہیم خان .	۱۰۹۹ — ۱۱۰۲
۱۰۷۳ — ۱۰۷۰	سلطان احمد خان ثانی بن ابراہیم خان .	۱۱۰۲ — ۱۱۰۶
۱۰۸۲ — ۱۷۰۳	سلطان مصطفیٰ خان ثانی بن محمد خان رابع .	۱۱۰۶ — ۱۱۱۵
۱۱۱۰ — ۱۰۸۲	سلطان غازی احمد خان ثالث بن محمد خان رابع .	۱۱۱۵ — ۱۱۲۴
۱۱۳۴ — ۱۱۱۱	سلطان محمود خان اول بن مصطفیٰ خان ثانی .	۱۱۲۴ — ۱۱۶۱
۱۱۳۶ — ۱۱۳۴	سلطان عثمان خان ثالث بن مصطفیٰ خان ثانی .	۱۱۶۸ — ۱۱۷۱
۱۱۵۲ — ۱۱۳۶	سلطان مصطفیٰ خان ثالث بن احمد خان ثالث .	۱۱۷۱ — ۱۱۸۷
۱۱۶۷ — ۱۱۵۲	سلطان عبدالحمید خان اول بن احمد خان ثالث .	۱۱۸۷ — ۱۲۰۳
۱۱۸۶ — ۱۱۶۷	سلطان سلیم خان ثالث بن مصطفیٰ خان ثالث .	۱۲۰۳ — ۱۲۲۲
۱۱۸۷ — ۱۱۸۶	سلطان مصطفیٰ خان رابع بن عبدالحمید خان اول .	۱۲۲۲ — ۱۲۲۳
۱۲۱۸ — ۱۱۸۷	سلطان غازی محمود خان ثانی بن عبدالحمید خان اول .	۱۲۲۳ — ۱۲۵۵
۱۲۳۹ — ۱۲۱۸	سلطان غازی عبدالحمید خان بن محمود خان ثانی .	۱۲۵۵ — ۱۲۷۷
۱۲۵۵ — ۱۲۳۹	سلطان عبدالعزیز خان بن محمود خان ثانی .	۱۲۷۷ — ۱۲۹۳

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

وَعَلَىٰ آلِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

وَعَلَيْهِ تَتَوَكَّلُ

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

المسلمون المعاصرون

محمد سيد كييلاني

ماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة

جاء القرن العشرون وقد وقعت معظم الشعوب الإسلامية في قبضة الاستعمار الأوربي  
نحكما حكما مباشرا، ويمتاز خيراتها ويسخرها تسخير العبيد، فأخذ بعض مفكري المسلمين  
يبحثون عن أسباب تخلف أبناء دينهم وتأخرهم عن ركب الحضارة الغربية، فمنهم من عزا  
ذلك إلى جمود الأحكام الفقهية، وعدم مسابقتها لطبيعة العصر الحديث، وطفق الناس  
ينساءلون عن أوجه الحلال والحرام فيما بين أيديهم من أنواع الحضارة وال عمران، هل  
المساهمة في الشركات، وشراء السندات، وإيداع الأموال في المصارف وصناديق التوفير  
نظير ربح سنوي مما يحلله الدين؟ وهل خروج المرأة سافرة واختلاطها بالرجال في المدارس  
والمعاهد والمصالح الحكومية وغير الحكومية مما يبيحه الإسلام؟ هل تقابل الفتى مع الفتاة

وخروجها معه إلى الحدائق ودور اللهو قبل زواجهما مما يتفق مع الإسلام؟ هل لبس القبعة حلال أم حرام؟ هل التصوير والنحت وإقامة التماثيل وحلاقة اللحية وتشريح جثة الميت للكشف عن سبب وفاته، وعرض المرأة على الطبيب؛ مما تجيزه الشريعة الإسلامية؟ هل يجوز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية؟ وهل يجوز إذاعته من محطات الإذاعة؟ هل يجوز حل الأوقاف الأهلية؟ .

• • •

انقسم علماء المسلمين بإزاء هذه الموضوعات إلى قسمين :

١ - قسم متزمت يقول بالتحريم على طول الخط. وكان هذا الفريق إذا رأى بعض مظاهر الجدة أخذت طريقها بين المسلمين ربط بينها وبين ضعف الشعوب الإسلامية وخضوعها للمستعمرين، وعزا هذا الضعف وتلك الاستكانة إلى عدم تمسك المسلمين بتعاليم دينهم، وتقليدهم للفرنجة في كل شيء. وتعاليم الدين التي كانوا يقصدونها هي حالة الجمود والنفور من كل جديد ولو كان نافعا، فأخذ الربح على الأموال المودعة في المصارف وصناديق التوفير، وعن الأسهم والسندات، والسماح للمرأة بالخروج للتعلم أو العمل؛ كل هذا عندهم من أسباب ضعف المسلمين، ذلك الضعف الذي أدى بهم إلى الوقوع في قبضة المستعمرين.

٢ - وقسم كان يرى أن الدين الإسلامي لا يمنع معتنقيه من الأخذ بأسباب المدنية كلها، ومجاراته الفرنجة في ميادين العمل المختلفة، ومن رأيهم فتح باب الاجتهاد على مصراعيه وكان على رأس هذا الفريق الشيخ محمد عبده، ويؤثر عنه أنه قال «أما ما جاء في القرآن فعلى العين والرأس، وأما ما جاء في الحديث فعلى العين والرأس. وأما ما قاله الأئمة، فهم رجال ونحن رجال» ومن ثم أخذ يوفق بين الشريعة الإسلامية ومقتضيات العصر الحديث.

ويقول تلميذه محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup> : إن توسع الفقهاء في مسائل الربا ، وإدخالهم فيها ما لم يكن معروفا في عصر الوحي ، وتضييق أكثرهم في أحكام العقود المالية ، واستحداث الأمم التي يتعامل المسلمون معها لأنواع كثيرة من العقود والمعاملات ، وترقى العلوم الاقتصادية ، والأعمال المالية إلى درجة قضت بتفوق مُتَّبِعِي قواعدها ونظمها على غيرهم في الثروة والقوة والسيادة ، كل أولئك كان سببا في تخلف المسلمين ، ورافعا لغيرهم عليهم حتى في ديارهم ، بل هو أظهر العلل لسلب ملكهم منهم ، والسيطرة عليهم فيما بقي لهم من السيادة فيه . ولاعتقاد أكثر الذين يعرفون أحوال هذه الأمم العزيزة في علومها وأعمالها ويجهلون أصول الإسلام ؛ أن الإسلام نفسه علة ضعف المسلمين بما شرعه من الجمود على أحكام عتيقة مالية واجتماعية توجب فقر ملتزميها ، وكل ما يجره الفقر في الأمم من الذل والضعف وفقد الملك .

« إذن لا يمكن خروج الأمة الإسلامية من جحر الضب الذي دخلت فيه إلا بالاجتهاد ، ووجود المجتهدين . »

وقال محمد أبو زيد<sup>(٢)</sup> من علماء الأزهر :

« كل يوم نسمع ضجة الناس وقولهم إن أحكام الدين لا تصلح لهذا الزمان ، يضربون لذلك مثلا أحكام المحاكم الشرعية ، وأنها أوجدت كثيرا من المشاكل ، ولم تؤد المقصود من الإصلاح في الزوجية . وأن الزواج والطلاق أصبح الأمر فيهما فوضى . »  
« وقد فات هؤلاء الصائحين أن الأحكام التي يرونها مخالفة لمصالحهم ليست من نصوص الدين ، وإنما هي آراء ومذاهب لبعض الذين سبقوا طبقوها على زمانهم بقدر ما وصل اجتهادهم إليه من الفهم والاستنتاج . »

« فمن هذه الأحكام ما هو غير صالح الآن ، لأن أصحابه لم يروه لعصرنا ، وإنما رأوه لذلك الزمان . »

(٢) الزواج والطلاق المدني في القرآن ص ١ ، ٣

(١) الخلافة ط المنار ص ٦٥

«ومنها ما هو غير صالح من قبل، لأن أصحابه فهموه واستنتجوه من أحاديث لم تصح وظنوها صحيحة. أو لأنهم أخطأوا في فهم المراد من الآيات، أو في التطبيق على الحوادث. فالخطأ في الأحكام سببه بطلان الدليل، أو بطلان الفهم أو التطبيق.»

«وإنك لتجد كثيرا من الأحاديث التي تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها أحكام كانت خاصة بزمنها ومكانها، فلما نقلت فهم بعض الناس في مختلف العصور أنها يعمل بها، ولم يفهموا أنها مؤقتة، وأنها من سنة الرسول في التطبيق الذي قد تنسخه الحوادث، ويتغير بتغير الظروف والأحوال، وليست من الأمور التعبدية الدائمة التي أمر الله الناس أن يتقيدوا بها في كل زمان.»

«ولقد<sup>(١)</sup> كان تقليد الناس بعضهم بعضاً سبباً كبيراً في الضلال والخيرة. فقد يفهم أحد الفقهاء فهماً، ويكون خطأ، فيقلده الناس، ويصير هذا الفهم ديناً تمشي عليه التقاليد وتؤلف فيه الكتب. وإنك لتجد كثيراً من المسائل التي اشتهرت وأجمع الناس عليها بالتقليد لأصل لها في الدين إلا رواية ملفقة، أو حديثاً مكذوباً. وكثيراً ما اندست روايات وأحاديث في تفسير القرآن، وتحكمت فيه بحسن نية المفسرين حتى صارت قاعدة يطبقون القرآن عليها. فما وافقها منه أخذوه، وما عارضها أولوه أو نسخوه.»

فالمسلمون في هذا العصر قد انقسموا إلى فرقتين :

١ - فرقة ترى أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان. وكان ينتمى إلى هذه الفرقة كثيرون من المثقفين وبخاصة رجال القانون. قال علي أبو الفتوح، وكان من كبار رجال القانون في عصره، في مقدمة كتابه: «الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية» :

«يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الفرائد لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الإنسان من التمدن والترقي درجة رفيعة، ويتوهمون

(١) الزواج والطلاق المدني في القرآن ص ٢٨.

أن الأحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الأصول الإسلامية ، وإنما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب ، لم يسبقهم إليها أحد ، ولكن الباحث في الفقه الإسلامي ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق أن أسلافنا وصلوا في الرفاهية وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد »

٢ - وفرقة كانت ترى أن الأحكام الفقهية كما وصلت إلينا لاتصلح في كثير منها لهذا العصر ؛ وكان على رأس هذه الفرقة محمد عبده ، ورشيد رضا ، ومحمد أبو زيد وغيرهم ممن نادوا بفتح باب الاجتهاد ، وقالوا بعدم الاقتصار على المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة ، وعدم التقييد بالإجماع الذي لم يتحقق ثبوته في أي عصر من العصور . قال عبد المتعال الصعیدی<sup>(١)</sup> : « ولهذا أرى الاستغناء عنه بالكتاب والسنة ، وهذا يحل لنا مشكلة كبيرة فيما نقصد من الجمع بين جميع الفرق عند فتح باب الاجتهاد ، لنحصل على فقه يتعاون فيه اجتهادهم جميعا ، ولا تنفرد به فرقة دون غيرها من فرق المسلمين ؛ لأننا إذا أبقينا الاحتجاج بالإجماع رأينا أنفسنا أمام إجماع لأهل السنة ، وإجماع للشيعة ، وإجماع لغيرهم من الفرق المختلفة . ولا شك أن ذلك الإجماع المتعدد لا يمكن أن يتفق دائما . وهنا يصعب علينا أن نرجح إجماعا على إجماع » .

\*\*\*

وقد كانت حركة تحرير المرأة التي قام بها قاسم أمين ( ١٨٦٥ - ١٩٠٨ ) أول حركة تثير جدالا ونقاشا شديدا بين المسلمين الذين انقسموا بصدده هذا الموضوع إلى فريقين :

١ - الفريق الأول : أنصار الحجاب ، وهؤلاء كانوا يرون في دعوة قاسم أمين كفرا صريحا ، وخروجاً على أحكام الدين الحنيف ، وعاملاً على نشر الفوضى الخلقية .

(١) في ميدان الاجتهاد ، ص ٢٤ .

٢ - والفريق الثاني كان يرى أن الدين الإسلامي لم يفرض الحجاب على النساء .

وأولوا الآيات القرآنية التي نزلت في الحجاب على أنها خاصة بنساء النبي عليه الصلاة والسلام . قال قاسم أمين في قوله تعالى ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتُنَّ قَلَّا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَدْ نَزَّلَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ<sup>(١)</sup> ) .

« ولا يوجد اختلاف في جميع كتب الفقه من أي مذهب كانت ، ولا في كتب التفسير في أن هذه النصوص الشريفة هي خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم . أمرهن الله سبحانه وتعالى بالتحجب ، وبين لنا سبب هذا الحكم ؛ وهو أنهن لسن كأحد من النساء » .

« ولما كان الخطاب خاصا بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت أسباب التنزيل خاصة بهن ؛ لا تنطبق على غيرهن . فهذا الحجاب ليس بفرض ولا واجب على أحد من نساء المسلمين » .

« إنا نطلب تخفيف الحجاب ورده إلى أحكام الشريعة الإسلامية ، لا لأننا نميل إلى تقليد الأمم الغربية في جميع أطوارها وعوائدها لمجرد التقليد ، أو للتعلق بالجديد لأنه جديد ، وإنما نطلب ذلك لأننا نعتقد أن لرد الحجاب إلى أصله الشرعي مدخلا عظيما في حياتها المعاشية » .

« ولسنا في مقام استحسان أمر واستقباح آخر لما فيه من موافقة الذوق أو منافرته . وإنما نحن بصدد ما به قوام حياة المرأة ، أو ما به قوام حياتنا » .

وقد استمرت هذه المعركة أكثر من ربع قرن . وألفت فيها الكتب الكثيرة ، وحررت المقالات الطويلة ، ونظمت القصائد الرائعة .

(١) الأحزاب آية ٣٢ .



وقد اعتنق المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها آراء قاسم أمين في تحرير المرأة ، بل زادوا على ما نادى به كثيرا فمنحوها حق المشاركة في الحياة السياسية فأصبحت عضوا في المجالس النيابية . إلا أن المسلمين ما زالوا مختلفين في أمر اختلاط الجنسين . فهناك من يمنع هذا الاختلاط منعاً باتاً ، وهناك من يحدده ، وهناك من ينادى به وينتصر له . ومن أمثلة المناقشات التي دارت بهذا الصدد ما كتبه إسماعيل مظهر في مجلته «العصور» عدد سبتمبر سنة ١٩٢٨ ناقداً كتاب « المرأة في الإسلام » .

« . . . ويسألك - أي مؤلف الكتاب - إذا كنت تخلو بامرأة ، وبالطبع يقصد الجميلة ؛ لا البشعة المنظر ؛ في حديقة يحوط بكما الورد والرجس ، ماذا تحدثك به نفسك مهما كنت تقيا ورعا » .

« ويظهر أن حضرته قد أغفل عمداً ذكر صفة الجمال ، لأنه يعلم تمام العلم بأنه ليس من لزوميات النساء وحدهن ، بل يوجد في الذكور من يتصف بهذه الصفة . فهل يسمح لي أن أسأله : ما الذي تحدثك به نفسك مهما كنت ورعا تقيا إذا وجدت في ذلك المكان مع صديق جميل المنظر؟ بالطبع سيقوم الدنيا على ويقعدها ، ويصفني بأحط الأوصاف . ولكن هذا هو الواقع يا صديقي إذا أردتني أن أنسج على منوالك ، وأتناسى وجود شيء اسمه الشرف والترفع ، فإذا لم يوجد ؛ فلم لم تحصر الحجاب في الجميل من الجنسين؟ وهل تنكر ياسيدي أن عادة قوم لوط أكثر انتشاراً في بلاد الحجاب من أي مكان آخر؟ » .  
وقال عمر عنایت في ١٤٩ من العدد المذكور :

« الاختلاط ضروري للجنسين . فإذا تشبثتم بفكرة الفتنة وبفكرة ضعف المرأة ؛ فهلا حاولتم حجب وجه الرجل دونها ، لأنها أكثر منه تعرضاً للفتنة ؟ بل هلا حاولتم بالأقل الحجب على من هو جميل من الرجال ؟ لأن الجمال هو الداعي الأكبر للافتتان ، وليس مجرد الأنوثة ، أريد أن أسر إليكم يا أنصار الحجاب الأتقياء بما هو معلوم لديكم وهو : أينما وجد التحجب انتشر اللواط » .

هذه أمثلة مما كتبه أنصار الاختلاط بين الجنسين تأييدا لرأيهم. ويمكننا أن نقول إن اجتماع الرجل بالمرأة يأتي بثمرة ، فلمن تنسب هذه الثمرة ؟ ونحن مازلنا نتمسك بالزواج من البنت البكر ، ومازلنا نتحري عن سمعة الفتاة قبل أن نتزوج بها ، في حين أن أهل الفتاة لا يتحرون عن سمعة الشباب من الناحية الجنسية . ثم إن اللواط موجود بكثرة في أوروبا وأمريكا ، فبم نعلل ذلك ؟ وهذه البلاد لا تعرف الحجاب . انظر إلى ما نشرته صحيفة الجمهورية في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٥٧ تحت عنوان « الشذوذ الجنسي عمل مشروع يوافق عليه مجلس الكنائس الإنجليزية » وهو : « وافق مجلس الكنائس الإنجليزية بعد مناقشات حامية على التوصية التي كانت تقدمت بها إحدى اللجان الحكومية باعتبار الشذوذ الجنسي الذي يحدث بين البالغين وبراءهم عملا مشروعاً لا يعاقب عليه القانون . وكان كبير أساقفة كانتبري « جوفر فيشر » هو الذي قاد الحملة لتأييد هذه التوصية التي تمت الموافقة عليها في مجلس الكنائس بأغلبية ١٥٥ صوتاً ضد ١٣٨ » .

• • •

وعلى كل حال فإن المسلمين اضطرتهم ظروف الحياة ، وبخاصة في المدن الكبرى إلى التساهل فيما يتعلق بالزنا . وذلك لأن الشاب المسلم يظل يتلقى العلم حتى يجاوز العشرين أو الخامسة والعشرين . وإذا وجد عملاً فإن دخله لا يمكنه من الزواج إلا بعد أن يتجاوز الثلاثين . وعوامل الإغراء أمامه كثيرة ، في الشارع ، وفي السيارات العامة ، وفي دور اللهو وفي القصص والروايات والصور ، وفي المعاهد والجامعات .

وأصبحت الفتاة المسلمة لا تجد غضاضة في أن تظهر مفاتها وتكشف عن صدرها وظهرها ، وتدهن بالمساحيق خديها وشفثيها . وتظهر على الشواطئ بملابس البحر . فالواقع أن الوازع الديني من هذه الناحية إن لم يكن انعدم تماماً ، فهو في طريق الانعقاد .

• • •

واختلف المسلمون : هل يقيدون الزواج بواحدة ؟ أم يتركون الناس على ما أباحه لهم الدين ؟

وقد ظهر الرأي القائل بالتقييد فيما كتبه قاسم أمين ومن جاء على أثره من المفكرين . وكان من المسلمين من يرى في هذه الدعوة كفرا . وقد كتبت صحيفة « المؤيد » في ١٤ مارس سنة ١٩١٤ تحت عنوان « رد نزع إحادية » مقالا جاء فيه : « نشر الدكتور عبده البرقوقي مقالة في تعدد الزوجات افتري فيها على الدين ما شاء » .

« لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « تَفَتَّرِقُ أُمَّتِي عَلَى بَضْعِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، أَعْظَمُهَا عَلَى أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْيِسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ ، فَيُجِلُّونَ الْحَرَامَ ، وَيُحَرِّمُونَ الْحَلَالَ » .

« فإن هذه الفرقة ظهرت على الناس في أوائل هذا القرن ، ولكن لم يظهر تأثيرها إلا قريبا . وقد أفسدت على الناس دينهم بأرائها الفائلة ، وأباطيلها الفرارة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . بل هذه حملة مدبرة ضد الإسلام والمسلمين أقامها هؤلاء الفلاسفة ليقوضوا أركان هذا الدين الكريم » .

إلا أننا نرى أحد علماء الأزهر ، وهو الشيخ محمد أبو زيد يقول : « إن الزواج<sup>(١)</sup> بواحدة هو الأصل في الفطرة ، لأن فيه تبادل الحب بين الزوجين ، وحصر أفكارها في إصلاح أولادها ، وتعاونهما على المشاركة في الحياة » .

« وأما تعدد الزوجات فمفرق للحب ، وموجد للنزاع بين الزوجات والأولاد ، ومقلق لبال الرجل ، وباعث على إفساد نظام الأسرة . وأن الله الذي يشرع الأحكام لتنظيم الفطرة يعلم أن المرأة لا تنقل عن الرجل غيرة على الزوج وحباً في الأفراد به » . وقد انتصر الرأي القائل بعدم التقييد ، وخاصة بعد أن انضح إخفاق التجربة التي

(١) للزواج والطلاق المدنى في القرآن ص ٢١ .

حدثت في تركيا، إذ اتضح للحكومة التركية أن تقييد الزواج بواحدة، أدى إلى انتشار زيجات سرية، كما أدى إلى اختلاط غير شرعي بين الجنسين .

\*\*\*

واختلفوا كذلك في جواز ترجمة القرآن . فقال بعضهم إن القرآن مق ترجم تكون ترجمته تبديلا لكلمات الله، وقد نهى الله عن ذلك . قال الشيخ حسنين مخلوف<sup>(١)</sup> :  
 «... ومن أسوأ هذه الأعمال، وأكثرها شراً، وأعظمها ضرراً، وأشدّها اجترأ على كتاب الله ترجمته ترجمة حرفية، فإنها ضرب من التحريف والتغيير والتبديل فيما تولى الله ورسوله حفظه، وأمرنا بالمحافظة عليه» .  
 وهو يرى أن ترجمة التفسير جائزة بشرط أن يكون التفسير صحيحاً . إلا أن الأتراك قاموا بترجمته، وهم يتلونه بلسانهم .

أما تسجيل القرآن على اسطوانات الحاكي، فقد تعرض لها الشيخ مخلوف فقال :  
 «وأي استهانة بكلام الله القديم، واستخفاف بشأنه أبشع من نقل ألفاظه الشريفة، وآياته المقدسة بآلات لا تدار إلا للطرب بالأناشيد الفرامية، والمداعبات الفكاهية، وباللهو بالهجر من القول؟!» .

ولما أقيمت دار الإذاعة كرر بعضهم هذه الأقوال، وزاد عليها أن المذيع يوضع في المقام، وفي الخمرات، وبيوت الدعارة وفي هذه الأحوال يتعرض كلام الله لضروب من الاستهزاء والسخرية .

\*\*\*

وفيما يتعلق بالنحت والتصوير وإقامة التماثيل فقد أجازها المسلمون وبخاصة في هذه الأيام، وقالوا إن الأغراض التي دعت إلى تحريمها قد انتفت، ولا خوف منها على العقيدة .

...

(١) رسالة في حكم ترجمة القرآن ط مصر سنة ١٩٢٥ .

من المعروف أن المسلمين أجمعين قد اتفقوا فيما مضى على أن الإمامة واجبة شرعاً وأن أمور الدين لا تستقيم إلا بوجود الإمام ، ولم يشذ عن هذا إلا الخوارج .  
وفي سنة ١٩٢٤م ألغت حكومة مصطفى كمال الخلافة العثمانية ؛ وقد أصدر المجلس الوطني التركي رسالة شرح فيها وجهة نظره في إلغاء الخلافة . إلا أن الرأي العام في العالم الإسلامي لم يقابل هذا العمل بالارتياح . وأخذ بعض مفكرى المسلمين يتبادلون الآراء لإقامة خلافة إسلامية .

أما الرسالة التي أصدرها المجلس الوطني التركي بعنوان : « الإسلام وسلطة الأمة » فقد ترجمت إلى اللغة العربية وطبعت بمطبعة الممتطف بمصر سنة ١٩٢٤ .

وفي سنة ١٩٢٥ أصدر على عبد الرازق ، وكان قاضياً بمحكمة المنصورة الشرعية الابتدائية كتابه « الإسلام ونظام الحكم » وبين الاسمين تشابه كما ترى .  
وقد جاء في كتاب « الإسلام وسلطة الأمة » ص ٥ مانصه :

« إن هذه المسألة - الخلافة - دنيوية وسياسية أكثر من كونها مسألة دينية ، وإيها من مصلحة الأمة نفسها مباشرة ، ولم يرد بيان صريح في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية في كيفية نصب الخليفة وتعيينه ، وشروط الخلافة ما هي ... »

وقال على عبد الرازق في ص ١٦ مانصه : « إنه لعجب عجيب أن تأخذ بيدك كتاب الله الكريم ، وتراجع النظر فيما بين فاتحته وسورة الناس ، فترى فيه تصريح كل مثل ، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين ( مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة ، أو الخلافة . إن في ذلك مجالاً للمقال ! ليس القرآن وحده الذي أهمل تلك الخلافة ، ولم يتصد لها ، بل السنة كالقرآن أيضاً ، قد تركتها ولم تتعرض لها . »

وفي رسالة المجلس الوطني التركي ص ٤ مانصه : « إن الفرقة المسماة بالخارجية تنكر

وجوب الخلافة ، وتقول إن أمر نصب الخليفة وتعيينه ، ليس واجبا على الأمة الإسلامية ، بل هو جائز ، ووجوده وعدم وجوده سياتي .

ويقول على عبد الرازق في ص ٢٣ مانصه : « ... فكيف وقد قالت الخوارج لا يجب نصب الإمام أصلا ، وكذلك قال الأصم من المعتزلة ، وقال غيرهم أيضا كما سبقت الإشارة إليه . وحسبنا في هذا المقام نقضا لدعوى الإجماع أن يثبت عندنا خلاف الأصم والخوارج وغيرهم ، وإن قال ابن خلدون إنهم شواذ » .

وهكذا ردد على عبد الرازق في كتابه ماجاء في رسالة المجلس الوطني التركي ، وزاد عليها شيئا من فساد الفهم ، وسوء الأدب في حق النبي صلى الله عليه وسلم وحق كبار الصحابة .

وقد قابلت الدوائر الاستعمارية والمراكز التبشيرية المسيحية كتاب على عبد الرازق بالترجيح والتصفيق ، وذلك لخشيته من كل فكرة ترمي إلى تكتل العالم الإسلامي ، وارتياحها إلى نشر مثل هذه الآراء الخبيثة التي ضمنها على عبد الرازق كتابه ، تلك الآراء التي تخدم أهداف الاستعمار وتحقق آماله في السيطرة على الشعوب الإسلامية ، وإذلالها إلى الأبد . وقد كشف المؤلف عن نفسه الخبيثة في حديثه مع مراسل صحيفة « البورص إجبسيان » ، حينما سأله هذا المراسل :

— هل يمكن أن نعتبرك زعيما لمدرسة ؟

فأجاب : لست أعرف ماذا تعني بزعيم مدرسة . فإن كنت تريد بهذا أن لي أنصارا ؛ يسرني أن أصرح لك أن الكثيرين يرون رأبي ، لافي مصر وحدها ، بل في العالم الإسلامي بأسره . وقد وصلتني رسائل التأييد من جميع أقطار العالم التي نفذت إلى الإسلام . ولا ريب أنني رغم الحكم ، لا أزال مستمرا في آرائي وفي نشرها ، لأن الحكم لا يعطل طريقة تفكيري .

« وسأسعى إلى ذلك بكل الوسائل الممكنة كتأليف كتب جديدة ، ومقالات في الصحف ، ومحاضرات وأحاديث » .

والآراء التي أراد على عبد الرازق أن ينشرها بين المسلمين ، ويؤلف فيها الكتب  
تتلخص في الطعن في حكومة النبي صلى الله عليه وسلم ، واتهام كبار الصحابة بأشنع  
التهمة . ولم يكن من بين هذه الآراء الحزب علي مكالحة الاستعمار ، والجهاد في سبيل  
الاستقلال والحرية ، ولا عجب في ذلك ، فبيت عبد الرازق كان في ذلك الوقت من  
البيوت العريقة في خدمة الاستعمار ، فقد أنشأ حسن عبد الرازق حزب الأمة سنة ١٩٠٨ ،  
لمحاربة الحركة الوطنية . وبعد سنة ١٩١٩ م انضم آل عبد الرازق إلى حزب الأحرار  
الدستوريين الذي كان يعمل مع الإنجليز .

• • •

وقد انعقدت هيئة كبار العلماء برئاسة المرحوم محمد أبي الفضل الجيزاوي ، شيخ  
الجامع الأزهر في ذلك الوقت ، صباح الأربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ هـ ( ١٢ أغسطس  
سنة ١٩٢٥ ) وكان عدد أعضائها أربعة وعشرين عالماً . ولما مثل على عبد الرازق أمام  
الهيئة حياها بقوله « السلام عليكم » فلم يرد عليه أحد . وبعد مناقشة طويلة ، أصدرت  
الهيئة حكمها بإدانة المتهم ، وإخراجه من زمرة العلماء .

ويترتب على الحكم المذكور : محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر  
والمعاهد الأخرى ، وطرده من كل وظيفة ، وقطع مرتباته في أي جهة كانت وعدم أهليته  
للقيام بأية وظيفة عمومية ، دينية كانت أو غير دينية .

أما حيثيات الحكم ، فنوجزها فيما يلي :

١ — أن الشيخ عليا جعل الشريعة الإسلامية ، شريعة روحية محضة ، لا علاقة لها  
بالحكم والعنف في أمور الدنيا .

وقد ردت الهيئة على هذا الزعم الباطل بأن الدين الإسلامي هو إجماع المسلمين على  
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، من عقائد ، وعبادات ، ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا

والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا ، وأحكام كثيرة في أمور الآخرة .

وقالت الهيئة : وواضح من كلامه - المؤلف - أن الشريعة الإسلامية عنده شريعة روحية محضة ، جاءت لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط ، وأن ما بين الناس من المعاملات الدنيوية وتدير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به ، وليس من مقاصدها .

وهل في استطاعة الشيخ أن يشطر الدين الإسلامي شطرين ، ويلغى منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا ، ويضرب بآيات الكتاب العزيز ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط ؟!

•••

٢ - ومن حيث إنه زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك ، لا في سبيل الدين ، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين .  
فقد قال « . . . وظاهر أول وهلة أن الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة إلى الدين ، ولا لحمل الناس على الإيمان بالله ورسوله » .

ثم قال : « . . . وإذا كان صلى الله عليه وسلم قد لجأ إلى القوة والرهبة ، فذلك لا يكون في سبيل الدعوة إلى الدين وإبلاغ رسالته إلى العالمين ، وما يكون لنا أن نفهم إلا أنه كان في سبيل الملك » .

على أنه لا يقف عند هذا الحد ، بل كما جوز أن يكون الجهاد في سبيل الملك ، وممر الشؤون الملكية ، جوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم ، ونحو ذلك في سبيل الملك أيضاً . وجعل كل ذلك على هذا ، خارجاً عن حدود رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل به وحى ، ولم يأمر به الله تعالى .

والشيخ على لا يمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز ، فضلاً عن صريح الأحاديث المعروفة ، ولا يمنع أن ينكر معلوماً من الدين بالضرورة .



وذكرت الهيئة الآيات الواردة في الجهاد في سبيل الله ، والآيات الخاصة بالزكاة ، وتنظيم الصدقات ، وتقسيم الغنائم ، وهي كثيرة .

•••

٣ - ومن حيث إنه زعم أن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض ، أو إبهام ، أو اضطراب ، أو نقص ، وموجبا للحيرة .

وقد رضى لنفسه بعد ذلك مذهباً ، هو قوله : « إنما كانت ولاية محمد صلى الله عليه وسلم على المؤمنين ولاية رسالة غير مشوبة بشيء من الحكم » . وهذه هي الطريقة الخطيرة التي خرج إليها ، وهي أنه جرد النبي صلى الله عليه وسلم من الحكم .

وما زعمه الشيخ على مصادم لصريح القرآن الكريم . فقد قال الله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ) ثم أوردت الهيئة آيات كثيرة تتضمن معنى الآية السابقة ، وتنحو نحوها .

•••

٤ - ومن حيث إنه زعم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت بلاغا للشرعية مجردا عن الحكم والتنفيذ ، ولو صح هذا لكان رفضاً لجميع آيات الأحكام الكثيرة الواردة في القرآن الكريم . ومخالفاً أيضاً لصريح السنة ، ثم أوردت الهيئة كثيراً من الأحاديث التي تهدم مزاعم المؤلف ، وختمت ذلك بقولها : « فهل يجوز أن يقال بعد ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم ، إن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وإنه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به ، ولا أن يحملهم عليه ؟ » .

•••

٥ - ومن حيث إنه أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام ، وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا . وقال إنه يقف في ذلك في صف جماعة غير قليلة من أهل القبلة ، يعني بعض الخوارج والأصم ؛ وهو دفاع لا يبرئه من أنه خرج على

الإجماع للتواتر عند المسلمين . وحسبه في بدعته أنه في صف الخوارج ، لاقى صف  
جماعير المسلمين .

\*\*\*

٦ -- ومن حيث إنه أنكر أن القضاء وظيفه شرعية، وقال إن الدين ذهبوا إلى  
نيل القضاء، وظيفه شرعية، جعلوه متفرعا عن الخلافة ، فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء .  
وكلامه غير صحيح ، فاتقضاء ثابت بالدين على كل تقدير، تمسكا بالأدلة الشرعية  
التي لا يستطيع نقضها .

\*\*\*

٧ -- ومن حيث إنه زعم أن حكومة أبي بكر ، والخلفاء الراشدين من بعده ،  
رضي الله عنهم ، كانت لادينية ، وهذه جرأة لادينية ، ودفاع الشيخ على بأن الذي  
يقصده من أن زعامة أبي بكر لادينية ، أنها لا تستند إلى وحي ، ولا إلى رسالة، مضحك  
موقع في الأسف ، فإن أحداً لا يتوهم أن أبا بكر رضي الله عنه ، كان نبيا يوحى إليه ،  
حتى يعنى الشيخ على بدفع هذا التوهم .

تقد بايع أبا بكر رضي الله عنه ، جماهير الصحابة من أنصار ومهاجرين ، على أنه  
القائم بأمر الدين في هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم .  
وإن ما وسم به الشيخ على أبا بكر رضي الله عنه ، من أن حكومته لادينية ،  
يقدم على مثله أحد من المسلمين ! فالله حسبه ، ولكن الذي يطعن في مقام النبوة  
يسهل عليه كثيرا أن يطعن في مقام أبي بكر وإخوانه الخلفاء الراشدين ، رضي الله  
عنه أجمعين .

هذه خلاصة الحثيات التي بنت عليها هيئة كبار العلماء حكمها السالف الذكر ، و  
كان الحكم قد صدر في شهر أغسطس، أي في وقت الصيف حيث كانت دار المنذور  
السامي خالية من كبار رجالها؛ لم يستطع هؤلاء أن يعملوا شيئا لإفقاذ الشيخ على وبخاص

بعد صدور حكم هيئة كبار العلماء ، وثورة الرأي العام ضد المؤلف فتخلوا عنه كما هي عادتهم في مثل هذه الظروف ، وبذلك فصل من وظيفته ، وقد كشفت صحيفة «ليفربول بوست» البريطانية عن هذه القبايح والمنكرات التي دبرها الاستعمار البريطاني ، واتخذ على عبد الرازق وسيلة لتنفيذها ، تعاونه طغمة من حزب الأحرار الدستوريين . نشرت الصحيفة المذكورة في ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ مقالا جاء فيه : « . . . ولما عجز الأزهر عن حمل الحكومة على محاكمة الشيخ على عبد الرازق ؛ أصدر قرارا يفصله من زمرة العلماء ، ولكن الرأي العام المصري لا يؤيد تحفز الأرثوذكسية الإسلامية للشجار ، وقد بذلت مساع جديّة لإحباط خططها ، وسنرى إذا كانت هذه الأرثوذكسية ستنتجح في فصل رجال الدين المصريين عن غيرهم وربما هزت حادثة مصطفى كمال أدمغة المصريين وأحدثت لفظا بينهم » .

• • •

وبعد اثنين وعشرين عاما؛ غيرت هيئة كبار العلماء رأيها في الشيخ على عبد الرازق؛ فبعد أن كان سنة ١٩٢٥ كافرا خارجا على الإسلام ، منكرا لكثير مما ورد في القرآن والسنة ، إذا هو في سنة ١٩٤٧ مؤمن يستحق العطف ويستوجب العفو انظر إلى ما نشرته صحيفة الأهرام في ٢٦ - ٢ - ١٩٤٧ تحت عنوان « العلماء يلوذون بالعرش في مسألة على عبد الرازق بك » وهو :

« عندما أصابت الأزهر تلك الصدمة التي نزلت فجأة في شيخه الأكبر المفخور له الشيخ مصطفى عبد الرازق؛ انجبت نية كبار العلماء إلى تكريمه كراه في شخص شقيقه الأستاذ على عبد الرازق بك ، وذلك بأن يلوذوا بالسدة الملكية ملتجئين عفوا ملكيا عن أثر القرار الذي اتخذته هيئة كبار العلماء من قبل ، فما اختمرت هذه الفكرة حتى أخذت سبيلها إلى التنفيذ ، وأعدت صيغة الالتماس الذي يرفع في هذا الشأن . وحمله إلى القصر العاصر جماعة كبار العلماء وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر » .

« وما هو جدير بالذكور؛ أنه روعي في رفع هذا الالتماس أن تتقدم به الهيئتان العلمية والتنفيذية في الأزهر . تمثل الأولى : جماعة كبار العلماء ، وتمثل الثانية : المجلس الأعلى للأزهر ، وأن يكون الملاذ في ذلك ؛ هو جلالة صاحب العرش ، بعد أن تبين أن جماعة كبار العلماء لا تملك بوضعها الحالي أن تتخذ قرارا جديدا بإلغاء قرارها الأول في مسألة الأستاذ علي عبد الرازق بك؛ إذ أن مثل هذا القرار يجب أن يصدر بأغلبية ثلثي أعضائها ، على أن يكون من بينهم شيخ الأزهر . وذلك يقضى قرارا من عشرين عضوا ، على حين أن الأحياء من أعضاء الجماعة لا يبلغون هذا العدد » .

هذا ما نشرته الصحف في ٢٦ - ٢ - ١٩٤٧ ، ومنه نرى أن علماء الأزهر ، بما فيهم هيئة كبار العلماء كانوا مدفوعين من تلقاء أنفسهم إلى طلب العفو عن علي عبد الرازق ، وأن هيئة كبار العلماء لم تتوفر فيها العدد القانوني الذي يمكنها من إلغاء قرارها الصادر في ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ ، فلذلك لجأت إلى الملك . والحق أن هذا كله محض كذب وافتراء ، فقد أراد الملك فاروق أن يعين علي عبد الرازق وزيرا للأوقاف ، فأمر شيوخ الأزهر بأن يقوموا بهذه الحركة ، فأطاعوا وتبرعوا بالكذب .

وفي يوم ٣ مارس سنة ١٩٤٧ نشرت الصحف مرسوما بتعيين علي عبد الرازق وزيرا للأوقاف .

والعجب أن يكون تكريم ذكري مصطفى عبد الرازق على حساب الدين ؛ هذا إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى القرار الصادر سنة ١٩٢٥ . وإلى الضجة الهائلة التي أحدثها علماء الأزهر حول الكتاب ومؤلفه .

•••

وعلى كل حال فإن المؤتمرات التي عقدت للنظر في إقامة خلافة إسلامية قد باءت بالفشل ، وذلك بفضل دسائس الاستعمار . والمسلمون من أهل السنة قد انصرفوا عن النظر في هذا الموضوع نهائيا . فيبدو أنهم اعتنقوا مذهب الخوارج في الإمامة .

تناول بعض الباحثين المسلمين القرآن الكريم والسيرة النبوية تناولا أدى بهم إلى الكفر الصريح على أن منهم من رجع عن آرائه وتبرأ منها وعاد إلى حظيرة الإسلام ، والله أعلم بالسرائر .  
وعن نما هذا النحو :

١ - منصور فهمي ( ١٨٨٦ - ١٩٥٩ )

سافر منصور فهمي إلى فرنسا سنة ١٩٠٨ في بعثة على نفقة الجامعة المصرية ، فوضع رسالة للحصول على درجة دكتوراه الدولة ، موضوعها « حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها » .

La Condition de la femme dans la tradition et l'évolution de l'islamisme .

وقد جاء في ص ١٥ ما ترجمته :

« محمد يشرع لجميع الناس ويستثنى نفسه » « ومع أنه - يعني محمداً - كان المشرع الذي ينبغي أن يخضع لما يدعو إلى تطبيقه على الآخرين ، إلا أنه كان له ضعفه ، واختص نفسه ببعض المزايا » .

وقال في الصفحة المتقدمة ما ترجمته :

« . . . وفي الساعة التي كان يعود فيها إلى شعوره كإنسان ، كان ينبغي عليه أن يدرك أن من الصعب عليه أن يخضع للقوانين التي جاهر بها باسم الرب . ومع ذلك فإنه

عزم باعتباره رسولا ، أن يلزم بقوانينه الأمة التي يريد أن ينشئها، إلا أنه سرعان ما وجد حلا لتلك المشكلة ، فاختص من حمل برسالة إلهية بميزات لا يحظى بها العاديون من الفانين .

وقال في ص ١٦ ما ترجمته :

« وهكذا نجد أنه - يعني محمدا - بعد أن ينام نوما عميقا، يقوم ليؤدي صلواته دون أن يجد طهوره ووضوءه ، على حين أن المؤمنين الآخرين، كان عليهم الشروع في وضوء وطهور جديد . ومن أجل أن يبرر الاستثناء الذي عمل لصاحبه ؛ اكتفى بأن قال : إن عيني تنام ، ولا ينام قلبي أبدا . »

وقال في ص ١٨ ما ترجمته :

« ولقد حد النبي من نظام تعدد الزوجات ، إلا أنه تعدى بالنسبة إلى نفسه ما وضعه من حدود للآخرين . فمع أن بقية المؤمنين لم يكن في مقدورهم أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء، فإن محمدا أجاز لنفسه أن يتزوج بأكثر من ذلك . هذا كما أنه استلزم لشرعية الزواج : دفع مهر ، ووجود شهود ، إلا أنه في زواجه أعفى نفسه من المهر والشهود . »

وهكذا مضى منصور فهمي في كتابه على هذه الوتيرة . ونشره في باريس سنة ١٩٠٣ .

وقد كتب لمرحوم « محمد لطفى جمعة » مقالا طويلا نشرته صحيفة « المؤيد » في ٢٨ يناير سنة ١٩١٤ وفيه رد قوى على مزاعم منصور فهمي الذي اعتمد على الأحاديث الموضوعية والضعيفة ، ومع ذلك فلم يشأ أن يفهمها على وجه صحيح ، بل فهمها على وجه خطأ ، لأغراض قبيحة انطوت عليها نفسه الخبيثة .

وبين المرحوم محمد لطفى جمعة الحكمة في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع ، والظروف التي أحاطت بكل زواج ، وما ترتب على ذلك من فوائد سياسية

واجتماعية عززت مكانة الإسلام ، ووطدت أركانه في شبه الجزيرة . وذكر أن حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، من يوم مولده إلى أن بعث وهو في الأربعين من عمره ، كانت حياة طهر وعفاف ، وصلاح واستقامة . ولو أنه كان شهوانيا مفرطا في حب النساء لاقتنى أكثر من امرأة ، وبخاصة وأنه كان شابا ، ولم توجد أمامه عقبة تحول بينه وبين التمتع بالنساء . أما وأنه قد تزوج بأكثر من امرأة ، وهو بعد الأربعين ، وبعد أن شغل بنشر الرسالة ، وحمل أعباء الجهاد ، فهذا لا يرجع إلى نزوات حيوانية ، وإنما يرجع إلى ظروف خاصة ، هي التي سبقت الإشارة إليها . واستشهد كاتب المقال بأقوال المنصفين من كتاب الغرب ، وكلها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، والثناء عليه ، والإشادة بطهره وعفافه ، واستقامته ونزاهته .

• • •

على أن فترة الشك لم تطل عند منصور فهمي ، فقد رجع إلى حظيرة الإسلام منذ سنة ١٩١٥ ، وله خطبة ألقاها في الاحتفال بعيد الهجرة سنة ١٣٦١ هـ جاء فيها :

« . . . ذلك لأننا في هذا اليوم المحتفى بمقدمه : قد نسمع في صميم وجداننا المرهف صوتا مدويا ينبعث من خلال هذه القرون الخالية ، ليلقي في سمعنا أنشودة البطولة الحمديّة الرائعة ، ويهز عواطفنا لمطلع دين جديد ، إنساني سمح عظيم . ويذكرنا بروائع الجهاد البالغ ، حين حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانته ، فحماها واثقا لكي يبلغها إلى الناس كاملة . ولكي تتشخص على الأرض نعمة الله ، حين يضع للناس دستورا ، ويرسم لحياتهم نظاما يؤمنهم من وساوس الشك ، وينقذهم من تضليل الارتياب » .

وله خطب كثيرة ومقالات تدل على عمق إيمانه بالله ، وعلى تمسكه بالدين الإسلامي .

• • •

## ٢ - طه حسين

في سنة ١٩٢٦ م أصدر طه حسين كتابه : « في الشعر الجاهلي » . وقد جاء في ص ٢٦ مانصه :

« للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا ، أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي » .  
ثم قال أيضا في الصفحة المذكورة :

« ... فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الخيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية ، والقرآن والتوراة من جهة أخرى ، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة ، إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ، ويثبون فيه المستعمرات . فنحن نعلم أن حروبا عنيفة شبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين ، وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد ، و انتهت بشيء من الملاينة ، ونوع من المحالفة والهادنة ، فليس ببعيد أن يكون هذا الصلح الذي استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد ؛ منشأ هذه القصة التي تجعل العرب واليهود أبناء أعمام ، لاسيما وقد رأى أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئا من التشابه غير قليل ، فأولئك وهؤلاء ساميون » .

وقال في ص ٢٧ مانصه :

« وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرون

السابع للمسيح .

\* \* \*



وقد استدعت النيابة العمومية المؤلف وحققت معه ، وكان التحقيق منحصرًا في النقط الآتية :

- ١ — مسألة وجود سيدنا إبراهيم وإسماعيل وهجرتهما ، وأن هذه القصة أسطورة مختلفة لأغراض دينية وسياسية .
- ٢ — مسألة أن القراءات السبع للقرآن الكريم لم تنزل ، وأنها وردت على لسان القبائل ، كما هو ظاهر من لهجاتها .
- ٣ — قوله إن الإسلام ليست له سابقة وجود في البلاد العربية .
- ٤ — نفي إسناد نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أشرف قريش .

• • •

وقد أجاب المؤلف في التحقيق بأنه يقرر صدق هجرة إسماعيل عليه السلام إلى مكة ، ويؤمن بقصة بناء الكعبة كما وردت في القرآن ، ويؤمن بتزويل القراءات ، بصفته مسلمًا معتقدًا ، ولكنه لا يقرها بصفته عالما أديبًا ، وقال إن عدم إقرارها هو الطريق الوحيد العلمي للوصول إلى حقائق الشعر الجاهلي وتاريخه . وأنه عندما ألف كتابه قال صراحة إنه لن يعرض للدين ، وأنه سيقصر بحثه على العلم والاستدلال بالعلم .

وسأله المحقق عما إذا كان يعتقد أن القرآن وحده كاف لإثبات الوقائع التي وردت فيه فأجاب على ذلك مقسمًا الوقائع إلى قسمين :

- ١ — الحوادث المعاصرة لنزول القرآن ، وهو صحيح .
- ٢ — الحوادث التي حدثت قبل نزول القرآن . فهي عبارة عن قصص أراد الله بها إقناع عبده وهدايتهم ، وهي تنطبق على مسألة الهجرة وخلافها من المسائل .

• • •

فطه حسين يقرر أنه كمسلم مؤمن بالإسلام ، يعتقد بصحة كل ما جاء في القرآن الكريم عن إبراهيم وإسماعيل ، ولكنه كعالم وأديب لا يؤمن ولا يقر بشيء مما تقدم .

فهو يعيش بعقلين في وقت واحد : عقلية المتدين المؤمن، وعقلية العالم الذي يكفر بما جاء به دينه .

وإن الآراء التي أوردتها المؤلف عن القرآن الكريم مأخوذة من كتب المبشرين، وأعداء الإسلام من المستشرقين وبخاصة اليهود . وقد فندها كثيرون من الباحثين، وردّ عليها كتاب مشهورون ردودا قوية مسهبة .

ولطه حسين مؤلفات دينية مثل : على هامش السيرة ، ومرآة الإسلام .

\*\*\*

### ٣ - أمين الخولي

عين الشيخ أمين الخولي ، وهو من خريجي مدرسة القضاء الشرعي ؛ مدرسا بقسم اللغة العربية بالجامعة المصرية، فرأى طه حسين يدعو إلى دراسة القرآن دراسة فنية عبر عنها بقوله<sup>(١)</sup> « إذا كان من حق الناس جميعا أن يقرأوا الكتب الدينية ويدرسوها ويتذوقوا جمالها الفني . فلم لا يكون من حقهم أن يعلنوا نتائج هذا التذوق والدرس والفهم ، مادام هذا الإعلان لا يمس مكانة هذه الكتب المقدسة من حيث هي كتب مقدسة ، فلا يفض منها ، ولا يضعها موضع الاستهزاء والسخرية والنقد . وبعبارة أوضح : لم لا يكون من حق الناس أن يعلنوا آراءهم في هذه الكتب من حيث هي موضع للبحث الفني والعلمي ، بقطع النظر عن مكانتها الدينية ؟ ! » .

فاعتبق أمين الخولي هذه الآراء ، وراح يروج لها ، ويدعو إليها . وقد كان يدرس مادتي التفسير والبلاغة ، وظل أمره مستورا إلى سنة ١٩٤٧ ، لا يدرى أحد في خارج الكلية ما يلتقنه أمين لتلاميذه من أنواع الكفر والضلال .

ففي هذه السنة - ١٩٤٧ - تقدم أحد الطلبة برسالة موضوعها « الفن القصصي في القرآن الكريم » للحصول على درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية ، وكان أمين هو

(١) في الصيف لطه حسين .

المشرف على هذه الرسالة ، والموجه للطالب فيما كتب . وقد رفضت الرسالة ، ورفع الطالب الأمر إلى وزير المعارف الذي أحال الرسالة إلى الشيخ محمود شلتوت ، عضو جماعة كبار العلماء ؛ للنظر فيها ، وإبداء الرأي .

فكتب فضيلته تقريراً جاء فيه :

يذكر المؤلف أن الذي دفعه إلى هذا البحث مارآه من :

- ١ - أن المستشرقين يطعنون على القرآن فيما جاء به من قصص وأخبار ، يرون أنها لا تتفق والواقع التاريخي الذي يعلمون ، وأنها تدل على جهل محمد بالتاريخ .
  - ٢ - وأن المسلمين منذ عهد النفر الأول الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم قد استقبلوا كل ما ذكر في القرآن على أنه تعبيرات جادة ؛ يراد بها معانيها فيما جاءت به . وتأثرت عقليتهم بما جاء من الآيات الدالة على أنه يقص أنباء الفيب التي لم يكونوا يعرفونها ، فقالوا إن أخبار الأولين آية صدق النبي ، ودليل على إعجاز القرآن .
- ثم يجمع بين هؤلاء المسلمين ، وأولئك المستشرقين في حكم واحد ، إذ يقول :
- « وليس من شك عندي في أن مصدر الخطأ فيما ذهب إليه من آمن بهذه الأشياء ، وصدق كل ما فيها من تاريخ ، أو من أنكرها وادعى أنها أخطاء تاريخية ، أو قصص ملفقة ، جهل أولئك وهؤلاء ، أو تجاهلهم لما بين الأدب والتاريخ من علاقات . »
- هذا هو أهم ما دعاه إلى أن يسلك سبيلاً آخر في فهم القرآن ، سماه « الفن القصصي » ورأيه في ذلك يتلخص في أن القصص القرآني نمط من أنماط القصة الفنية التي لا يلتزم الفنان فيها الصدق وتحري الواقع ، وإنما يعطى نفسه من الحرية ما يغير به ويبدل ، ويزيد ويخترع .

ولا يقف بهذا عند قصة أو قصص بعينها ، ولكنه يطرد هذا الشأن في كل ما قصه القرآن ، سواء في ذلك ما جاء عن الأنبياء والرسل والأمم ، وما جاء عن غيرهم ، فيذكر قصة آدم وإبليس ، وقصة الخليفة والملائكة ، وقصة كلام عيسى في الهدى ، ونجاته من

اليهود ، وأنهم لم يقتلوه ولم يصابوه ، وقصة موسى والعبد الصالح ، وقصة أهل الكهف ،  
وقصة سليمان والمهدد ، وقصة ناقة صالح ، إلى غير ذلك .

ثم لا يقف عند القصص القرآني ، بل يطرد هذا الحكم ، أيضا ، على غيره مما جاء  
في الكتاب الكريم من أوصاف ، ونسب ماضية كانت أو مستقبلية . فيذكر سؤال الله  
لعيسى يوم القيامة : ( أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> )  
ويذكر مثل قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَوَاءَ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ  
لَا يُؤْمِنُونَ <sup>(٢)</sup> ) .

يذكر ذلك وأمثاله في مجال ما يقرر من أن القرآن ليس فيه ما يدل على أن حوادث  
هذه القصص تلتئم مع الواقع الفعلي ، أو لا تلتئم ، وأن هذه النسب والأوصاف تصدق  
أو لا تصدق . وإنما هو أسلوب قصد به غرس فكرة وراء ما تدل عليه الألفاظ بمعانيها  
اللغوية المعروفة ، أو مشابهة الواقع النفسي الذي كان سائدا عند المعاصرين ، استغلالا  
لمعلوماتهم ، وإن لم تكن صحيحة ؛ في سبيل تأييد الدعوة التي جاء بها .  
وقد زعم أن هذا تأويل للآيات ، وخاصة آيات القصص التي هي عنده من المتشابهة ،  
يجري فيها مذهب السلف ، ومذهب الخلف من التسليم ، أو التأويل .  
ويستند إلى ما عرف عن العرب من التمثيل ، وما جاء في بعض تمثيلات القرآن  
وتشبيهاته على هذا الأسلوب الذي لا ينظر إلى الواقع ، وإنما يجري الكلام فيه على  
ما ألفه العرب في هذا الباب ، كما زعم أن بعض المفسرين يقولون بمثل هذا ، إجماعا  
أو تصريحاً ، وقد ذكر منهم الإمام الرازي ، والإمام محمد عبده .  
هذه خلاصة فكرته ، وأهم عناصرها وعواملها .

• • •

ولا ريب أن هذه الأسس التي بنى عليها الكاتب بحثه ، أسس فاسدة . فما كان

(٢) البقرة آية ٦ .

(١) المائدة آية ١١٦ .

القرآن ليخضع فيما قصه من الأنباء لما زعموه من تاريخ يناقض أو يخالف ما جاء فيه .  
 فإن حال التاريخ قبل الإسلام ، كما يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده نفسه « كانت  
 مشبهة الأعلام ، حالكة الظلام . فلا رواية يوثق بها ، ولا تواتر يعتد به بالأولى »  
 يقول هذا الشيخ محمد عبده في نسبة قصص القرآن إلى التاريخ ، ومقارنتها به ، وقد قال  
 في هذا الصدد قبل ذلك « يظن كثير من الناس الآن ، كما ظن كثير من قبلهم ، أن  
 القصص التي جاءت في القرآن يجب أن تتفق مع ما جاء في كتب بني إسرائيل المعروفة  
 عند النصارى بالعهد العتيق ، أو كتب التاريخ » ثم يقول في هذا الشأن نفسه « وإذا ورد  
 في كتب أهل الملل ، أو المؤرخين ما يخالف بعض هذه القصص ، فعلينا أن نجزم بأن  
 ما أوحاه الله إلى نبيه ونقل إلينا بالتواتر الصحيح ، هو الحق وخبره الصادق ، وما خالفه  
 هو الباطل وناقله مخطئاً أو كاذب ، فلا نعدده شبهة على القرآن ، ولا نكلف أنفسنا  
 الجواب عنه » .

وقد ذكر الأستاذ الإمام هذا المبدأ الذي لا يعرف مؤمن سواه في كثير من مواضع  
 التفسير . وإذن فلا قيام لشبهة يوردها المستشرقون على قصص القرآن وتاريخه ،  
 كما لا قيمة لما يوردونه على تشريع القرآن وعقائده . فالقرآن مهيمن على كل ماسواد  
 من تاريخ وكتب مماوية .

وهو مصدق لها فيما لم يحرف ، ومبين لما كانوا يخفون ويحرفون ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
 قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ <sup>(١)</sup> - إِنَّ هَذَا  
 الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ <sup>(٢)</sup> - وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ، وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> ) .

تلك عقيدة المؤمنين . وما كان القرآن ، وقد قامت الأدلة على أنه من عند الله ،  
 بالذي يتحاكم في قضاياه إلى تلك الجهالات التاريخية ، لاسيما في حقبة اشتبهت أعلامها ،

(٣) المائة آية ٤٧ .

(٢) النمل آية ٧٦ .

(١) المائة آية ١٦ .

واشتد ظلامها كما يقول الشيخ محمد عبده . أو بالذی تضره مثل هذه الدعاوى التي ألفها الإسلام من خصومه منذ عهده الأول إلى يومنا هذا .

• • •

ولننظر بعد هذا فيما رمى به المسلمين منذ العهد الأول ، عهد المعاصرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وابن عباس ، وابن مسعود ، ومن إليهم من أصحاب النبي ، وأهل اللسان العربي ، وقد سمعوا من رسول الله ، وتلقوا منه هذا الكتاب الكريم ، وفهموا معانيه التي يدل عليها بمقتضى أساليب اللغة العربية ، وقد طبعوا عليها ، ورضعوا لبنها . واستمر هذا هو الشأن على جميع عصور المسلمين وعهودهم مدى أربعة عشر قرناً .

ننظر فيما رمى هؤلاء جميعاً به من جهل أو تجاهل ، أو تأثر بما يخالف الواقع أو وقعهم في فهم القرآن على غير وجهه الذي فطن إليه الأستاذ وأمثاله ممن يتناولون القرآن الكريم بمثل هذه الدراسات .

وختم الشيخ شلتوت تقريره قائلاً :

وإن القرآن ؛ إذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط ، فقد اقتحمت قدسيته ، وزالت عن النفوس روعة الحق فيه ، وزلزلت قضاياها في كل ماتناوله من عقائد وتشريع ، وأخبار ، وأحوال مستقبلية كالبعث ، والحشر ، والحساب ، والجنة ، والنار ونحو ذلك . وانفتح لكل إنسان أن يقول في كل هذا : ليس له مدلول ، ولا واقع يدل عليه ، ولكنه سيق مجرد بعث الرغبة ، أو الرهبة ، أو العظمة ، أو تقويم النفوس وإصلاح المجتمعات ( سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ <sup>(١)</sup> - إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ <sup>(٢)</sup> )

(١) النور آية ١٦ .

(٢) الأعراف آية ١٥٥ .

ذلك هو الرأى فى هذه الرسالة ، وفيما تجرأ به مؤلفها على كتاب الله . وإنها لشر مستطير ، من شأنه أن يفتح أبوابا من الفتن إذا مكن لها ، اجتاحت الدين والعقيدة والقرآن فكانت هى الخالقة .

• • •

وقد وقعت رسالة الطالب فى يد بعض علماء الأزهر ، فأفتوا بكفره ، وبكفر أستاذه الذى أشرف على تحضيرها ووافق عليها .

### الحركات الإلحادية بين المسلمين المعاصرين

منذ قامت حكومة مصطفى كمال فى تركيا عملت على تشجيع الحركات الإلحادية أدبيا وماديا . فألفت هناك كتبا كثيرة تهدف إلى التشكيك فى حقائق الأديان كلها ، والدعوة إلى تركها . وكان من ضمن القائمين بهذه الحركة « إسماعيل أحمد آدم » الذى جاء إلى مصر وحاول نشر الأفكار الإلحادية بين أهلها . وقد ألف رسالة صغيرة عنوانها : « لماذا أنا ملحد ؟ » وطبعها فى مطبعة التعاون بالإسكندرية ومما جاء فيها « أسست جماعة نشر الإلحاد بتركيا . وكانت لنا مطبوعات صغيرة أذكر منها : ماهية الدين ، قصة تطور الدين ونشأته ، العقائد ، قصة تطور فكرة الله ، فكرة الخلود » .

« وبعد هذا فكرنا فى الاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية ، وكان نتيجة ذلك تحويل اسم جماعتنا إلى « المجمع الشرقى لنشر الإلحاد » وكان صديقى البجائة إسماعيل مظهر فى ذلك الوقت - ١٩٢٨ - يصدر مجلة العصور فى مصر ، وكانت تمثل حركة معتدلة فى نشر حرية الفكر والتفكير ، والدعوة للإلحاد » .

وقد عرف الإلحاد بقوله « الإلحاد هو الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته ، وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم » .

إلا أن الدعوة الإلحادية بين المسلمين في مصر يرجع تاريخها إلى سنة ١٩٢٤ حينما قام محمود عزمي ، وكتب في صحيفة الأهرام داعيا إلى ترك الأديان لأنها قيود تعوق عن التقدم والرقى .

• • •

وقد جعل إسماعيل مظهر مجلته «العصور» منبرا للنشر الأفكار الإلحادية وترويجها . والظعن على العرب والعروبة طعنا قبيحا ، واتهام العقاية العربية بصفة خاصة ، والعقاية الآسيوية بصفة عامة بالتخلف والجمود والانحطاط . كما سخرها وباللعار ، في خدمة المطامع الصهيونية ، والإشادة بأمجاد بني إسرائيل ونشاطهم وتفوقهم واجتهادهم . وأخيرا سخرها في خدمة التعاليم الشيوعية والآراء الفوضوية التي ينجم عنها التحلل من قواعد السلوك والتجرد من الفضائل المتفق عليها .

وقد حدث أن ظهر في تركيا كتاب عنوانه « مصطفى كمال » للكاتب « قاييل آدم » وفيه مطاعن قبيحة في الأديان وبخاصة الدين الإسلامي . كما تضمن اتهام العقاية الآسيوية بما هي منه بريئة كل البراءة . فلخص إسماعيل مظهر هذا الكتاب في مجلته ، وقدم له بكلمة طويلة جاء فيها :

« من وراء الانقلابات التاريخية والثورات الاجتماعية تكمن البواعث النفسية والانفعالات والمعتقدات ، وفلسفة الحياة التي تقسر الجماعات على أن تهدم ما هو قائم لتشيده عليه بناء من لبنات تربط بينها الأفكار وللنازع العقلية والنفسية التي تكون قد استحدثت على مر الأيام . وليس في التاريخ الحديث كله من انقلاب هو أشبه بالطفرة منه بأي شيء آخر كالانقلاب التركي الحديث . وهو ككل انقلاب أو فورة فجائية تكمن وراءه بواعث نفسية ومعتقدات وانفعالات تكون لدى الواقع في مجموعها فلسفة توجه الأفكار



والآراء إلى وجهه في الحياة لا يظهر منها إلا نتائجها التي تتجلى في المعاهد التعليمية والنظامات السياسية والاجتماعية .

« بهذا يؤمن كل من درس حوادث التاريخ مطبقة على علوم الاجتماع الحديثة . فإذا كان هذا هو الواقع ، وإذا اعتقدنا بأن وراء الظواهر الملموسة في الانقلاب التركي الحديث قد كُنت فلسفة ساقته إليه ؛ كان الوقوف على حقيقة هذه الفلسفة أمر ضروري للحكم على قيمة هذا الانقلاب ، ومقدار ثباته وقوته ، ومقدار تأثيره في الإدراك العام ، أو كما يدعونه اصطلاحاً : العقاية العامة التي تتكون من مجموع الأغراض التي يرمي إليها زعماء الانقلاب . »

إلى أن قال : « وضع هذا الكتاب - أي كتاب مصطفى كمال - مؤلف من الظاهر أنه أحاط كثيراً بتاريخ تطور الفكر الإنساني ، وعلى الأخص بتاريخ تنازع البقاء بين اللاهوت والعلم في العصور الوسطى . ولقد طبق المبادئ التي استخلصتها العقلية الأوروبية من طريق جهادها الطويل إزاء اللاهوت على الحالة الواقعة في الشرق أحسن تطبيق ، وعرف كيف يظهر آراءه وأفكاره في قالب جلي واضح ، ونجح كل نجاح في إظهار الفرق بين العقلية الآسيوية كما سماها ، وبين العقلية الأوروبية ، وقضى بأن العقلية الأوروبية ارتقائية في حين أن العقلية الآسيوية رجعية جامدة . »

أما الآراء التي أوردتها المؤلف التركي في كتابه ، والتي وصفها إسماعيل مظهر بالأصالة والصحة فنذكر منها :

« . . . وما من سبب لذلك التناوب الشديد الذي قام بين فريق الأمة التركية إلا وجود هذه العقلية - أي العقلية الأوروبية - في ناحية ، حيث تقوم في ناحية أخرى العقلية الدينية العربية . »

« لم تسلم الأمم الآسيوية يوماً ما من الفقر والتعاسة ، وليس لهذا من سبب سوى أنها اعتادت أن تستقرى أحكامها المعاشية كلها من تشريعها الديني المقدس . ولن تقف على

طابع آخر غير هذا إذا ما قلبت تاريخ مصر ، والهند ، وفارس واليابان القديمة ، والصين ، وطوران ، وبلاد العرب . فإن هذه الأمم لجهلها قد نسبت لأمرائها وسلطينها ، أولغيرهم من مقدمي الانتهازين صفات قدسية حيناً ، أو سلطة إيجابية حيناً آخر . وكان من نتائج هذه العقلية أن ترددت الأمم الآسيوية في هذه التعاسة والشقاء .

« ... والحالة جليلة واضحة . فلست تجد في أوروبا مثقفاً أو غير مثقف يمضي في أعماله متواكلاً على سلطة الوحي . أما في آسيا فإنك لا تجد شيئاً اللهم إلا الأنبياء والقديسين ، والحكام الذين يستمدون سلطتهم من الله مباشرة ، تجد الأوامر والنواهي القدسية متغلغلة في تضاعيف العديد الأوفر من الشئون الخاصة الصرفة للناس ، متجذرة في كل وجه من وجوه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والإدارية . ولديهم أن هذه الأوامر والنواهي هي أوامر الله ونواهيهِ ، وعلى هذا لا يمكن تبديلها أو تكييفها .

« فإذا تبدل الزمان وتكيف ، وجدت هذه الأوامر والنواهي مقصورة عن اللحاق بروح العصر نشوء وارتقاء ؛ لا تجد من شيء اللهم إلا نبيا آخر مرسلًا بتعاليم جديدة . ولا مربية في أن تتابع ظهور الأنبياء في آسيا طابع خاص بها ، لا تفاضلها فيه بقعة أخرى من بقاع الأرض .

« على أن أعجب ما ترى في كل هذا أن كل نبي من هؤلاء الأنبياء قد نصح للناس وأهاب بهم أن ينكروا حقيقة هذه الحياة بكل ما فيها ، وأن يتلظوا حرقاً إلى الحياة الآخرة . وفي هذا ينحصر كل ما يقصد بوذا من النرقانا ، وكل ما يقصد الإسلام من الفردوس . وهذه العقلية قتلت في الشرق فكرة النقد ، كما غشت على العقول والأفهام بأغشيتها الثقيلة .

« بيد أن هؤلاء الأنبياء الذين حكموا الدول ، وساسوا الممالك ؛ لم يقنعوا بأن يفرضوا على الناس أوامر الدين ونواهيهِ ، بل صبغواهم بأخلاقهم . ودهنواهم بطالائهم . فإن الإسلام مثلاً قد صبغ المسلمين ، فضلاً عن الدين ، بصبغة الحياة العربية الاجتماعية في كل مكان

وَأَن : واضطر الناس على أن يقبلوا مدعين ، لا الله ولا الدين وحدهما ، بل حياة العرب العائلية والاجتماعية ، والخلق العربي ، والعادات العربية بصورة كلية ، واللغة العربية بصورة جزئية .

« لقد لعن بوذا هذه الحياة . وكذلك مذهبنا القديمة ، فإنها لم تعمل إلا لتمهد الطريق للحياة الأخرى . ولقد أخذت أمم آسيا كلها بموجيات هذه التعاليم النظرية . وعلى هذه القاعدة قيد اللاما أمة الصين ، والبراهمة أمم الهند ، والآخوند أمة الفرس ، وأئمة الإسلام تركيا . أما العقلية التي اختفت وراء هذه التعاليم فتتكون في الاعتقاد بما يأتي :

- ١ - إن الحقيقة لا يمكن معرفتها بالعقل ، بل بالتقاليد .
- ٢ - إن الحياة لا يجب أن تحكم بمقتضى المبادئ الإنسانية المستمدة من غرائز الإنسان ، بل بمقتضى الشرائع المنزلة التي لا تتبدل ولا تتغير .
- ٣ - هذه الحياة فانية ، والأخرى باقية .
- ٤ - نسبة كل شيء إلى القضاء والقدر .
- ٥ - رفض الاعتقاد بضرورة الحياة القومية ، والعكوف على الخضوع للتقاليد الدينية .

٦ - الخضوع الكامل للرئيس الروحي .

« وهذه القيود الحديدية ، والأصفاد الثقيلة لم تترك للأمم الآسيوية من فرصة للخلاص . ولقد كانت هذه العقلية بمثابة تجربة حاول واضعوها أن يعرفوا إن كانت بذاتها وسيلة ناجحة للقضاء على الحياة والإنسان . ولا مربية في أنها قطعت كل علاقة كائنة بين الناس والحياة الدنيا . »

« إن أهل الكلام من المسلمين لم يعنوا بتحرير الضمائر والأفكار ، كما أن التشريع الإسلامي لم يحب أهل الإسلام بحق الحياة والعمل . إن أهل الكلام قد أعاقوا العقل عن النماء والتطور ، كما أعاقوا النظم التشريعية تطور الشعور الاجتماعي ، فنتج عن ذلك أن

أصبح من أقصى المستحيلات أن يقع في آسيا انقلاب ثوري لاني الصورة العقلية ، ولا في النظام الاجتماعي .

« لم تكن الديانات في تاريخ آسيا كلها إلا حركات رجعية أملتها الغيرة التي تزود بها كل رسول جديد ضد الرسل الأقدمين . إن ديانات آسيا كافة واحدة في جوهرها . فإن تعاليم بوذا ، وكونفوشيوس ، وبراها ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، كلها واحدة . فإن اختلفت فإنها إنما تختلف في التفاصيل ، لا في القواعد . »

« ماهي الأسباب الأولية التي أحدثت تلك الفروق الكائنة بين العقلية الآسيوية والعقلية الأوروبية ؟ »

« يجب علينا أن نعي بداءة ذي بدء أنه لم يقم في أوربا من نبي مثل بوذا ، أو كونفوشيوس ، أو موسى ، أو عيسى ، أو محمد ، ممن حملوا إلى الناس أوامر ونواهي إلهية ، ثم ألزمهم الخضوع لها قسرا وجبرا . »

هذه هي بعض آراء المؤلف التركي التي أخذها إسماعيل مظهر بعقليته الحمارية كأنها قضية مسلم بها ، لا تقبل الجدل ولا النقاش ، وشرع يطبل لها ويترنم . ولو أن هذا الكاتب ألف كتابه في هذه الأيام لجاءت آراؤه مغايرة لما تقدم . فالشعوب الآسيوية قد تحررت وهي سائرة في طريق النهضة والتقدم والرقى ، وبذلك حطمت النظرية القائلة بتخلف العقلية الآسيوية وقصورها . والشعوب الآسيوية استطاعت أن تحافظ ، مع نهضتها ، على كياناتها وتقاليدها وأديانها وعاداتها القومية . والشعب الياباني الذي تفوق على الشعوب الأوروبية حضارة ومدنية كان إلى وقت قريب يعبد الميكادو والمعابد البوذية منتشرة في جميع أنحاء اليابان .

ولماذا أهمل المؤلف الكلام على العقلية الأفريقية؟ وإذا كان سبب تخلف الشعوب الآسيوية يرجع إلى وجود الأديان بها . فما هو السر في تخلف الشعوب الأفريقية؟ وما هو السر في اندثار شعوب أمريكا وأستراليا؟ وما هي تركيا قد تخلت عن الأديان ، وتبرأ

من السمات الشرقية ، واتخذت الأساليب الأوروبية في جميع مرافق حياتها ، ومر على ذلك أكثر من ثلث قرن . فما هي الاختراعات التي توصل إليها الأتراك بعد انقضاء هذه المدة الطويلة ؟ وأين هي المصانع التركية ؟ وما قيمة مصنوعاتنا بالنسبة للمصنوعات المصرية والهندية ؟ وما هو مبلغ الاقتصاد التركي من القوة والمتانة ؟ وكم تبلغ ميزانية التعليم في تركيا إذا قيست بميزانية التعليم في الجمهورية العربية المتحدة مثلا ؟ وهل اختفت مظاهر البؤس والشقاء من تركيا ؟ وهل يمكن أن يقال إن الشعب التركي بلغ من حيث الرقي والتقدم إلى مستوى شعب السويد مثلا ؟ وهل غزت الصادرات التركية الأسواق ، وأصبحت منافساً خطيراً لغيرها من الصادرات ؟ إن الجواب عن كل هذا قطعاً ، بالنفي . وإذا كان الأمر كذلك ، فما هو السر في بقاء تركيا متخلفة عن الشعوب الأوروبية مع أنها اتخذت أساليب أوربا ، وعاشت بعقليتها منذ مدة طويلة ؟ ؟

إن اتهام الأديان بأنها كانت سبباً في تخلف الشعوب الآسيوية اتهام باطل . ولا يستطيع عاقل أن يقول إن بولندا مثلاً أقوى من الصين ، أو بنغلاديا أقوى من الهند ، أو رومانيا أقوى من الجمهورية العربية المتحدة ، أو اليونان أقوى من العراق . والشعوب الآسيوية هي التي هزمت الاستعمار الغربي وأجلته عن بلادهم .

أما القول بأن الإسلام كان سبباً في تخلف تركيا فإنه يدل على جهل بالتاريخ . فالإسلام كان مصدر قوة عظيمة للعرب ، وبفضله استطاعوا أن يخرجوا من بلادهم الصحراوية ، ويؤسسوا إمبراطورية واسعة وما ذنب الإسلام إذا كان الأتراك لم يفهموا منه سوى الدروشة وتكبير العائم وتطويل اللحى ، وإمساك المشايخ ، وإنشاء التسكيا ؟ هل هناك آيات قرآنية تحرم علينا إنشاء المصانع والمدارس ؟ ويكفي في هذا المقام أن نسوق شهادة شبلي شميل ، وهو ملحد من أصل مسيحي . قال في عدد يناير من ممتطف سنة ١٩١٠ مانصه :

« خذ مثلاً شريعة القرآن ، فإنها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية

العملية المستوفاة التي ترمى إلى أغراض دنيوية حقيقية ؛ بمعنى أنها لم تقصر على الأصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع ، بل اهتمت اهتماما خاصا بالأحكام الجزئية ، فوضعت أحكام المعاملات ، حتى فروض العبادات أيضا . وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية ؛ حتى أن اللجنة نفسها لم تخرج فيها عن هذا الحكم .

\* \* \*

اعتنق إسماعيل هذه الآراء وراح يروج لها في مجلته ، وينسج على منوالها ، فكتب في عدد مارس سنة ١٩٢٨ مقالا جاء فيه :

« لم تحدد الأديان فكرة كاملة في واجب الوجود يرضى بها العقل المستقبل في دور ما من أدوار النشوء الفكرى ، بل إن الأديان ألزمت الناس فيما ألزمتهم به الاعتقاد بوجود الله متخذة من سلطتها الاستعمالية مبررا إلى هذا الإلزام .

ثم قال « أما تفكير الإنسان الجدى فأصبح في تحديد علاقته ، لا بواجب الوجود ، ولكن بالكون ، فبعد أن أسقط العلم الإنسان عن عرش الملائكة العلوى ، وأنزله إلى أفق الحيوان ، أخذت الإنسان فكرة جديدة : ليست باقل إشكالا من الفكرة التي ملكت زمامه من ناحية الأديان .

« بعد أن أظهر النشوئيون أصل الإنسان الحيوانى ، وأثبتوه علميا ، وبعد أن أثبت الجيولوجيون قدم الأرض ، والفلكيون قدم النظام الشمسى ، وأظهر هؤلاء بأبحاثهم سلسلة التدرج الطويل التي مضى عليها الكون لينتهى بظهور الحياة فوق الأرض ، أخذ العقل الإنسانى سمته نحو التفكير كما هي عادته فيما يختفى وراء هذه السلسلة الطويلة من قصد ، وهل كانت متجهة بكل ما فيها من الصور لأن تنتهى بالإنسان على أنه القصد الأخير منها ؟ »

« أما الثابت حتى اليوم فليس مما يرضى نزعة التفاؤل في مصير الإنسان ، ولست أدري لماذا لا يشارك الإنسان الحيوانات في نهايتها المحزنة ؛ مادام يشاركها في بداياتها الجميلة ؟ »

وكتب في عدد مايو سنة ١٩٢٨ مقالا جاء فيه :

« ... على أن ظهور الأنبياء والرسل كان محدودا في بقعة واحدة من بقاع الأرض؛ تحدها شمالا جبال طوروس، وجنوبا صحراء اليمن، وشرقا صحراء نجد، وغربا البحر الأحمر، في هذه البقعة الصغيرة ظهر كل الأنبياء والرسل الذين اختار الله أن يكونوا هداة البشر منذ أبعاد العصور التي نزل فيها الوحي على قلب إنسان . ولست تجد في ذلك من حكمة تقع عليها ، أو أثر للتدبير وحسن القصد » .

« فهل كانت الشعوب التي ظهرت فيها الأنبياء والرسل الذين حملوا رسالة من الله؛ هي أكثر شعوب الأرض ضلالا وعدوانا ، وأشد كفرا وطفيانا ؛ ليستقوى الله عليهم بهذه المجموعة الكبيرة من الأنبياء والرسل ؟ وهل كان سكان سوريا وجزيرة العرب أكثر استحقاقا لعناية الله من سكان الصين أو غرب أوروبا؟ وهل كانت هداية الشعوب التي سكنت هذه البقاع كافية لهداية شعوب الأرض كافة إذا ما اهتدوا ؟ » .

« حقا ! إن هذه الظاهرة وحدها كافية لأن تبعث العقل على التأمل والاسترسال في سلسلة طويلة من التفكير لا ينتهي بها إلا حيث انتهى فلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر » .

« قد نتساءل : كيف ترك أهل الهند نهبا لمذهب بوذا وبراهما ؟ وأهل الصين غرضا لمذهب كونفوشيوس ؟ وأهل كل بقعة من بقاع الأرض خاضعين لأساطير وخرافات ما أنزل الله بها من نبي ولا رسول ؟ أكان هذا الحكمة لا تدركها العقول البشرية ؟ هذا آخر ما يلجأ إليه اللاهوتيون ، ونهاية ما تنتهي إليه مجادلاتهم » .

•••

« تكونت في عقلية الإنسان فكرة ؛ أنه مركز الكون ، ومحور دائرة الوجود من أجله خلقت السموات والأرض . ومن أجله سخرت الرياح والأشجار والحيوانات .

ومن أجله وضعت الجبال لئلا تميد به الأرض . ومن أجله جرت الأنهار مترعة بالماء ، وغورت البحار لتصلح لها جو كرتة الأرضية .

« ولعمرك أي شيء أكثر قربا من بداهة العقل في غرارته الأولى من معتقد كهذا يقوم نتيجة لما ثبت في روع الإنسان من أنه خلق على مثال الله ، وأنه خلق وحده مميزا على جميع الكائنات ، وأن الله حبا فيه وشفقة عليه؛ أخذ يرسل إليه بالرسول تلو الرسول ليهديه الصراط السوي ، وليدخله وذراريه إلى الجنة زمرا خالدين فيها أبدا . وأنه أعد له هنالك الأنهار تفيض عسلا ولبنا، وقصورا بنيت بالفضة والذهب، وهورا عينا لم يطمئن قبلة إنس ولا جان ، وولدانا مخلدين يطوفون بأكواب من فضة ؟ » .

« هذا الأثر الذي خلقته هذه المعتقدات في عقلية الإنسان في العصور الوسطى، كان نتاجا لمعتقدات ذاعت في ديانات الوثنية في بابل وآشور ، والسكندان ، ومصر ، والهند ، والصين . »

« كانت موحيات الأديان في صورها الأخيرة آخر ما كفل هذا الرأي لترضه بلبان الكتب المقدسة ، وتغذيه بتفسيرات المفسرين لها . لهذا لانتلكا مطلقا في القول بأن المعركة التي دارت حول أصل الإنسان؛ هي في الواقع معركة قامت بين العلم والدين، فانصر العلم وهزم الدين، ونزل الإنسان عن عرش الملائكة إلى عرش الحيوانات . »

• • •

وكتب مقالا آخر تحت عنوان « الغاية من وجود الإنسان » جاء فيه :

« هذا السؤال هو أعضل المشكلات ، وسر الأسرار، اكتفت الأديان بالقول بأن

الغاية من خلق الانس والجن : هي أن يعبدوا الله ، فكرة حسنة ولكنها غير صحيحة .

إذ لو صح هذا إذن لاعتقد بجانبه بأن الله في حاجة لأن يعبد الانس والجن ، ولظهر

النظام الكوني في مجموعته بمظهر شيء ما خلق إلا ليعضد الحياة الانسانية التي يجب أن

تسخر لعبادة الله . وهذا في معتقدى أبعد الأشياء عن أن يكون الغاية من وجود الانسان . »



وكتب في العدد الأسبوعي من « العصور » الصادر في ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٠ تحت عنوان « استفتاء » .

« جاء في القرآن الكريم ( وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ <sup>(١)</sup> ) وقد دل العلم الصحيح على أن السماء غير مزينة بمصابيح ، بل هي فضاء غير متناه ، تنشرت فيه كرات عظيمة هائلة الأبعاد ، ومنها ما يستمد ضوءه من غيره . ومنها ما هو ملتهب كشمسنا . فهل الاعتقاد بأنها ليست مصابيح مخالف للدين ؟ » .

« وجاء في القرآن الكريم ( فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ <sup>(٢)</sup> ) وقد أثبت العلم أن السماء لا أبواب لها ، وأن الماء إنما يتساقط على الأرض بعد أن يتكاثف سحاباً ، وبعد أن يعلو متبخراً من مياه الأرض . فهل هذا الاعتقاد تجديف ؟ وهل يجب أن نعتقد أن للسماء أبواباً من فوقها بحار ، إذا فتحت انهمر المطر ، وإذا أقفلت أمسك عن الانهمار ؟ » .

« وجاء في القرآن الكريم ( وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ، وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا <sup>(٣)</sup> ) » .

« والثابت الآن أن الشهب عبارة عن نازك هي قطع منفصلة عن سيارات أو كرات أخرى هامت في الفضاء . فإذا بلغت منطقة جاذبية الأرض تحولت نحوها ، فإذا اصطدمت بجوها احترقت من قوة الاحتكاك ، فلاحت كأنها نار تحترق الفضاء . فهل هذا الاعتقاد وهو من المبادئ الأولية في العلم ، إذا استمسك به أحد وحب جره إلى محكمة الجنايات ؟ »

« وجاء في القرآن الكريم ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَسْجُدَانِ <sup>(٤)</sup> ) وقد عرف الآن أن

(١) الملك آية ٥ . (٢) القمر آية ١١ (٣) الحن آية ٨ .

(٤) الذي جاء في القرآن الكريم ( والنجم والشجر يسجدان ) وهي آية ٦ من سورة الرحمن . وفي سورة يوسف آية ٤ ( إني رأيت أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ) وهي مجرد رؤية رآها سيدنا يوسف عليه السلام في المنام .

الشمس والقمر كرتان ، إحداهما ملتهبة ، والأخرى صماء ، فكيف يسجدان بمعنى السجود المعروف ؟

...

ولم يقتصر إسماعيل مظهر على نشر الأفكار الإلحادية ، والطعن في الكتب المقدسة وتكذيبها ، وبخاصة القرآن الكريم ، بل أخذ يروج للإباحة والاستهتار بمقومات الأخلاق . انظر إلى ما كتبه تحت عنوان : « قصة الشيخ حسين ، وكيف شك ثم أُلحد؟ » وهو :

« ... وصاحب شيخنا ذات مرة بعض الشبان إلى سوق المدينة حيث اشترى أحد الذين معه فسيخاً ، فلم يضبط الشيخ نفسه ، بل شاركه الطعام على نية أنه سيصوم بدل اليوم يومين ، وكان ذلك في رمضان . وكم كان ألمه عظيماً عند ما حل موعد الافطار ، فأنبه ضميره أشد التأنيب على مخالفته لأبسط قواعد الدين ، وبات ليلته كالمسوع خوفاً من أن يمسخه الله قرداً ، أو عموداً من ملح ، كما ذكر في بعض بطون الكتب . ولكن الشمس أشرقت فقام على رجله معافى ، فلمعت عيناه استهزاءً بمخاوفه التي لا محل لها ، فأغرق في الافطار ما شاء له نهمه ، وانقضى رمضان ، والأهل يبحثون عن سارق المأكولات بين أولادهم ، ولم يخطر ببال أحدهم أن الشيخ العفيف هو اللص . »

« وقرب وقت امتحان الشهادة الابتدائية ، فدخله صاحب الفضيلة وأسنانته ترتعد فرقا من السقوط فيه للمرة الثالثة . فزين له الشيطان ، على حد قول العلماء الأعلام ، أن يوقف الصلاة طيلة مدة الامتحان ليحرب حظه دون صلاة ، وبالفعل أشاح بوجهه عن مقام السيدة الطاهرة الذي طالما قصده قبل دخول الامتحانين السابقين ، متشفعا عساها ترشد يديه لكتابة إجابات صحيحة . وفي ذات ليلة بينما كان منفرداً بأحد أترابه الذين نالوا حظاً من الجمال ، سولت له النفس الأمارة بالسوء أن يرتكب أمراً إذا . ففعل مدفوعاً بيبسوداء أعمت عينيه عن الطريق السوي . ولكنه فوجئ ببشرى النجاح في الامتحان

فسر كل السرور . ومن سوء حظه أو صله عقله إلى الاعتقاد بأن حسن السيرة لا يؤهل الإنسان للنجاح ، أو بالأقل لا توجد صلة بين هذا وذاك . وهكذا قطع صلته بفروض الله ولكن في الخفاء .

إلى أن قال « . . . فوجد أن كل المعجزات ليست إلا خرافات وسخافات ، وهكذا طلق الدين ثلاثاً ، وأصبح ملحداً » .

...

وكان يعاون إسماعيل مظهر في تحرير مجلته : حسين محمود ، وعمر عنایت ، وكامل كيلاني . انظر إلى ما كتبه عمر عنایت نقداً لكتاب : « تاريخ اليهود في بلاد العرب » لإسرائيل ولفنسون في عدد ديسمبر سنة ١٩٢٧ وهو :

« إن روح الموضوع ولا شك تنحصر في مقدار الأثر الذي تركه اليهود في بلاد العرب ، ومبلغ تأثيرهم في إعداد العقلية البدوية لاقتبال تعاليم الإسلام ، وهو - أي المؤلف - معذور لعدم مسه هذه النقطة جدياً ، لأن الجو غير قابل لهضم أمثال هذا البحث ، خصوصاً وأن صاحبه موسى » .

إلى أن قال : « وكم كنت أود لو أخرج الدكتور بحثه هذا بلغة أجنبية ليقرأه وسط أرقى من هذا الوسط ، حتى كانت تتجلى مقدرته تماماً في كلامه عن روح هذا العصر » .

فعمر عنایت بلغ حقه على الإسلام والمسلمين إلى درجة أنه تمنى لو أن إسرائيل ولفنسون ألف كتابه بلغة أجنبية وطبعه في خارج مصر وملاءه بالمطاعن القبيحة في الإسلام ونبي الإسلام . فهذا هو العمل القيم في نظر عمر عنایت . والوسط الأجنبي عنده أرقى من الوسط المصري ، لأن الوسط الأجنبي يرحب بكل ما يكتب طعناً في الإسلام ، وهدماً لأركانه . أما الوسط المصري الذي لا يقبل مثل هذه المطلعن ، فهو وسط منحط عند إسماعيل مظهر وعمر عنایت . أو هكذا سولت لهما النفس الخبيثة . وإن المقالات التي دبحها عمر

عنايت في الدعوة للصهيونية، والتي أوسع لها إسماعيل مظهر صدر مجلته؛ لتدل أكبر دلالة على ما كانت عليه تلك الجماعة من الخسة والندالة، والخيانة والغدر، والجحود لا بالله فقط، ولكن بالوطن كذلك. وإني لأنف أن أنقل للقارئ شيئاً من هذه المقالات.

•••••

أما كامل كيلاني فإنه ترجم فصولاً من كتاب: «نظرات في تاريخ الإسلام» للمستشرق «بندلي جوزي» ونشرها في «العصور» في عدد مايو سنة ١٩٢٩، وقدم لها بقوله: «هذه فصول مختارة من كتاب العلامة المستشرق «دوزي» آثرنا نقلها إلى العربية لتبيان وجهة تفكير عالم أوربي كبير. وهي وإن خالفت آراءنا أحياناً، جديرة بأن تقرأ بعناية فائقة. فليس كل مالا نرضاه من الآراء خليقاً بالطرح والإهمال».

ومما جاء في هذه الفصول التي اختارها كامل كيلاني ليتحف بها المسلمين: «كان موت النبي، الذي كانت تترقيه العرب منذ زمن طويل بفارغ الصبر؛ مؤذناً بالثورة في كل مكان. ولقد كنت ترى الثائرين في حينها ذهبت رافعين علم الثورة والتمرد». إن بندلي جوزي باحث كبير في نظر كامل كيلاني وأمثاله، لأنه تحقق عنده بعد البحث والتحقيق أن العرب كانوا ينتظرون موت النبي محمد عليه الصلاة والسلام منذ زمن طويل بفارغ الصبر.

•••••

إن الفصول التي اختارها كامل كيلاني ونشر ترجمتها في مجلة «العصور» بالذات، تدل على سوء نيته، وفساد طويته، وقبح سريره، وعظيم جريرته ولعله دخل من هذا الباب بدافع من نزق الشباب. وقال مترجماً عن الإنجليزية:

كَمْ مِنْ شَرَّاعِ أَبْلَى الدَّهْرِ جَدَّتْهَا وَأَصْبَحَتْ بَعْدَ حِينٍ طَىَّ أَرْعَاسِ  
لِكُلِّ جَيْلٍ جَدِيدٍ مَا يُبْلِغُهُ مِنَ الشَّرَّاعِ وَالْأَخْلَاقِ وَالنَّاسِ

لم يجد كامل كيلاني ما يعزبه عن نفسه التي كانت نائرة على الأديان سوى هذه

المعاني التي صاغها في البيتين السابقين . فهو يريد أن يقول إن الأديان لم تعد صالحة لهذا العصر .

وأستت جماعة لنشر الإلحاد تحت ستار الأدب ، واتخذت دار العصور مقرا لها ، وكان سكرتيرها كامل كيلاني ، واسمها « رابطة الأدب الجديد » .

\* \* \*

والحق إن إسماعيل مظهر لم تكن له شخصية مستقرة . فبينما هو يسخر قلمه في الخدمة الاحتلال البريطاني ، فيكتب منتقدا موقف المصريين الذين رفضوا مشروع ثروت - تشمبرلين ، حيث يقول :

« الرفض المطلق الذي يشعر بأن مصر أصبحت سيدة البحار ، وأن الشمس لا تغرب عن ممتلكاتها . وأن إنجلترا أصبحت بمثابة مديرية بسيطة من مديريات الصعيد الأقصى » .

« إذن فرفض المعاهدة لم يكن إلى ناحية السعي العملي إلى المصلحة العامة ، أدنى منه إلى ناحية التظاهر الأجوف ، لخدمة فكرة الحزبية » .

إذاً هو يكتب مقالات تظهر فيها روح الدعوة الشيوعية . وفي الوقت ذاته يؤلف كتابا عنوانه : « الاشتراكية تعوق ارتقاء النوع الإنساني » .

وقد انتهر فرصة إجراء انتخابات حرة في أوائل سنة ١٩٣٠ تمهيدا لقيام حكومة نيابية وألف حزبا دعاه « حزب الفلاح » وأخذ يردد في مقالاته شعارات الشيوعيين . وكان بعض عملاء الشيوعية من الأرمن واليهود قد حاءوا إلى مصر لنشر آرائهم . قالت صحيفة السياسة في ٢١ مارس سنة ١٩٣٠ مانصه : « . . . ومنذ أيام قلائل لفتنا نظر الحكومة إلى ظهور الدعوة الشيوعية فوق صفحات بعض الجرائد المحلية ، ولفتنا نظرها بالأخص إلى صحيفتين بعينهما ؛ هما جريدة تسمى « روح العصر » وهي كما تصف نفسها اشتراكية سياسية . وملاحق « العصور » الأسبوعي ، وهو الذي يزعم أنه ينطق بلسان الفلاح المصري . ونبهنا

إلى أن هاتين الجريدتين تخصصان أنهرهما لمباحث اشتراكية وشيوعية محضة ، وتستعملان الأساليب الاشتراكية والشيوعية صراحة .

•••

ولما رأى إسماعيل مظهر وعصابتة أن أمرهم قد انكشف ، وأن الشرطة تراقب حركاتهم واجتماعاتهم ، أغلق مجلته « العصور » وتفرقت عنه جماعته ، وأنكره أصحابه ومعارفه . وكاد كامل كيلاني يفصل من وظيفته بوزارة الأوقاف بسبب ما ترجمه عن بندلي جوزي ، وبسبب اتصاله بتلك الجماعة ، لولا أنه ارتدى على أقدام بعض الكبراء ، وبذلك نجح من ضرر محقق . وقد عرفت كامل كيلاني بعد أن تجاوز مرحلة الشباب فوجدته إنساناً فاضلاً ، متديناً ، شديد الإيمان بالله ، رحمه الله رحمة واسعة .

•••

ومن الشعراء الذين نشروا بعض شعرهم في مجلة العصور الشاعر عبد اللطيف ثابت ، ويبدو من بعض شعره أنه كان يشك في حقيقة الأديان ، قال :

وَمَنْ يَدْرِي عَالِ الْأَنْبِيَاءِ تَكْذِبُوا      وَمَا الْأَصْلُ فِيمَا بَلَّغُونَا هُوَ الْأَصْلُ  
وَنَاصَلْنَا بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ مُفَاضِلٌ      وَفَوْقَ الذِّي قَالُوا لِنُوقِنَهُ سَدْلٌ

•••

وكان الزهاوي عميد الشعراء المشككين في عصره ، ومما نشرته له العصور :

لَمَّا جَهِدْتَ مِنَ الطَّبِيعَةِ أَمْرَهَا      وَأَقَمْتَ نَفْسَكَ فِي مَقَامِ مُعَقَّلٍ  
أَثَبَتْ رَبًّا تَبْتَغِي حَلًّا بِهِ      لِلشُّكْلَاتِ فَكَانَ أَكْبَرَ مُشْكِلِ

وقدمت « العصور » في أكتوبر سنة ١٩٢٨ قصيدة للزهاوي بقولها :

للزهاوي مبدأ معروف ، هو أن القصد المظنون وجوده في الطبيعة ، هو من عمل الأثير المحرك لأجرام الكون ، كما أنه في الحيوان ، ولاسيما الإنسان من عمل الكهرباء التي هي صورة من صور الأثير .

« ويرى أن الأثير هو الله » و « الكون » معا . وأن هناك حياة راقية عامة لخلايا  
الأجرام في كيان اللانهاية ، وهي صبغة الأثير الذي « لا إله إلا هو » . وأن حياة الحيوان  
والنبات هي صور ابتدائية لتلك الحياة القائمة بخلاياها من أجرام السماء . وأن الطبيعة  
لا تتناهى . فمن الشطط الاعتقاد بوجود خالق مدبر خارج عنها ، أو غير خارج عنها ،  
ولا داخل فيها ، يدبرها بحكمته البالغة تعليلا لحوادث الكون المختلفة ، وهو في هذه  
الفكرة قريب جهد القرب من فكرة الذين يقولون بوحدة الوجود مجردة عن الفيضيات  
التي تقوم عليها الأديان » .

ومما جاء بهذه القصيدة :

قَالُوا سَيَجْزِينَا عَلَى أَعْمَالِنَا مُفْتِنَا  
فَقُلْتُ هَذَا بَاطِلٌ مَا إِنْ يَكُونُ مُمَكِّنَا  
هُوَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ نُسِيءَ أَوْ أَنْ نُحْسِنَا  
وَهُوَ الَّذِي صَيَّرَ مِنَّا مُلْجِدًا وَمُؤْمِنَا  
إِذَا جَنَيْتُ مُكْرَهًا فَهَلْ أَنَا الَّذِي جَنِي؟  
وَهَلْ عِقَابُهُ مِنْ أَلَمَدِ الَّذِي قَدْ أَعْلَنَّا؟  
وَهَلْ لَنَا إِنْ شَاءَ أَنْ نَعْوِي سِوَى أَنْ نُدْعِنَا؟  
وَهَلْ عَيْنِنَا فِي حَيَاةِ الْأَرْضِ إِلَّا مَاعِنَا؟  
أَلَمْ نَكُنْ لِمَا قَضَى بِهِ مِثَالًا حَسَنًا؟

• • •

أحدثت هذه الحركات الإلحادية رد فعل بين المسلمين . فتأسست الجمعيات الدينية  
لنشر الوعي الديني ومقاومة الإلحاد . ففي سنة ١٩٢٩ تأسست في مصر جمعية الشبان المسلمين  
وظهرت على أثرها جمعيات كثيرة ، منها ما هو قائم إلى اليوم ، ومنها التي اختفت لأنها  
تركت مهمتها التي أنشئت من أجلها واشتغلت بالشئون السياسية .

ونشطت حركة التأليف الديني نشاطا لم يسبق له مثيل .

أما هذه الحركات الإلحادية التي ظهرت في تركيا وفي مصر وفي غيرها من البلدان الإسلامية ، فقد انتهت إلى الإخفاق التام ، وأصبح المسلمون أكثر فهما للإسلام ، ولروح الإسلام من الأجيال السالفة .

ولقد رجع إسماعيل مظهر إلى حظيرة الإسلام . انظر إلى ما كتبه في صحيفة « الأخبار » في ٨ / ٩ / ١٩٦١ تحت عنوان : « الإسلام ومفهوم النظم الاجتماعية » .  
 « الإسلام دين جامع . أقصد بذلك أن الإسلام رسالة للبشر أجمعين ، لا لقوم دون قوم ، ولا لقبيل دون قبيل ، ولا لأبيض دون أسود ، بل دعوة شاملة للعالمين ، تقيم بين الناس العدل ، وتهيئ كل الفرص لجميع الذين تظلمهم بسطانها أن يعيشوا بكرامة آدمية . والنصوص على ذلك كثيرة متعددة ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) . « سبأ » .

ثم قال : « هذا هو الإسلام ، وهامي ذي روحه التي يقوم عليها : دن حر ، ودولة حرة » .

ثم قال : « إن الإسلام بروحه هو دين المقاربة في فرص الحياة بين الناس ، ودين المساواة في معنويات الحكم . فكل من يظله الإسلام كرامة مساوية لكرامة غيره ، وله على الدولة حق الحياة بكافة معانيها ، روحية ومادية . ولا شك في أن نظم التفارق الطبقي الصارخ الذي ورثته دولات الإسلام عن الرومان وفارس قد عطلت المعنى الأسمى الذي ينشده الإسلام لكل مجتمع إنساني ، بلا تفرقة بين عقيدة ، أو لون ، أو جنس ، أو أي من تلك الفوارق التي تنخر الآن عظام الحضارة الحديثة » .

ومنها : إن المسلمين بعدوا عن الإسلام ، ومن ثمة بعدوا عن الحياة . لقد بعدوا عن روح الإسلام ، ولن يستعيدوا مجدهم إلا بعد أن يفهموا روح هذه الرسالة النورانية ، على أنها رسالة إنسانية جعلت أصلا من أجل الإنسان » .



« . . . فالإسلام في حقيقته رسالة بسيطة ظاهرة المعالم ، بينة الحدود ، بعيدة عن  
مماحكات المنطق وسرعات الباطنية والتصوف . أساس الإسلام : إله حق ، ورسول أدى  
رسالة ، وإنسان أدبت إليه . والإنسان في الإسلام هو المحور الذي تدور من حوله رسالة  
الإسلام وتعاليمه العليا . »



من أكتوبر ١٩٧٧

٨ من ذي القعدة ١٣٩٩ هـ

تحيتي وتمنياتي الطيبة لكم وودولكم الكريمة لحقيقة لقد عرفنا جهدكم واجتهادكم  
وذلك مشهور في جميع أنحاء العالم . شكرا لكم لتسبيح رجال الدين على ما يضرهم في دينهم  
ودنياهم على فتنة الوهابية لديننا المحمدية ، لقد عرفنا أيضا ببركتكم بجميع ما دار بين  
محمد علي باشا أمير مصر ضد . . . سنة وشريف غالب والوهابيين وبما فعله ابن محمد علي البشير  
إبراهيم باشا . حقا لو كان في العالم مثلكم أنتم ومحمد علي باشا وابنه إبراهيم لما أمكن للوهابيين  
ما أمكن لهم كدخول مكة وغيره ولكن إن شاء الله سنغلبهم ونخرجهم بإذن الله تعالى  
عن قريب وبعد سأطيل الكلام قليلا لأنني كنت أريد أن أذهب إليكم مع وفد من جماعتنا .  
نرجو منكم عددا كثيرا من الكتب ، آتى ١ - فتنة الوهابية . لأن الناس ما عرفوا حقيقة إضلالهم  
للناس وجهلهم ولكن إذا وجدنا ذلك الكتاب سندرسهم بإذن الله ونفهمهم ما قبة من فتنة  
الوهابيين وإضلالهم .

٢ - التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين لعرفهم حقيقة التوسل به وبالأولياء .

٣ - الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ، لكن نرد عليهم لأن السنة هم حاد أوليس لنا كتب  
الدلائل لنرد عليهم

جمعيتنا الآن يبلغ عدد تلاميذها ٦٠٠٠ تلميذ

وتبلغ عدد طلاب الثانوية ٦٠٠ طالب وعدد الطلبة في المعهد تبلغ ٥٠٠ طالب وزيادة  
وكذلك تلميذ في الابتدائية الأحسن أن يكون له كتابا ضمه حتى ولو كان للبيوع أهلا وسهلا  
لولا القر في رغبت أن أذهب هناك مع وقد نتحدث أمورنا لهؤلاء المهضمين .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبره

أخوكم المخلص إبراهيم عثمان جالو

المستوفى العام لجميع مدارس جمعية أنصار

الإسلام بعسير البيوت

SIERRA LEONE

Mr. U. J. JALLOH - SENIOR ARABIC HEADMASTER - ANSARUL  
ISLAMIC MISSION - P. O. BOX 85, TANNORO  
SEFADU - REPUBLIC OF SIERRA LEONE  
IN . A.

بِسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ

١٩٧٩ / ١٥ / ٢٥

العلامة الأجل الأديب الأمثل الفاضل ذوالمكارم سعادة سيدي:  
حسين حلمي بن سعيد استانبولي -  
أدام الله بقاءكم وزاد علوكم وارتقاءكم . وسلاماً لحضرتكم  
أسنى و تحياتاً حسنى .

و بعد :

فما يسعني الآن الآن أتوجه اليكم بخبر الشكر معترفاً باللسان  
معتظماً بالجنان سعيكم المشكور زادكم الله عزاً وشرقاً وتباً  
وأخرى . فوالله كتبكم ما حلت بساحة قوم الاطهرتها ولا  
عقول الاضقلتها من حياثل المنحرفين كجماعة الوهابية  
والشيعة وان كانت قليلة حد ابي كامل السعري الحربي -  
اما الجماعة التي كثر هرجها وتشويشها هنا هي جماعة الاحوان  
المسلمين الذين انتحلوا الافكار الوهابية وانصرفوا عن ميدانهم  
الاول وهو نشر الدين على مذهب الكتاب والسنة بكل رفق وتؤدة  
وهم الآن يحاربوننا حتى اصحاب الطريقة الشاذلية وتشدوا علينا  
الكبر خاصة في مسألة التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم  
وكلما اتصلت باحد منهم وسلمت له بعض كتبكم الا واستخفروا وقال  
ما كنت أعلم ان مثل هذا الكتاب توجد

وعلى كل حال فيركات كتبكم لا تحفى على عاقل أسأل الله ان يريد  
نشاطاً على نشاط وفضل الله الامجاد بن علي القاعد بن  
والآن النمس من جنابكم السادي ان يرسلوا لي مانرون من الكتب  
فيه نفعاً وخاصة من الكتب التي لا أملكها -

والسلام .

عبيدكم : محمد الحسيني

REPUBLIQUE TUNISIENNE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ  
الحمد لله الباع الخلق . بلامثال سبق . والصلوة والسلام على من  
سئل رحمة لا لخلق . وآله وصحبه وآمين من ضلال خلق .

وبعد فالي الشيخ المعظم . والاساذ المكرم . وخادم الملة والاسلام  
ومفتي نفسه في اعلاء كلمة الله السليم . ورافع عقائد الاسلام  
ومبطل عقائد الضلال والصنم . مولانا حسين حلمي بن سعيد اسانبولي  
بن العبد الفقير افضل العلماء المولوي محمد خان الفاضل الباقوي

وصل الي القول الفصل شرح الفقه الاكبر . وكتب شتى من قبل ذلك  
فرحت بما ارسلتم . وعلمت ما فيها من المعلومات الدينية . ودرست  
منها معلومات مهمة لتلاميذي . واشكر الله ولكم شكرا جزيل .  
خدمتكم هذه هي الحياة للاسلام . لا سيما في هذا الزمان الكثير فيه الباطل .  
واعلمكم هذا هو افضل الصلوات والتحيات . لكان الله تعالى لرواه مكتبة  
البيروت . وبارك في حيا . طبعه . بن سعيد اسانبولي . علامة العصر وحيد  
الزمان والحصر . الدار النقيس لا يقوه له التجار . الفرد الشفيق على  
اهل السنة بالتصوير .

النفس منكم ان ترسلوا الي كتب . الالهة منها الانوار المحمدية .  
٢ ارغلم المريد في شيخ توصل المريد . ٣٠٠ فداوت الحرمين في روح نذرة المين .  
٤ . ٥ . ٦ . ٧ . ٨ . ٩ . ١٠ . ١١ . ١٢ . ١٣ . ١٤ . ١٥ . ١٦ . ١٧ . ١٨ . ١٩ . ٢٠ . ٢١ . ٢٢ . ٢٣ . ٢٤ . ٢٥ . ٢٦ . ٢٧ . ٢٨ . ٢٩ . ٣٠ .  
البرية مهمة . وانظر الانوار المحمدية اسد الانظار

على هذا

افضل العلماء المولوي  
محمد خان العالم الفاضل الباقوي  
هدى المراسل

الكلية العربية برمنهم السعدية  
بنانتم . فبعدة ترجيح . تم لاد  
سند

9. 10. 1979

M. S. A. COLLEGE

PUTHA NATHAN

621 215

INDIA

از مولوی محمد فضل اللہ جان حقانی  
لاہور تحصیل صوابی ضلع مردان

۱۵/۱۱/۵۱۱ ..... ۲۳/۱۵/۲۳ ..... Dated ۱۵ ذی القعدة ۱۳۹۰  
الموافق ۲۳ اکتوبر ۱۹۷۴ء ۱۰۶ No بوم الاعد -

الى دمي الحق - وارت اللبنياء فادم اللد - ليا - الاصرهيا و

اسا بنو  
تل عليه صل من نيعان الدولياء حسين علي النبي بن سيد

الحمد الذي اتم علينا نعمته فزفي لنا الاسلام دينا - وانزل الفرقان شفاء لما في

الصدور ونور ابينا - والعنوة والدم على محمد من الذي ارسله رسولا مينا -

وعلى اله وصحبه والعي الذين نشروا الوتر الاسلام - ورضوا رذيات العلم  
والدين بالاطلاق -

ولبه فلا يخفى على كل درعد في ابي ناصية كان - ان احانا في الله

حسين علي بن سيد اسان بنو قد اخذ حقا واقرا من مبررات اللبنياء

فصار لارثهم ناسرا ودينا - للاسيما في هذا الزمان الذي قد سعت العن

كثرة الفزق الزائفة عن البيل فصار لكل قرية سيفا مسلولا ورضا علم الفرقة

الناجية التي شهد لها النبي بالبي اية من النار - واما نشر العاثة الصميمة المتفاد

من كلام الله سنة رسول واهل بيته اذ اوردت درر الشفة ينفق بها من صممة و

وماله ولباعته - فانه لسئل ان يوضع وايا بالمنزلة فذمة الدين جاعلا

ناسرا لعنة العلف الضالين وائمة الدين - اسن يارب العليم

مولوي محمد فضل اللہ جان حقانی لاہور تحصیل صوابی ضلع مردان

١٩٧٩ / ١ / ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله والصلوة والسلام  
على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين  
الطاهرين

حضرة السيد الفاضل المحترم  
ذات السيادة / سيد علي حفظه الله  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
يرني انه ابارر بالمكاتبة لهذه المرة  
لا حظتكم علما باننا لا نبعثونه اينامنه كتب  
اسلامية صوفية تصلنا بكل سلامة  
فالله وحده يجازيكم على اعتنائكم بمشروء علم  
الجميل والله لو كانه لي طاقة لمه دت به المعونة  
لهذه المشروع الكبير النفع ولكن كيف الطير انه  
بلا جناح ونه عولكم ولكافة المسلمين انه يرتد  
العامة الى ما فيه الخير والسعادة شرونه  
من في هذه المرة بعض العناوين في الكرت  
يطيب لي جدا انه تقوموا ببعث الكتب النافعة  
الى اصحابها في وقت مناسب والله لكم معين  
فامشوهكم الله بانني تمت بالواجب نحو كتبكم  
من حيث نشرها بين الأهل والاصحاب والرفاقه  
هذا والسلام  
منه من موسى سيسي  
عليكم ورحمة الله استاذ العلوم الشرعية بمدينة  
سنة جمهورية مالي

REPUBLIQUE DU MALI

فانوس بن کے جسکی حفاظت ہوا کرے

وہ شمع کیا مجھے جسے روشن خدا کرے

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ۝

هذا لخط من صدر المدرسين محدث الشيخ عطاء الرحمن الترابي

الى سيدنا ورافيقنا خادم الاسلام وناصر المسلمين وكرام الناس مطيع الله وسكوله

ماحي الكفر والشرك قاتل الوهابيين الضالين المضلين رئيس المسلمين في زماننا بل

في كل زمان في الدين البين الذي اهلكه الوهابيون الفاسقون المرتدون ۝

۝: حسين حلي بن سعيد استنبولي تركي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ۝

اما بعد فقد كثر في بلادنا وافتنة الكفر والفسق وغيرهما من الفتن والمعاصي

فتقابلها كل يوم ووقت حتى اخلينا علاقتنا من تلك الفتن وكثرت افرادنا حتى بلغنا

الى الالف لكن الان بعد قلته الفتن في علاقتنا ظهر بعض الفتن وتبع لها بعض رجال الوهابيين

الضالين المضلين المشهورين في ملكنا بالفنج بيري في التائدين للوهابيين ۝:

فلهذا اطلب منك لبعض الكتب المعبرة في دلائل مسائل الدين كمسئلة الوسيلة

والدعاء وغيرهما من المسائل الكثيرة الفرعية لان الوهابيين ينازعوننا ويضلون الناس

في تلك المسائل سيما افرادنا المخصوصة ثم اقول بالعجز والاحترام يا شيخ فعليك بارسال

الكتب لاني محتاج اليه بالاحتياج الكثير وان لم ترسله من فيض الوهابيين افرادنا

عن الدين فقط مع الاحترام ۝:

وایس پتہ ضلع سوات دکنخانہ منگورد دارالعلوم اسلامیہ لیبورٹیف عطاء الرحمن ترابی

الكتب العربية المطبوعة في مكتبة اشيق كتاب أوى

١٩١٣	١٦٣	: صفحہ	١ - علماء المسلمين و وهابيون
١٩١٣	١٦٠	: صفحہ	٢ - المنحة الوهبية في رد الوهابية
١٩١٣	٢٤٠	: صفحہ	٣ - المنتخبات من المكتوبات للامام الرباني
١٩١٣	١٠	: صفحہ	٤ - مستحق نادى
١٩١٠	٢٦٤	: صفحہ	٥ - تاريخ الدولة العثمانية
١٩١٤	١١٢	: صفحہ	٦ - خلاصة التحقيق
١٩١٤	١١٢	: صفحہ	٧ - خلاصة الكلام الجزء الثاني
١٩١٤	٣٦١	: صفحہ	٨ - اثبات النبوة ، مفتاح الفلاح
١٩١٤	١١٢	: صفحہ	٩ - حجة الله على العالمين (اجد اثاني)
١٩١٥	١٦٠	: صفحہ	١٠ - المستند المعتمد
١٩١٥	٢٠٢	: صفحہ	١١ - التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين
١٩١٥	١٣٠٦٤	: صفحہ	١٢ - الصواعق الالهية في الرد على الوهابية
١٩١٩	١٤٤	: صفحہ	١٣ - مخبة اللاكى شرح قصيدة الامالى
١٩١٥	٢٦٤	: صفحہ	١٤ - البضائر لمنكرى التوسل بأهل المقابر
١٩١٥	٢٠٧	: صفحہ	١٥ - القول الفصل شرح الفقه الاكبر
١٩١٥	١٥٢	: صفحہ	١٦ - الدولة المكية بالمادة الغيبية
١٩١٦	١٠٢	: صفحہ	١٧ - الدرر السنية في الرد على الوهابية
١٩١٦	١٥	: صفحہ	١٨ - انصاف . عقد الجيد . مقياس القياس
١٩١٦	٢٢٠	: صفحہ	١٩ - الفجر الصادق في الرد على المنكرى التوسل والمخوارق . ضياء الصدور
١٩١٦	٦٩	: صفحہ	٢٠ - صلايات الوهابيين . بحث التلقين اوراق البغدية في انحادث النجدية
١٩١٩	٢٣٢	: صفحہ	٢١ - تطهير الفواد . شفاء السقام
١٩١٥	٤١	: صفحہ	٢٢ - سيف الجبار
١٩١٥	٣٣٥	: صفحہ	٢٣ - الفقه على المذاهب الاربعه (الجزء الاول)
١٩١١	٣١٢	: صفحہ	٢٤ - الفقه على المذاهب الاربعه (الجزء الثاني)
١٩١٩	٢١١	: صفحہ	٢٥ - الفقه على المذاهب الاربعه (الجزء الثالث)

١٩٧٤	٤٠٠	صفحة	٢٦- الانوار المحمدية (الجلد الاول)
١٩٧٦	٢٠١	صفحة	٢٧- تسهيل للمنافع، الطب النبوي
١٩٧٥	٩٦	صفحة	٢٨- صرف عربي وعوامل
١٩٧٥	٣٢	صفحة	٢٩- كتاب الصلوة
١٩٧٥	٢١	صفحة	٣٠- جزء عم من القرآن الكريم
١٩٧٦	١١٢	صفحة	٣١- المنقذ من الضلال، لجام العوام عن علم الكلام
١٩٧٦	١٠٢	صفحة	٣٢- المسائل المنتخبة، التوسل بالموتى
١٩٧٧	٨	صفحة	٣٣- الحديقة الندية في آداب الطريقة
١٩٧٥	١٦	صفحة	٣٤- فتنة الوهابية
١٩٧٧	١٠٢	صفحة	٣٥- البهجة السنينة
١٩٧٧	٦٠٠	صفحة	٣٦- تفسير سورة البقرة (شيخ زاوية)
١٩٧٦	٣٥٢	صفحة	٣٧- مختصر (الحقفة الاثني عشرية)
١٩٧٨	١٦٣	صفحة	٣٨- كتاب الايمان (من رد المختار)
١٩٧٧	٤٨	صفحة	٣٩- السعادة الابدية فيما جاهد القشندية
١٩٨٠	١٦	صفحة	٤٠- الناهية عن طعن المعاوية، الحج القطعية
١٩٧٧	١٠٤	صفحة	٤١- فتاوى الحرمين برجف ندوة المين
١٩٧٧	٤٠٠	صفحة	٤٢- الحديقة الندية للنابلسي (الجلد الاول)
١٩٧٧	٢٤	صفحة	٤٣- الحبل المتين في اتباع السلف الصالحين
١٩٧٧	٣٢	صفحة	٤٤- سبيل النجاة من بدعة اهل الزيغ والضلالة
			٤٥- النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم، الورد على من انكر قرآنة مولد النبي
١٩٧٧	٩٦	صفحة	٤٦- ازغام المرید فی شرح توشل المرید
١٩٧٧	١١٢	صفحة	٤٧- الاستاذ المرید ودي، جماعة التبليغ
١٩٨٠	٧٣	صفحة	٤٨- الأدلة القواطع في حكم ترجمة الخطبة في الجوامع
١٩٧٧	٢٤	صفحة	٤٩- منهل الواردين من بحار الفيض
١٩٧٨	٥٣	صفحة	على ذخ المتأهلين في مسائل الحيض
١٩٧٤	٧٢	صفحة	٥٠- هدية المهديين



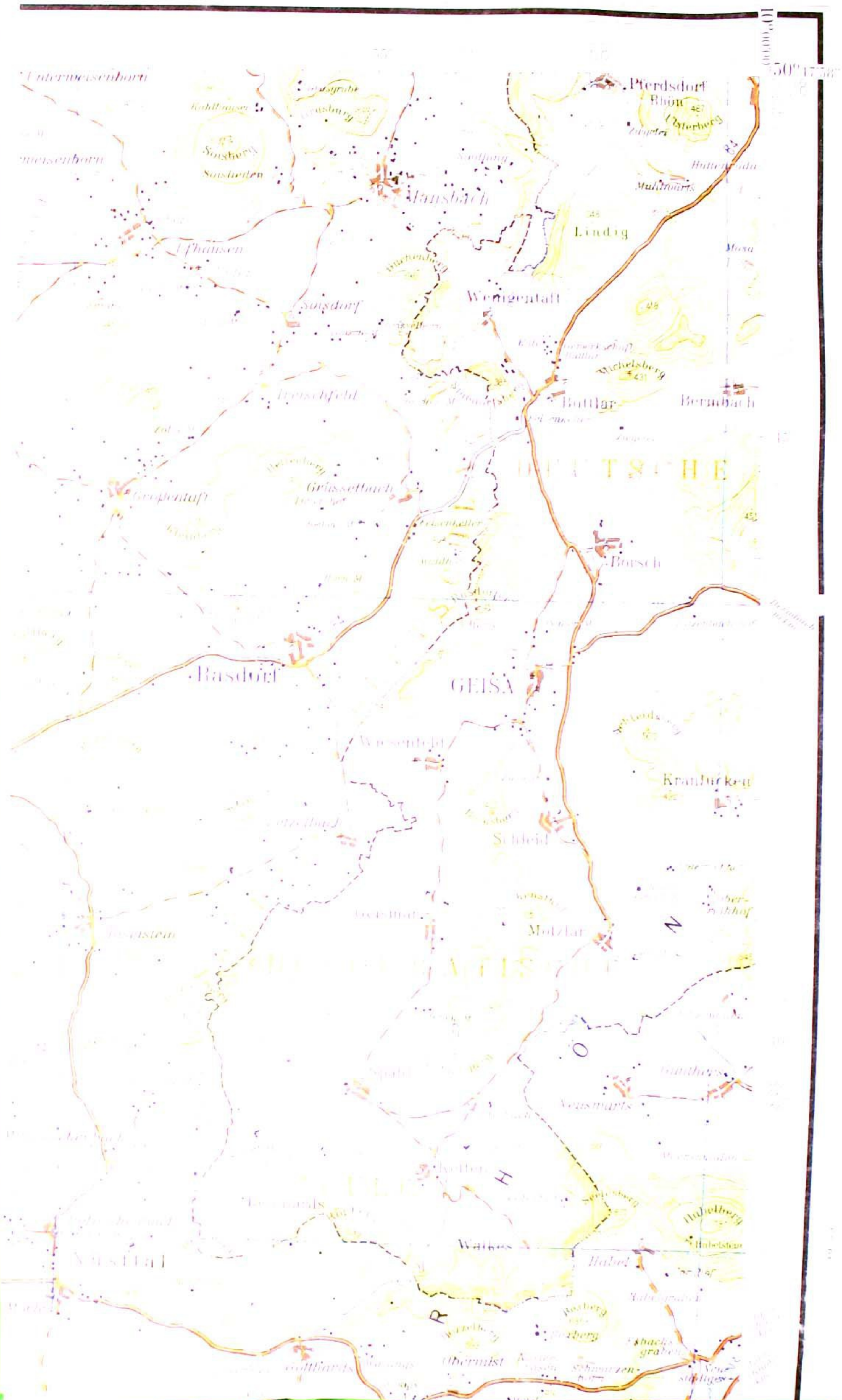
This work, *Ad-dawlat al-'Uthmâniyya* by Ahmad ibn Zaini Dahlan, one of the great scholars of Mecca the Blessed and a Shâfi'i mufti, gives an account of the foundation, extension and partition of the Ottoman Empire and writes about the Ottoman rulers' service to Islam, justice and excellent morals. Besides, it tells about the disunionist Wahhâbite movement, its heretical followers, enmity against Islam and barbarous attacks at the lives and properties of the Muslims of the Arabian Peninsula and of the pilgrims from Muslim countries, about the Ottoman Turks' prevention of this disunionist movement and restoration of the harm and destruction they had done, and about disunionist, destructive actions of the reformers in Islam and of the non-muhammadite people who have appeared after the fall of the Ottomans. The text is Arabic. The first edition was printed in 1304 A.H. (1887).

**IŞIK KİTABEVİ**

İşbu (Ed-devletül-Osmâniyye) kitabını Mekke-i mükerreme şehrinin büyük âlimlerinden, Şâfi'î müftisi Ahmed bin Zeynî Dahlan yazmıştır. Osmanlı devletinin kuruluşunu, yayılmasını ve bu büyük imperatorluğun parçalanmasını bildirmekte, Osmanlı pâdişahlarının islâm dinine yaptıkları hizmetleri, adâletlerini, güzel ahlaklarını yazmaktadır. Bu arada, vehhâbilik fitnesini, bu sapıkların Arab yarım adasındaki müslimanların ve islâm memleketlerinden gelen hâcîların mallarına, canlarına barbarca saldırıklarını, islâmiyyete yaptıkları düşmanlıkları ve bu fitnenin Osmanlı Türkleri tarafından önlendiğini ve yaptıkları zararların, tahrîblerin tâmir edildiğini açıklamakta ve Osmanlılardan sonra ortaya çıkan dinde reformcuların, mezhebsizlerin bölücü, yıkıcı hareketlerini anlatmaktadır. Kitâp arapçadır. İlk olarak 1304 [m. 1887] senesinde basılmıştır. İçinde Osmanlıca yazı hiç yoktur.

**İŞIK KİTÂBEVİ**





193

193